

الخميني والجماعة

أمريكا وصناعة الإسلام السياسي

محمد الزمزمي



الطبعة الأولى

المجموعة الدولية
للنشر والتوزيع

sharif mahmoud

الخميني والجماعة

أمريكا وصناعة الإسلام السياسي

محمد الزمزمي

سما للنشر والتوزيع

المجموعة الدولية للنشر والتوزيع



كتاب : الخميني والجماعة

المؤلف : محمد الزمزمي

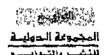
اشراف عام : نجـــلاء قاســـم

الناشر



25 امتداد ولي العهد حدائق القبة
تليفون: 24517300 - 01271919100
emil: samanasher@yahoo.com

التوزيع



80 ش طومان باي - الزيتون - القاهرة
تليفون : 24518068 - 01099998240
emil. aldawleah_group1@yahoo.com

تصميم الغلاف والإخراج :محمد الزمزمي

الترقيـــم الـدولـــي: 978-977-85046-0-6
رقـــــم الإيـــــداع 2013 / 10024
الطبعـــة الأولـــى: مايو / 2013

(إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه، إلا قال في غَدِه لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زِيد كذا لكان يُستحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرِك هذا لكان أجمل؛ وهذا من أعظم العِبَر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر) .

العماد الأصبهاني

أهدي هذا الكتاب ..

إلى الباحثين عن الحقيقة
فالحقيقة دائما أغرب من الخيال

الفهرس

مقدمة

يعتبر الفضول هو المحرك الرئيسي لإصدار هذا الكتاب فجماعة الإخوان المسلمين والتي كانت تلعب عادة دور الضحية قبل ثورة يناير والمدافع الأول عن الإسلام من وجهة نظر كوادرها .. ها هي الآن في سدة الحكم حيث تخلت عن كثير من مبادئها فبعد تحالفات مع السلفيين متمثلين في حزب النور والدعوة السلفية الى تحالفات مع ايران !! وبعد أن كانوا يرفعون شعارات « خيبر خيبر يا يهود جيش محمد سوف يعود « هاهم يصرحون بأنهم يحترمون كامب ديفيد !!

فالكتاب يضم بين صفحاته أحداث ومواقف متعلقة بشخصيات لها وزنها وثقلها واحترامها على مستوى الساحة السياسية والدينية على حد سواء ، لكن تلك المواقف والشخصيات أمام التاريخ هي في حاجة ماسة للنقد والتحليل ولتتأكد قارئي العزيز أنني أسجل احترامي لكل الرموز العربية والأجنبية ولكننا أمام التاريخ ينبغي أن نكون أمناء ، فإذا وجدنا ما يمكن أن نضعه تحت مجهرنا فلنضعه لنكشف حقائق وأسرار قد غابت عن الكثيرين ..

فالقصة الحقيقية لجماعة الإخوان المسلمين تعتبر في واقعها أكثر خيالاً من روايات الجاسوسية فهي جماعة تقوم على المؤامرة وافتراض سوء النية في الجميع ، فلا تتوافر قائمة رسمية معلنة بأعضائها حتى بعد انشاء حزب الحرية والعدالة وتحول جماعة الإخوان إلى جمعية على الورق !!

فينتظم أفراد الجماعة في ضورة خلايا هرمية ولا تتقيد جماعة الإخوان بالحدود الدولية ، ولكنها تمتد إلى جميع آفاق العالم الإسلامي كله ويعمل بعض أعضائها كمسؤولين حكوميين أو دبلوماسيين أو رجال في الجيش ، أما جماعة الإخوان المسلمين في مستوياتها الدنيا فشبّها إن شئت بجيش شبه نظامي يدين بالولاء والسمع والطاعة لقادة التنظيم ومرشدهم .

فلا تعد جماعة الإخوان المسلمين من المسلمين ، كما أنها ليست مسيحية أو يهودية أو جزءًا من أي دين ، ففي مجلسها الداخلي رجال يغيرون دينهم بالسهولة ذاتها التي يغير بها رجال آخرون قمصانهم !

فالغاية تبرر الوسيلة وهذه هي عقيدة الإخوان المسلمين فمن الممكن أن يفعلوا أي شيء ليحققوا مبتغاهم يجلسون مع هذا ويتفاوضون مع ذاك ، يعقدون الصفقات ويبرمون الإتفاقات فمصلحتهم فوق كل شيء فيسيرون بمبدأ أرساه قائدهم الأول حسن البنا « نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه » فهذه الكلمات وكما قال عنها الشيخ الألباني رحمه الله هي السبب الرئيسي وراء بقاء الإخوان المسلمين نحو أكثر من ثمانون عاما بعيدين كل البعد عن فهم الإسلام فهما صحيحاً وبالتالي بعيدين عن تطبيق الإسلام عمليا ففاقد الشيء لا يعطيه .

فجماعة الإخوان المسلمون في الواقع لا تتكون فقط من ذلك الشيخ المتعصب وتابعه الذي لا يقل عنه تعصبا، وليست أولئك المُلل وآيات الله الذين يقودون البيئات التي يرتع فيها المجاذيب ، وما الخميني وغيره الا دمى مزركشة .

فالإخوان المسلمون الحقيقيون هم أولئك الذين لا يظهرون في الصورة ويلعبون من خلف الستار فلا تتلطخ أيديهم بأعمال القتل والحرق ، بل هم المصرفيون ورجال المال السريون الذي يقفون خلف الكواليس ، وأفراد العائلات العربية الذين تضعهم أنسابهم في مصاف النخبة الحاكمة ، فالإخوان المسلمون هم المال ، يتحكمون غالبا في عشرات المليارات من الدولارات على هيئة أصول

سائلة قريبة ، ويتحكمون في مليارات أخرى في عملياتهم التجارية اليومية، ومن خلال التحالف مع الإخوان المسلمين ، لا يقوم البريطانيون والأمريكان فقط بشراء إرهابيين مأجورين ، بل يصيرون شركاء في إمبراطورية مالية قوية وعالمية تمتد من حسابات بنوك سويسرا المتخمة بالمال ، حتى دبي والكويت وهونج كونج .

ولتعلم قارئي العزيز بأنني لم أقم بجمع هذا الكتاب ونشره في هذا التوقيت بالتحديد بدافع الإصطياد في الماء العكر أو الإساءة الى أحد وتشويه أُناس قد يعتبرهم البعض رموز وزعماء فقد اجتهدت لكشف بعض الأمور لفهم ما يحدث الآن من علاقات مريبة بين أنظمة وأطراف متعددة .

محمد الزمزمي

آية الله المجنون

روح الله بن مصطفى بن أحمد الموسوي الخميني .. هو رجل دين سياسي إيراني من مواليد سبتمبر ١٩٠٢ وتوفي في يونيو ١٩٨٩ حكم إيران في الفترة من (١٩٧٩-١٩٨٩) يُعتبر بالنسبة لكثير من الإيرانيين فيلسوفاً ومرجعاً دينياً شيعياً ، قاد الثورة الإيرانية حتى أطاح بالشاه محمد رضا بهلوي المعروف بالبهلوي الثاني والذي سبقه الشاه رضا بهلوي وكان كالأب الروحي لعدد كبير من الشيعة داخل إيران وخارجها ، درجته الحوزوية أي منزلته عند الشيعة « آية الله» لأنه اجتهد في نظر الشيعة وأصدر رسالته العلمية ، أي مجموعة فتاواه في العبادات والمعاملات في الإسلام وصفته مجلة « التايم الأمريكية « برجل العام في سنة ١٩٧٩ !!

لكن المتابع لفكر الخميني وتصريحاته وخطبه ، يدرك بسهولة أبعاد نواياه الباطنية و يلمس فيها أغراضه التي تتلخص في تكوين هالة من القداسة الكهنوتية المزعومة حول شخصه و هو مقتنع بأن ما قام به يبلغ مستوى الرسالات السماوية ، وأنه كان يعد العدة لاستقبال المهدي المنتظر ثم هو موقن بأنه نائب المهدي على الأقل ، ويعتبر لنفسه ما للمهدي من منزلة و قداسة .

فقد ألقى الخميني خطاباً بمناسبة ذكرى مولد الإمام المهدي سمعه العالم وحفظته الصحف العالمية عن ظهر قلب في ضمنه أفكاراً تدل على أن الخميني لا يؤمن باكتمال الرسالة الإسلامية بالقرآن العظيم ، وبالرسول الكريم خاتم الأنبياء والرسل عليه الصلاة والسلام .

فقال في أحدى خطبه :

« لقد جاء الأنبياء جميعاً من أجل إرساء قواعد العدالة في العالم لكنهم لم ينجحوا ، حتى النبي محمد خاتم الأنبياء الذي جاء لإصلاح البشرية ، وتنفيذ العدالة ، وتربية البشر لم ينجح في ذلك و إن الشخص الذي سينجح في ذلك ويرسي قواعد العدالة في جميع أنحاء العالم في جميع مراتب إنسانية الإنسان وتقويم الانحرافات هو المهدي المنتظر. فالإمام المهدي الذي أبقاه الله سبحانه وتعالى ذخراً من أجل البشرية ، سيعمل على نشر العدالة في جميع أنحاء العالم ، وسينجح فيما أخفق في تحقيقه الأنبياء ، وإن السبب الذي أطال سبحانه وتعالى من أجله عمر المهدي عليه السلام ، وهو أنه لم يكن بين البشر من يستطيع القيام بمثل هذا العمل الكبير حتى الأنبياء ، وأجداد الإمام المهدي عليه السلام لم ينجحوا في تحقيق ما جاءوا من أجله »

وقال الخميني أيضاً: « ولو كان الإمام المهدي عليه السلام قد التحق إلى جوار ربه ، لما كان هناك أحد بين البشر لإرساء العدالة وتنفيذها في العالم فالإمام المهدي المنتظر عليه السلام ، قد أبقى ذخراً لمثل هذا الأمر ، ولذلك فإن عيد ميلاده – أرواحنا فداه – أكبر أعياد المسلمين ، وأكبر عيد لأبناء البشرية ، لأنه سيملأ الأرض عدلاً وقسطاً ... ولذلك يجب أن نقول : إن عيد ميلاد الإمام المهدي عليه السلام هو أكبر عيد للبشرية بأجمعها ... عند ظهوره ، فإنه سيخرج البشرية من الانحطاط ، ويهدي الجميع إلى الصراط المستقيم ، ويملأ الأرض عدلاً بعدما ملئت جوراً ...

إن ميلاد الإمام المهدي عيد كبير بالنسبة للمسلمين ، يعتبر أكبر من عيد ميلاد النبي محمد ولذلك علينا أن نعد أنفسنا من أجل مجيء الإمام المهدي عليه السلام ...

إنني لا أتمكن من تسميته بالزعيم ، لأنه أكبر وأرفع من ذلك ، ولا أتمكن من تسميته بالرجل الأول ، لأنه لا يوجد أحد بعده وليس له ثان ، ولذلك لا أستطيع وصفه بأي كلام سوى المهدي المنتظر الموعود ، وهو الذي أبقاه الله سبحانه وتعالى ذخراً للبشرية ، وعلينا أن نهيئ أنفسنا لرؤياه في حالة توفيقنا بهذا الأمر ، ونكون مرفوعي الرأس... على جميع الأجهزة في بلادنا ... ونأمل أن تتوسع في سائر الدول ، أن تهيئ نفسها من أجل ظهور الإمام المهدي عليه السلام وتستعد لزيارته ....» .

فخطب الخميني تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أنه لا يحترم الأنبياء ويرى في ميلاد المهدي حدث أهم وأعظم من ميلاد النبي محمد عليه الصلاة والسلام .

تصريحات الخميني السابقة أدت إلى موجة غضب واستنكار في صفوف المسلمين وأوساطهم ، وأعلنوا أنها تصريحات غريبة ومناقضة لأصل العقيدة الإسلامية ولروح الإسلام والسنة النبوية الشريفة وقالت هذه الأوساط عبر فتاوى وبيانات أصدرتها :

إن ما جاء في أقوال الخميني يعد خرقاً فظيعاً لمبادئ الإسلام ، وطعناً في شخص الرسول الكريم محمد عليه الصلاة والسلام ، الذي جاء مصلحاً وهادياً للبشرية ومنقذاً لها وقد أكد علماء السلمين أن ما قاله الخميني يعد خروجاً على كل ما قررته العقيدة الإسلامية ، وأجمع عليه المسلمون في شخص الرسول الذي جاء فيه قوله تعالى:

« وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ « الأنبياء١٠٧

و قد أبدى المسلمون في كل مكان المزيد من الاستغراب والدهشة بسبب عدم صدور أي تكذيب أو نفي لتلك التصريحات المهووسة و فيما يأتي من برقيات وفتاوى الاحتجاج والاستنكار لتصريحات الخميني الغريبة ، ودحض مضمونها الخارج على الإسلام ، والمتنكر لرسوله عليه الصلاة والسلام.

فقد استنكرت ((رابطة العالم الإسلامي)) بشدة تصريحات الخميني حول ما أسماه بظهور المهدي المنتظر لتحقيق ما عجز عنه الأنبياء .

وفي بيان أصدرته الرابطة بهذا الشأن ، نشر في جريدة أخبار العالم الإسلامي في عام ١٩٨٠ :

إن العبارات التي وردت في الكلمة التي وجهها الخميني ، وأذاعها راديو طهران ، تعارض معارضة صريحة العقيدة الإسلامية ومبادئ الدين الإسلامي الحنيف ، وتحوي مناقضة صريحة للإسلام وما جاء به القران الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، وما أجمعت عليه أمة المسلمين وعلماؤها .

وذكرت الرابطة أن تكذيباً أو نفياً لهذه التصريحات لم يصدر من طهران ، على الرغم مما تحويه من إنكار لتعاليم الكتاب والسنة وإجماع الأمة على أن نبينا عليه الصلاة والسلام هو خاتم الأنبياء والمرسلين وهو المصلح الأعظم للبشرية جمعاء ، حيث أرسل بأكمل الرسالات وأتمها ، كما قال تعالى :

«الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا»

و قال عليه الصلاة والسلام : تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .

واختتمت الرابطة بيانها داعية الله تعالى أن يجنب المسلمين مزالق الفتن ما ظهر منها وما بطن ، ويلهمهم سبيل الرشد وأن لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وفي تونس أدان الشيخ العلامة الحبيب بلخوجة مفتي الجمهورية الأسبق تصريحات الخميني التي تطاول فيها على مقام النبي محمد عليه الصلاة والسلام ، وادعى فيها أن الرسول الكريم لم يؤدي رسالته على الوجه الأكمل وقال الشيخ بلخوجة في كلية الزيتونة :

« إن هذه التصريحات تشكل مساساً بالدين ، وتتناقض تماماً مع مبادئ القران الكريم وإن الذي يتجاهل السنة ، ويناقض القران الكريم يكذب إذا ادعى أنه ينتمي إلى الإسلام أو أن يكون حاملاً لرايته» .

وقد أصدر علماء المغرب فتوى دينية رداً على تصريحات خميني نشرت في العدد الرابع من مجلة (دعوى الحق) الصادرة في رمضان (يوليو ١٩٨٠) عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في المملكة المغربية وقد جاءت هذه

الفتوى معبرة عن إجماع أعضاء المجالس العلمية في أنحاء المملكة المغربية كافة على إدانة الخميني استناداً إلى الكتاب والسنة و أعلنت الفتوى :

«إن أقوال خميني أقوال شنيعة ومزاعم باطلة فظيعة تؤدي إلى الإشراك بالله عز وجل. كما أوضحت الفتوى : أن هذه الأقوال قد أحدثت ضجة كبرى في الأوساط ، حيث توجه الناس بسؤال عن موقف العلماء من هذه الأقوال النابية والمزاعم الباطلة التي تناقض أصول العقيدة الإسلامية وأكدت الفتوى التي جاءت رداً على تساؤلات الجماهير المغربية إن ما قاله الخميني: « تطاول على مقام الملائكة والأنبياء والمرسلين حيث جعل مكانة المهدي المنتظر في نظره فوق مكانة الجميع ، وزعم أن لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً أفضل منه»

وقال علماء المغرب في فتواهم : إن من اخطر ما زعمه خميني « إن خلافة المهدي المنتظر خلافة تكوينية تخضع لها جميع ذرات الكون « ومقتضى ذلك أن خميني يعد المهدي المنتظر شريك للخالق عز وجل في الربوبية والتكوين ،وهذا كلام مناقض لعقيدة التوحيد يستنكره كل مسلم ولا يقبله ، ولا يقره أي مذهب من المذاهب الإسلامية ،لا يبرأ قائله من الشرك والكفر بالله ، قال الله تعالى « :

« وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ «الزمر ٦٧

وأهاب علماء المغرب في فتواهم هذه ببقية العلماء في العالم الإسلامي الوقوف وقفة رجل واحد بوجه هذا التيار الهدام ، فيردوا كل شبهة عن عقيدة الإسلام.

ولم تصمت رابطة العلماء في العراق على تجاوزات الخميني فبعد أن اطلعت الرابطة على خطبة الخميني السالفة الذكر ، أصدرت بياناً مطولاً جاء فيه:

« وحيث إن هذا الزعم يشكل انحرافاً عن جوهر الشريعة الإسلامية ، وردة عن تعاليم الدين الحنيف ، ومخالفة صريحة لقوله تعالى { اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً } ، ودساً خطيراً

يبتغي به زاعمه - لأغراض في نفسه - تحويل أنظار المسلمين عن النبي العربي الكريم صاحب الخلق العظيم الذي بعثه الله رحمة للعالمين ومنقذاً للبشرية من الظلمات إلى النور .

وبما أن من واجب علماء الدين بيان الحقيقة والمعروف ، والتنديد بالأفكار والتيارات الفاسدة المشبوهة التي تحاول النيل من الإسلام وجوهره ، فقد تدارست جمعية رابطة العلماء في العراق خطورة هذه الأقوال الفاسدة وأثرها في تسميم الفكر ، وتضليل الرأي في المجتمعات الإسلامية وانعكاساتها السلبية في نشر الإسلام في المجتمعات غير الإسلامية .

وقررت بالإجماع إصدار هذا البيان تعبيراً عن استنكار علماء الدين في العراق لهذا الزعم الذي أطلقه الخميني وتأكيداً على أن مثل هذه التصريحات المضللة مما يثير الفتنة والشكوك في العالم الإسلامي ، ولا ينبغي بحال من الأحوال أن يصدر عن أي مسلم من المسلمين ، والله من وراء القصد ».

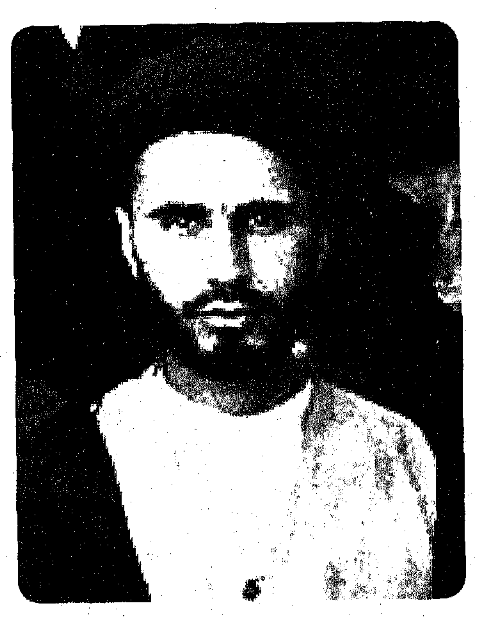
أما رأي العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في الخميني كان مؤكدا لكل ما سبق حيث اصدر بيانا قال فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم، فقد وقفت على الأقوال الخمسة التي نقلتموها عن كتب المسمى (روح الله الخميني) راغبين مني بيان حكمي فيها ، وفي قائلها ، فأقول وبالله تعالى وحده أستعين : إن كل قول من تلك الأقوال الخمسة كفر بواح ، وشرك صراح ، لمخالفته للقرآن الكريم ، والسنة المطهرة وإجماع الأمة ، وما هو معلوم من الدين بالضرورة ولذلك فكل من قال بها ، معتقداً ، ولو ببعض مافيها ، فهو مشرك كافر ، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه المحفوظ عن كل زيادة ونقص : (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) وبهذه المناسبة أقول : إن عجبي لا يكاد ينتهي من أناس يدعون أنهم من أهل السنة والجماعة ، يتعاونون مع (الخمينيين) في الدعوة إلى إقامة دولتهم ، والتمكين لها في أرض المسلمين ،

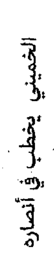
جاهلين أو متجاهلين عما فيها من الكفر والضلال ، والفساد في الأرض :
(والله لا يحب الفساد) .
فإن كان عذرهم جهلهم بعقائدهم ، وزعمهم أن الخلاف بيننا وبينهم إنما هو خلاف في الفروع وليس في الأصول ، فما هو عذرهم بعد أن نشروا كتيبهم : (الحكومة الإسلامية) وطبعوه عدة طبعات ، ونشروه في العالم الإسلامي ، وفيه من الكفريات ما جاء نقل بعضها عنه في السؤال الأول ، مما يكفي أن يتعلم الجاهل ويستيقظ الغافل ، هذا مع كون الكتيب كتاب دعاية وسياسة ، والمفروض في مثله أن لا يذكر فيه من العقائد ما هو كفر جلي عند المدعوين، ومع كون الشيعة يتدينون بالتقية التي تجيز لهم أن يقولوا ويكتبوا ما لا يعتقدونه ، كما قال عز وجل في بعض أسلافهم :
(يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم)
وقد (قالوا كلمة الكفر) في كتيبهم ، مصداق قوله تعالى في أمثالهم : (والله مخرج ما كنتم تكتمون) ، (وما تخفي صدورهم أكبر) وختاماً أقول محذراً جميع المسلمين بقول رب العالمين :
(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء في أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون) وسبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك.
وبالرغم من كل ما سبق من رأي علماء المسلمين في الخميني إلا أن علم السياسة في الدولة الإيرانية التي تدعي أنها إسلامية يعتمد أساسا على رمز الخميني وعلى السلطة التي نالها بلقب «الإمام» ، وإلى ذلك يجب على العصابات السياسية المتناحرة في إيران أن تنال رضا واعتماد آية الله قرين الكبر والهذيان عند اتخاذ أي قرار ذي بال ولا تكاد تأتي إحدى عصابات الاستشاريين التابعين للخميني لتقضي وقتا من الزمن في تملق هذا المجنون الخرف لاتخاذ موقف معين بخصوص قضية ذات أهمية ، حتى تأتي إليه

عصابة أخرى وهي على استعداد لإقناع فضيلته بوجهة النظر المخالفة.
ومن خلال التلاعب بعقل هذا الرجل المسن ، عاشت الفصائل الإيرانية حياة البرية المتوحشة أو تستميت تلك الجماعات المتناحرة فيما بينها للوصول إلى السلطة وبطبيعة الحال لا يجدي الجدل العقلاني مع الخميني بأي حال من الأحوال ، ولكن الأكثر نفعا هو ذلك الجدل الذي يقوم على أساس إلقاء التهم الجزاف على المعارضين من قبيل العداء للإسلام و محاربة الله .
«فالنجاسات إحدى عشرة» ، بهذا صرح الخميني:
« البول والعذرة والمني والعظم والدم والكلب والخنزير وغير المسلم ، رجلاً كان أو امرأة ، والخمر والبيرة وعرق الإبل التي تتغذى على العذرة ثم أضاف قائلا :
«الخمر وغيرها من سائر المشروبات المسكرة غير طاهرة ، ولكن الأفيون والحشيش طاهران « !!
ثم إن الخميني تابع قائلاً : «لا يجوز إعادة استخدام فضلات الحيوانات أو الإفرازات الأنفية لها وأما إن خلطت تلك المواد في صورة جزيئات دقيقة مع غيرها من الأغذية ، فلا يحرم حينئذ استهلاكها. ويكره تناول لحوم الخيل والبغال والحمير ويحرم تحريما شديدا تناول الحيوان الذي وطأه إنسان وهو حي.!! وفي تلك الحالة ، يؤخذ هذا الحيوان إلى خارج المدينة ثم يباع» .
«إذا وطأ إنسان بقرة أو شاة أو ناقةً ، تنجس بذلك بولها وفضلاتها ، ويكره حينئذ تناول ألبانها ويقتل هذا الحيوان بسرعة ويلزم من أتاه بدفع ثمنه إلى صاحبه !!
ومن أقواله أيضا « أثناء فترة الحيض بالنسبة للمرأة ، يستحب للرجل اجتناب الجماع ، حتى وإن لم ينضو ذلك على ولوج كامل - أي أن يكتفى حينئذ بإيلاج الحشفة أو قدرها فقط - كذلك حتى وإن لم ينته الأمر بالقذف كما أنه من المكروه للرجل في تلك الأيام إتيان امرأته في الدبر « .
ولم يقتصر الأمر على ذلك فحسب ، بل استمر الخميني في الترويج لمثل تلك الأمور:
«صلاة الآيات هي اسم للصلاة التي ينبغي أداؤها إذا شاهد الإنسان ظاهرة

طبيعية تثير الخوف . وتشرع تلك الصلاة في أربع حالات : الكسوف الكلي أو الجزئي للشمس، والخسوف الكلي أو الجزئي للقمر، والزلازل، حتى لو لم تكن مخيفة ، والرعد ، والبرق ، أو الرياح السوداء أو الحمراء. وإذا تزامن وقوع العديد من تلك الظواهر في آن واحد ، كأن يصاحب الكسوف وقوع زلزال ، حينئذ ينبغي أداء صلاتين !!



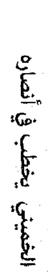
الخميني في شبابه



الخميني يخطب في أنصاره



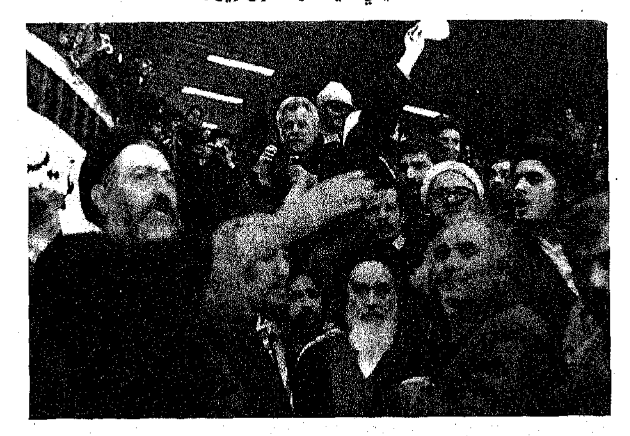
الخميني يخطب في أنصاره



الخميني يخطب في أنصاره



الخميني حين عودته إلى إيران

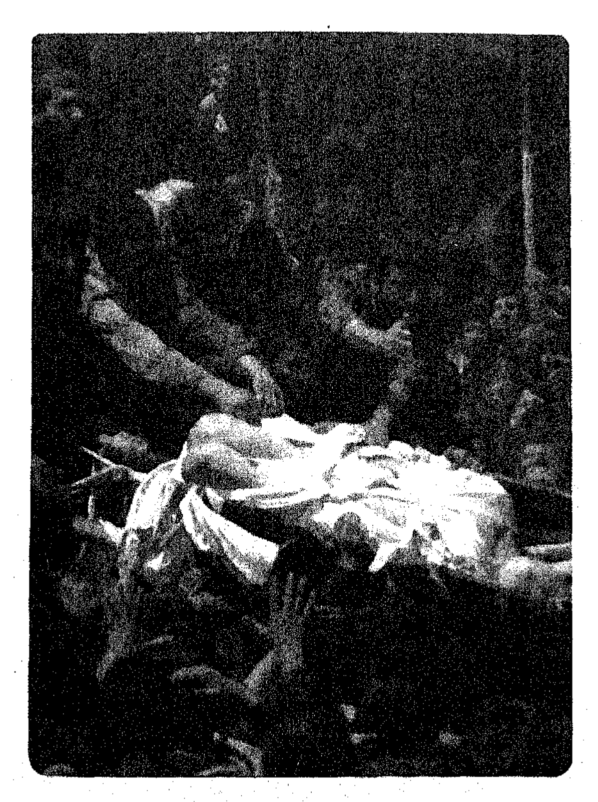


الخميني فور وصوله المطار

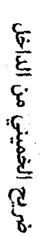
الخميني ومريديه



الخميني وعائلته



جنازة الخميني



ضريح الخميني من الداخل

حسن البنا

ولد مؤسس جماعة الإخوان المسلمين في مصر في ١٤ أكتوبرمن عام ١٩٠٦ تلقى المبادئ الباطنية الصوفية في سن مبكرة ، وسرعان ما ألقي القبض عليه ضمن شبكة الأفغاني ومحمد عبده في القاهرة كان حسن البناء وقبل قتله عام ١٩٤٩ قد نجح في بناء منظمة مرهوبة الجانب في كل أنحاء العالم الإسلامي.

كان والد البنا الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي ، كاتبا ذا صيت معقول تلقى تعليمه في جامعة الأزهر على يد محمد عبده وتنقل البناء الذي ألحقه والده بالمدارس الصوفية، بالعديد من الجمعيات الدينية المتعاقبة في سن الثانية عشرة كان الصبي رئيس جمعية أطلق عليها «جمعية السلوك القويم «، ثم انتقل إلى «جمعية منع المحرمات» ، وفي بداية حياته ، تعرف على الدوائر الصوفية للإخوان الحصافية ، وظل عضوا بهذه الجمعية السرية لأكثر من عشرين عاما وبحلول عام ١٩٢٢ ، تم قبوله كعضو كامل الصلاحيات في الطائفة الحصافية، وارتدى بفخر عمامة الطائفة وعباءتها البيضاء.

وكان الغزالي هو شمس البنا الهادية ، حيث قرأ البنا كتبه مرات ومرات وكان حديث الجمعيات التي انتمى إليها البنا يدور حول خطر النزعة القومية في مصر، المتمثلة في أحزاب ليبرالية مثل الوفد. كما كانوا يراقبون بحذر

التطورات في تركيا تحت حكم كمال أتاتورك وقد شجعت عملية التطور لاقتصادي في مصر وأجزاء أخرى من العالم الإسلامي على نمو عملية التعلم العلمي والمدارس المخصصة للتعليم الفني ، وهو ما اعتبره الصوفيون خطرا داهمًا على «طريقة الحياة الإسلامية .» وفي كل مكان كان ينظر فيه أتباع البنا، كانوا يرون فيه علامات «الردة والعدمية» من التيارات التي يزعم أنها معادية للإسلام ، بالإضافة إلى «إضعاف تأثير الدين « ومن ثم قرر البنا تشكيل جماعة مختلفة مخصصة لنشر الإسلام الأصولي بين المصريين العاديين واتخذ البنا من جامعة الأزهر ومركز دار العلوم للتعليم العالي مقرا له ، ونظم «المؤتمرات الشعبية» لمواجهة دعاية الإصلاحيين.

غير أن الزخم للإخوان المسلمين جاء مباشرة من حزب المنار السائر على نهج الأفغاني ومحمد عبده ومع مطلع القرن العشرين، ساد حزب المنار مصر ومن بين أعضائه كان قادة جامع وجامعة الأزهر، الذي راهن فيه فصيل محمد عبده على دعوته .

وفي سن الحادية والعشرين وصل البنا إلى قيادة المنار ومنذ أواخر العشرينات من القرن العشرين، بدأ يقابل بشكل متكرر رشيد رضا ويتحدث معه لساعات ومن خلال تأثير الرجل الأكبر سنا ، تأكد للبنا معتقده المناهض للتأثير «الغربي» في مصر وتقاليد «الفرنجة «؛ كما رفض الزخارف الثقافية الغربية لصالح «الإسلام الخالص» و ساعد البنا في تأسيس جمعية الشبان المسلمين، وسرعان ما تلا تلك الجمعية تأسيس جماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٢٩ . أنشأ البنا مقر الجماعة في مدينة الإسماعيلية وهي مدينة ساحلية تخضع لسيطرة شركة قناة السويس البريطانية-الفرنسية وقامت الشركة – الممثل الرسمي للاستعمار البريطاني في مصر – بتمويل الإخوان ومساعدة البنا في بناء أول مسجد له ، والذي استكمله عام ١٩٣٠ وفي عام ١٩٣٢ ، استطاعت إخوان البنا ، والتي التحق بها أخوه عبد الرحمن البنا ، المطالبة بفروع جديدة في الإسماعيلية وبورسعيد والسويس، وكانت تنتشر بشكل سريع في

طريقها إلى القاهرة والإسكندرية.

وعلى مدار السنوات التالية بدأت جماعة الإخوان المسلمين ترسخ جذورها، منتجة العديد من الإصدارات، وكان من بينها جريدة .

وفي أواخر الثلاثينات، كانت جماعة الإخوان المسلمين بلغت من القوة ما يمكنها من إنشاء أول فروعها شبه العسكرية والذي عرف «بالكتائب « لقد بدأ الأمر بإنشاء قسم يعرف «بالجوالة» .

وتحولت «الجوالة « إلى برنامج تدريب رياضي لقسم الشباب وسرعان ما تحولوا إلى جيش خاص. وسار تنظيمهم على نهج أسلوب سرايا موسوليني ؛ وفي الواقع كانت أجهزة المخابرات الألمانية والنازية والفاشية الإيطالية تساعد على خلق منظمات مماثلة في العديد من الدول العربية ، وتعد كتائب بيار الجميل في لبنان أحد الأمثلة على ذلك.

وفي عام ١٩٣٥ ، أجرى البنا اتصالات مع مفتى القدس المناصر للنازية والممول من بريطانيا، الحاج أمين الحسيني كما رنت أبصار الإخوان وحصلوا على دعم من الملك الفاسد فؤاد وخلفه الملك فاروق، وكلاهما دمية ذليلة للندن ، التي جلست على عرش مصر وبدأ تمويل الجماعة من أموال الدولة ومثلهم مثل الحزب الفاشي الآخر في مصر ، مصر الفتاة فاحتفل إخوان البنا بحكم الملك، في حين كانت يجهزون سرا لثورة عنيفة.

ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية بدأ الإخوان في تأسيس الشبكة الباقية إلى يومنا هذا تحت اسم إخوان لندن .

في البداية أقام الإخوان علاقات مع عائلة عزام ، بما في ذلك عبد الرحمن عزام؛ وفؤاد سراج الدين قائد الجناح اليميني في حزب الوفد المصري ؛ والرئيس المصري أنور السادات ، وضباط في الجيش المصري وفي عام ١٩٤١ ، تم تسجيل أول حالة تعاون بين الإخوان وأحد كبار ضباط المخابرات البريطانية ، ج هيورث دان، في سفارة لندن في القاهرة ، وكانت هذه هي مجرد البداية.

ومنذ عام ١٩٤٢ ، بدأ الإخوان في تأسيس تنظيمهم السري على نطاق واسع،

وذراعها الاستخباراتي الذي سرعان ما تحول إلى ذراع شبه عسكري .
وفي غضون ثلاث سنوات، بدأ الجناح العسكري في الانتشار، بل والسيطرة أحيانا على بعض المؤسسات ومن بين المؤسسات التي تم اختراقها الحزب الشيوعي في مصر، الذي يمثل نموذج التعاون الإخواني-الشيوعي الذي سرعان ما انتشر في كل أنحاء الشرق الأوسط ويعد هذا المزيج من «اليسار « و»اليمين « هو الطابع التقليدي لمعهد تافيستوك وجامعة ساسكس في لندن ويدرك الأمريكيون اليوم أن الحركة «الإسلامية الماركسية» هو التي أوصلت الخميني إلى سدة الحكم.
ومع اقتراب الحرب من نهايتها، بدأ الإخوان أولى هجماتهم الإرهابية ، وتمثل الهدف في تدمير الفصائل المنتمية إلى حزب الوفد القومي والحزب الشيوعي وحركة العمال والجيش والصناعة ، التي ربما تشكل سويًا تحالفًا لطرد البريطانيين من السويس والقاهرة.
وبعد عام ١٩٤٥ تم تأسيس تحالف هادئ في مصر بين القصر والطبقة الأرستقراطية والإخوان المسلمين وكان العنصر الأساسي في هذا التحالف - والذي يمثل حجر الزاوية في الوجود البريطاني في مصر - هو أنور السادات فعقب إطلاق سراحه من السجن عام ١٩٤٤ ، التقى السادات بحسن البنا، الذي طلب منه التوسط في صفقة بين البنا والملك فاروق.
وكانت همزة وصل السادات بالقصر حينئذ هو يوسف رشاد ، الطبيب الشخصي للملك فاروق ومدير خدمة المخابرات الملكية ، وقد ظل السادات ورشاد أصدقاء مقربين لسنوات عديدة ويذكر السادات في سيرته الذاتية «البحث عن الذات» رشاد قائلاً : «لقد نشأنا أكثر من مجرد أصدقاء.» «لقد صرنا رفيقين متلازمين ولا أزال أذكر اليوم الذي أعطاني فيه كتاب الشمولية والحرية والحكومة النيابية، لجون ستوارت ميل وهو كتاب أثّر في كثيرًا.»
وعن طريق رشاد ، عمل السادات كهمزة الوصل بين لندن والملك ، المغرم بالبريطانيين وإخوان حسن البنا.

وطوال شتاء ١٩٤٦ عمل الإخوان كأداة تخريب سياسية ، حيث اغتالوا قادةً من جميع الأحزاب، محاولين بصفة خاصة منع التحالف الوفدي -الشيوعي . ورغم انقسام الوفد نتيجة كثرة فصائله والفساد المستشري حيث هاجمت صحافة الحزب «الإرهاب الفاشي» للإخوان متهمة «كتائب الإخوان» بالبلطجة وعندما كان الوفد يحاول إنشاء «حكومة أقلية »، كان الإخوان يزعزعون استقرارها ببضع مذابح موجهة بدقة.

في إحدى الحالات تم اغتيال وزير المالية أمين عثمان باشا عام ١٩٤٦، وسط اتهامات عامة بأنه كان «عميلا بريطانيا» ، ولعل المثير للدهشة أن هذه الاتهامات نشرت عن طريق المعهد الملكي للشؤون الدولية.

وبلغ إرهاب الإخوان المسلمين ذروته عام ١٩٤٨ وفي هذه النقطة الزمنية ، بدأت الحكومة المصرية في الانهيار وفي البداية ، نفى البنا أي صلة لجماعته بالإرهاب، ملقيا باللائمة على العناصر غير الخاضعة للسيطرة في الحركة غير أنه في نوفمبر عام ١٩٤٨ ، أصدر رئيس الوزراء النقراشي باشا أمرا بحل جماعة الإخوان المسلمين واعتبارها جماعة محظورة وفي ٢٨ من ديسمبر وجاء رد الجماعة ، متمثلاً في اغتيال النقراشي وفي غضون أسبوعين ، واصل البنا الهجوم ، حيث تبرأ من إنكاره الأول للإرهاب ، ودعا الإخوان المسلمين للجهاد . وفى اليوم التالي لقرار حل الجماعة بدأت حملة الاعتقالات والمصادرات ولما همّ حسن البنا أن يركب سيارة وُضع فيها بعض المعتقلين اعترضه رجال الشرطة قائلين : لدينا أمر بعدم القبض على الشيخ البنا.

ثم صادَرت الحكومةُ سيارته الخاصّة، واعتقلت سائقه، وسحب سلاحه المُرخص ، وقبضت على شقيقيه الذين كانا يرافقانه في تحركاته، وقد كتب إلى المسؤولين يطلب إعادة سلاحه إليه، ويُطالبُ بحارس مسلح يدفع هو راتبه، وإذا لم يستجيبوا فإنه يُحَمّلهم مسئولية أيّ عدوان عليه.

وفي الساعة الثامنة من مساء السبت ١٢ فبراير ١٩٤٩ م كان حسن البنا منصرفا من باب جمعية الشبان المسلمين ويرافقه رئيس الجمعية لوداعه

ودقّ جرس الهاتف داخل الجمعية، فعاد رئيسها ليجيب الهاتف، فسمع إطلاق الرصاص، فخرج ليرى صديقه الأستاذ البنا وقد أصيب بطلقات تحت إبطه وهو يعدو خلف السيارة التي ركبها القاتل، ويأخذ رقمها وهو رقم «٩٩٧٩» والتي عرف فيما بعد أنها السيارة الرسمية للأميرالاي محمود عبد المجيد المدير العام للمباحث الجنائية بوزارة الداخلية كما هو ثابت في مفكرة النيابة العمومية عام ١٩٥٣.

لم تكن الإصابة خطرة بل بقي البنا بعدها متماسك القوى كامل الوعي، وقد أبلغ كل من شهدوا الحادث رقم السيارة، ثم نقل إلى مستشفى القصر العيني فخلع ملابسه بنفسه لفظ البنا أنفاسه الأخيرة في الساعة الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل، أي بعد أربع ساعات ونصف من محاولة الاغتيال بسبب فقده للكثير من الدماء بعد أن منعت الحكومة دخول الأطباء أو معالجتهم للبنا مما أدى إلى وفاته ، ولم يعلم والده وأهله بالحادث إلا بعد ساعتين ، وأرادت الحكومة أن تظل الجثة في المستشفى حتى تخرج إلى الدفن مباشرة، ولكن ثورة والده جعلتها تتنازل فتسمح بحمل الجثة إلى البيت، مشترطة أن يتم الدفن في الساعة التاسعة صباحاً، وألا يقام عزاء!.

اعتقلت السلطة كل رجل حاول الاقتراب من بيت البنا قبل الدفن فخرجت الجنازة تحملها النساء، إذ لم يكن هناك رجل غير والده ومكرم عبيد باشا والذي لم تعتقله السلطه لكونه مسيحيا، وكانت تربطه علاقة صداقة بحسن البنا. فقضى العديد من الإخوان معظم فترة العامين من ١٩٤٩ حتى ١٩٥١ في السجون ، وظل تنظيم الإخوان على قيد الحياة سرا ، حيث غرس الإخوان الذين تعرضوا للنفي بذور الجماعة في سوريا والأردن وباكستان.

وتولى منير الدلة وهو من كبار ملاك الأراضي المصريين، زمام قيادة الإخوان بعد البنا، وعين الدلة حسن إسماعيل الهضيبي المرشد العام للجماعة ، وكان الهضيبي زوج أخت رئيس المقر الملكي وفي عام ١٩٥٢ ، قام الضباط الأحرار بالانقلاب العسكري الذي أطاح بالملك. وكان الانقلاب ثمرة عمل العديد من

وكالات الاستخبارات الأجنبية ، وبخاصة البريطانية والفرنسية والأمريكية ، بالإضافة إلى الإخوان المسلمين ، الذين التفوا حول فكر قومي مصري وكان محمد نجيب، واجهة الضباط الأحرار، مقربا من الإخوان غير أنه في غضون سنوات ، ازداد التوتر بين الضباط الأحرار والجماعة السرية .

في الأيام الأولى من قيام ثورة ٢٣ يوليو أعادت سلطات الثورة التحقيق في ملابسات مصرع حسن البنا وتم القبض على المتهمين باغتياله وتقديمهم أمام محكمة جنيات القاهرة حيث صدرت ضدهم «أحكام ثقيلة» في أغسطس ١٩٥٤ حيث قال القاضي في حيثيات الحكم «إن قرار الاغتيال قد اتخذته الحكومة السعدية بهدف الانتقام لم يثبت تواطؤ القصر في ذلك لكن القاضي أشار إلى أن العملية تمت بمباركة البلاط الملكي، المتهم الأول « أحمد حسين جاد « الأشغال الشاقة المؤبدة المتهم السابع محمد محفوظ الأشغال الشاقة خمسة عشر عاما المتهم الثامن الأميرلاي محمود عبد المجيد الأشغال الشاقة خمسة عشر عاما البكباشي محمد الجزار سنة مع الشغل قضاها في الحبس الاحتياطي فأفرج عنه» ، إضافة لتعويض مادي كبير تمثل في دفع عشرة آلاف جنيه مصري كتعويض لأسرة البنا .

وفي فبراير وأبريل عام ١٩٥٣ ، عقد المرشد العام الهضيبي سلسلة من اجتماعات التآمر بالغة السرية مع تريفور إيفانز في السفارة البريطانية في القاهرة وطبقًا لوثائق حكومية مصرية رسمية، فإن الهضيبي الذي كان يتصرف بناءً على سلطته الخاصة ، أخبر البريطانيين أنه قد يتحالف معهم لمنح بريطانيا العظمى حقوقًا دائمة في قاعدة قناة السويس بعد الانسحاب الرسمي للقوات البريطانية المتمركزة هناك وتمت الاجتماعات السرية في خضم المفاوضات البريطانية الأمريكية المتأزمة بشأن السويس.

ولكن تم القبض على الإخوان متلبسين بالجريمة ومع اقتراب حكومة جمال عبد الناصر من المواجهة مع البريطانيين، قامت لندن بتوجيه الإخوان المسلمين، لإشعال حرب ضد الرئيس القومي، وحصل الإخوان على مساعدة

من المخابرات الإسرائيلية في هذا الأمر.

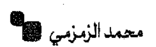
ففي فضيحة كانت لها تداعيات عالمية دخل فريق من المخربين الإسرائيليين إلى مصر، ووضعوا عبوات متفجرة في العديد من المكاتب الأمريكية والبريطانية، آملين في إثارة حرب أهلية في مصر تسقط حكم عبد الناصر، غير أن الخطة تسربت وتم كشفها وأطلقت جريدة الأهرام المصرية وغيرها من الجرائد المصرية على الإخوان المسلمين ، التي قامت الحكومة بحلها رسميا، معول المستعمرين و الصهاينة .

ومجددا لجأ الإخوان إلى الإرهاب ففي ٢٦ من أكتوبر عام ١٩٥٤ ، وبينما عبد الناصر يلقي كلمة أمام حشد كبير من الناس ، أطلق أحد أعضاء الإخوان ست رصاصات على الرئيس المصري، غير أنه لم يصب بأذى. ومع خفوت أصداء الطلقات قال عبد الناصر:

« أيها المواطنون، أيها الأحرار...حتى لو قتلوني الآن، فقد غرست فيكم احترام الذات . دعوهم يقتلونني الآن، فقد غرست في هذه الأمة الحرية والكرامة واحترام الذات...تذكروا أنه إن حدث لي شيء ، فإن الثورة مستمرة ، فكلكم جمال عبد الناصر.»

وبعد حادثة المنشية صدرت قرارات بالعفو عن كل المتهمين في قضية اغتيال حسن البنا، أُفْرِجَ عن القتلة بعد شهور قليلة قضوها داخل السجون .

وسرعان ما تلا ذلك عمليات اعتقال وإعدام جماعية للإخوان المسلمين وفي كل أنحاء مصر، تم اضطياد الإخوان، ففر المئات منهم إلى سوريا والأردن والخليج العربي وباكستان لقد تم قمع الحركة في مصر، لكنها وجدت مأوى لها في كل ركن من أركان العالم الإسلامي.



حسن البنا



حسن البنا في غزة



حسن البنا مع أحد الصحفيين الأجانب



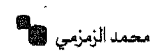
حسن البنا يقبل يد ملك السعودية



حسن البنا بين رجاله



حسن البنا في غزة



محاولة اغتيال جمال عبد الناصر

ماسونية سيد قطب

ولد «سيد قطب» في قرية (موشة) بمحافظة أسيوط في يوم ١٩٠٦/١٠/٩ ، وفى عام ١٩٢٠ سافر إلى القاهرة لينضم إلى مدرسة المعلمين الأولية حيث نال منها شهادة الكفاءة ، التحق بعدها إلى تجهيزية دار العلوم ، وفى عام ١٩٣٢ حصل على درجة البكالوريوس في الآداب من كلية دار العلوم . وعمل مدرسا لمدة ست سنوات ، ثم موظفا في الحكومة وبعد سنتين عين في وزارة المعارف - في عهد إسماعيل القباني - في وظيفة «مراقب مساعد» حتى قدم استقالته لأن رؤسائه لم يقتنعوا بمقترحاته الإسلامية .

وقبل مجلس قيادة الثورة الاستقالة سنة ١٩٥٤، وفي نفس السنة تم اعتقاله وحكم عليه بالسجن لمدة خمسة عشر عاما ولكن الرئيس العراقي «عبد السلام عارف» تدخل وتم الإفراج عنه بسبب سوء حالته الصحية سنة ١٩٦٤ .

فيقول « سيد بشير أحمد كشميري « في كتابه «عبقري الإسلام سيد قطب» عن دار «الفضيلة» ما نصه :

« وإننا نرى أن سيد قطب حين وصل الثلاثينات بلغ حد التمرد في بعض كتاباته ، حيث سخر من القيود الأخلاقية والاجتماعية ودافع عن الإباحية ، وصرّح أنه لو وكل إليه تكوين الكون من جديد لم يجعله « إلا حدائق ومنتزهات فيها الأصدقاء والخلان والمحبوبون والحبيبات ، للتناجي والسهراللطيف ، لا ضجيج ولا اضطراب» .

حياة «سيد قطب» مرت بمراحل متعددة وتقلبات كثيرة انتقل فيها من تيارات فكرية إلى أخرى ، ويعترف «سيد قطب» أكثر من مرة بمروره بمرحلة التيه في عقيدته الدينية ، وفي عام ١٩٣٤ نشر في الأهرام دعوته للعرى التام !! وأن يعيش الناس عرايا كما ولدتهم أمهاتهم ، وقد كان ذلك منتشرا في البلدان الأوربية آنذاك .

وقد أكدت ذلك مجلة روز اليوسف سنة ١٩٩٦ في العدد/ ٣٥٥٥ ص/٣٤ حين نشرت مقالا بعنوان «سيد قطب من الإلحاد إلى القداسة والعكس» وكتبت فيه عن دعوته للعرى ، وعن حبه لفتاة أمريكية حتى أنه بكى حينما تزوجت من غيره ..

ومع نهاية عام ١٩٤٨ سافر قطب إلى الولايات المتحدة في بعثة تدريبية حول التربية وأصول المناهج ، والملفت للنظر في هذه البعثة أنها جاءت فجأة وشخصية ، فلم يعلن عنها ليتقدم لها من يرى نفسه كفئا خاصة وأن سيد قطب كان قد تجاوز السن التي تشترط إدارة البعثات توفرها بكثير فمن الواضح أن ذهاب سيد قطب إلى الولايات المتحدة كان وليد تخطيط خفي بعيد عن سيد قطب نفسه !!

ويبدو أن الماسونية امتدت إلى «سيد قطب» وبعض الأعضاء من تنظيم «الإخوان المسلمين» حيث قام سيد قطب والذي وجد إعراضا عن نشر معتقداته وأراءه في الأهرام قد فاجأ الجميع بنشر مقالاته الأدبية في جريدة (التاج المصري) وهي جريدة ماسونية وكانت « لسان حال المحفل الأكبر الوطني المصري ، وإن لم يصرح أي من مصادر الماسونية أن « سيد قطب» كان ماسونيا .. لكن المعروف عادة عن الصحف الماسونية أنها لا تسمح لأحد من غير الأعضاء في الماسونية بالكتابة فيها مهما كانت صفته أو منصبه .

وقد كتب الشيخ «محمد الغزالي» وهو من أكبر رجالات الأخوان وصديق للشيخ «حسن البنا» في كتابه «من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث» الطبعة الثانية ١٩٦٣) عن تولى المستشار حسن الهضيبى منصب المرشد

العام للجماعة: «**استقدمت الجماعة رجلاً غريبًا عنها ليتولى قيادتها وأكاد أوقن بأن من وراء هذا الاستقدام أصابع هيئات سرية عالمية أرادت تدويخ النشاط الإسلامي الوليد فتسللت من خلال الثغرات المفتوحة في كيان جماعة هذا حالها وصنعت ما صنعت ، ولقد سمعنا كلامًا كثيرًا عن انتساب عدد من الماسون بينهم الأستاذ حسن الهضيبي نفسه لجماعة الإخوان ولكني لا أعرف بالضبط كيف استطاعت هذه الهيئات الكافرة بالإسلام أن تخنق جماعة كبيرة على النحو الذي فعلته ، وربما كشف المستقبل أسرار هذه المأساة» .**

وأضاف أيضا الشيخ «محمد الغزالي» :

«أن «سيد قطب» منحرف عن طريقة حسن البنا، وأنه بعد مقتل حسن البنا وضعت الماسونية زعماء لحزب الإخوان المسلمين، وقالت لهم ادخلوا فيهم لتفسدوهم، وكان منهم «سيد قطب .

للأسف الشديد قام الشيخ « محمد الغزالى « بحذف تلك الفقرات من كتابه في طبعاته اللاحقة تحت ضغط قادة جماعة الإخوان المسلمين، ولكن النسخ المتوفرة من الكتاب طبعة عام ١٩٦٣ تحتوى تلك الاعترافات عن حسن الهضيبى وسيد قطب.

فإذا اعتبرنا أن بعض الأعضاء في تنظيم «الإخوان المسلمين» كانوا أعضاء في الماسونية، ولو صدق ذلك فسوف يكون هناك علامات استفهام لا تجد من يجيب عليها ، فما مدى انتمائهم إلى الماسونية ؟ وما هو الغرض من انضمامهم ؟ ولأي مدى كان اقتناعهم بمبادئها ؟ كل ذلك لا يجد من يجيب عليه خاصة وأنه شتان بين مبادىء الماسونية ومبادىء «الأخوان المسلمين» .

فمسألة مدى انتماء بعض قيادات الإخوان إلى الماسونية ومدى صدق ذلك الانتماء ومدى الإيمان بمبادئها أمر غامض لا يباح به لأقرب الأقربين ، كما لا تظهر المذكرات الشخصية لأي منهم أية علاقة من قريب ولا من بعيد بالماسونية وكأنهم لم يقربونها قط .

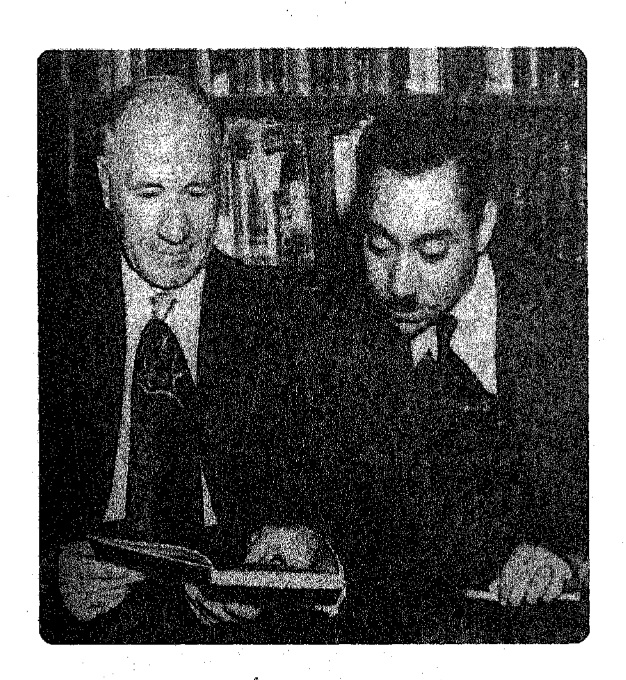
فكتب «محمد الغزالي» تتمة لما ذكرناه سابقا وخاتمة له ، فيقول :

«فلم يشعر أحد بفراغ الميدان من الرجالات المقتدرة في الصف الأول من جماعة الإخوان المسلمين إلا يوم قتل حسن البنا في الأربعين من عمره ، لقد بدا الأقزام على حقيقتهم بعد أن ولى الرجل الذي طالما سد عجزهم .

وكان في الصفوف التالية من يصلحون بلا ريب لقيادة الجماعة اليتيمة ، ولكن المتحاقدين الضعاف من أعضاء مكتب الإرشاد حلوا الأزمة ، أو حلت بأسمائهم الأزمة بأن استقدمت الجماعة رجلاً غريباً عنها ليتولى قيادتها ، وأكاد أوقن بأن من وراء هذا الاستقدام أصابع هيئات سرية عالمية أرادت تدويخ النشاط الإسلامي الوليد فتسللت من خلال الثغرات المفتوحة في كيان جماعة هذه حالها وصنعت ما صنعت ولقد سمعنا كلاما كثيرا عن انتساب عدد من الماسون بينهم الأستاذ حسن الهضيبي نفسه لجماعة الأخوان ولكنني لا أعرف بالضبط، استطاعت هذه الهيئات الكافرة بالإسلام أن تخنق جماعة كبيرة على النحو الذي فعلته ، وربما كشف المستقبل أسرار هذه المأساة .

وقد ألف « سيد قطب « كتابه الأشهر معالم على الطريق وهو الكتاب الذي عرض على جمال عبد الناصر شخصيا وكان هو من أقر نشره وسرعان ما نفذت طبعته الأولى وهنا قال ناصر معلقا على طلب إصدار طبعة جديدة منه أنه يجيز إعادة طبع الكتاب لكن أجهزة الأمن يجب أن تدرك أن هناك تنظيما وراء هذا الكتاب ..

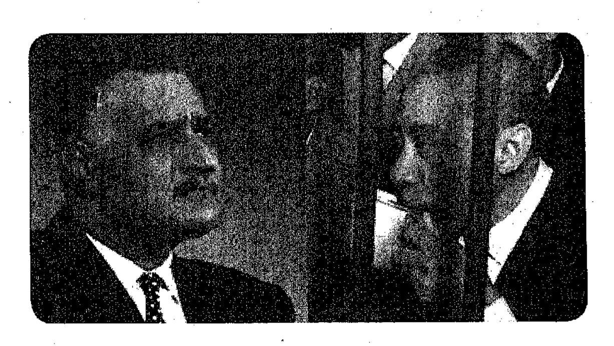
بعدها تحركت أجهزة الأمن واعتقلت «سيد قطب» بالفعل وأثناء إعتقاله جاءت محاولة إغتيال جمال عبد الناصر في حادثة المنشية ليقدم أقطاب الجماعة للمحاكمة ويعدم سيد قطب الذي مثل كتابه معالم على الطريق الأساس النظري لتحرك الإخوان المسلمين .



سيد قطب في حوار أدبي



طابع بريد ايراني تخليدا لسيد قطب



أخطاء الشاه القاتلة

ولد الشاه محمد رضا بهلوي في مدينة طهران الإيرانية في ٢٦ أكتوبر ١٩١٩ وكان آخر شاه يحكم إيران قبل الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩، واستمر حكمه من ١٩٤١ إلى ١٩٧٩.

وتلقى تعليمه في المدرسة الداخلية السويسرية «لا روسي» ، ثم اكمل تعليمه في ايران في الكلية الحربية وقد خلف محمد رضا والده كشاه لإيران بعد ان أطاحت قوى التحالف برضا بهلوي خوفاً من جنوحة ناحية « ادولف هتلر « في الحرب العالمية الثانية وتزويده بالنفط ، فقامت قوات التحالف باحتلال ايران والإطاحة برضا بهلوي وتنصيب ولده محمد رضا بهلوي بدلاً منه.

وقد عانت ايران من اضطرابات سياسية كبيرة بعد الحرب العالمية الثانية وادت هذه الاضطرابات إلى قيام رئيس الوزراء الايراني «محمد مصدّق» بارغام الشاه محمد رضا بهلوي على مغادرة ايران ، لكنه عاد إلى ايران بانقلاب مضاد لانقلاب رئيس الوزراء بمساعدة المخابرات الامريكية والبريطانية وأقال مصدّق من منصبه واستعاد عرش ايران.

و أعتقل محمد مصدق بعدها وسجن لمدة ثلاث سنوات وأطلق سراحه بعدها إلا أنه أستمر رهن الإقامة الجبرية حتى وفاته في العام ١٩٦٧

وحينما عاد الشاه الى الحكم عمل على تغييرات سياسية من اهمها إلغاء الأحزاب السياسية مع الإبقاء على الحزب الحاكم، وأعاد إلى الحياة مهمة

البوليس السري «سافاك» التي بطشت بالشعب الايراني ايما بطش، وعمل على تقطيع الأراضي الزراعية الكبيرة واستحداث أراضي صغيرة كي يستفيد ٤ ملايين فلاح ايراني من تلك الأراضي، والسماح للمرأة بالتصويت.
وقد اثمرت الإصلاحات الزراعية بشكل ايجابي على الإقتصاد الايراني وكانت فترة الستينات وسبعينات القرن العشرين فترة انتعاش اقتصادي ايراني لم يسبق له مثيل، وبالرغم من الانتعاش الاقتصادي، الا ان التغييرات السياسية التي مست الأحزاب الايرانية وتفعيل دور السافاك ولدت للشاه أعداء كثيرين .
وفي أثناء فترة الخمسينيات والستينيات ورط الشاه نفسه في صفقات نفطية خارج إطار اتحاد النفط الأنجلو أمريكي الذي كانت ترأسه شركة «بريتيش بتروليوم»، وإلى جانب ذلك عقد الشاه في أواخر لخمسينيات حلفًا مع الإيطالي إنريكو ماتي، رئيس شركة ENI للطاقة المملوكة للدولة ، ليثير غضب لندن هو إلى ذلك تقرب إلى الاتحاد السوفيتي لإبرام اتفاقيات اقتصادية.
وفي أواخر الستينيات وبدايات السبعينيات وبتوجيه من وكيل وزارة الخارجية يوجين روستو، ثم من هنري كيسنجر عضو مجلس الأمن القومي ، سلك الشاه ببلده مسلك التسلح الواسع ، وإعداد العدة اللازمة لحماية المصالح البريطانية والأنجلو أمريكية في منطقة الخليج الفارسي وقد نالت سياسة روستو -كيسنجر التعاون الكامل من جهاز المخابرات الأجنبية الإسرائيلية ، المعروف بالموساد.

وفي عام ١٩٧٥شهد العالم أول تحد صريح من الشاه لكيسنجر وبوساطة الرئيس الجزائري، هواري بومدين والملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية ، وقعت إيران معاهدة دولية مع جارتها دولة العراق لتنتهي بذلك حرب منهكة أحمى وطيسها الأقلية الكردية في العراق وقد كان التمرد الكردي مشروعا ثمينا للمخابرات المركزية الأمريكية -والذي كان مديرها السابق، ريتشارد هيلمس، سفيرا في إيران- وجهاز المخابرات السرية البريطانية والموساد وطبقًا لمصادر عربية ، كان آية الله الخميني في عام ١٩٧٥ معتقلاً

بالعراق، وكان ذلك يدعم التمرد الكردي ضد حابسيه العراقيين وحين أغلق الشاه الباب أمام الأكراد ، اشتاط كيسنجر غضبا لأن ملايين الدولارات المنفقة على الدعم اللوجيستي والأسلحة قد ضاعت هباءً في كردستان ، نظرا لأن القوات العراقية المسلحة لم تستغرق أي وقت يذكر للتخلص من بقايا التمرد وفي أعقاب قتل واعتقال القادة الإقطاعيين الأكراد الذين تزعموا التمرد ، تحركت الحكومة العراقية باتجاه كردستان وفي جعبتها مشروعات للتنمية الاقتصادية ، لتصير كردستان واحدة من المناطق الأكثر نموا في القطاع النامي . وعليه كانت المعاهدة التي أبرمت بين العراق وإيران صفعة مهينة على جبين البريطانيين والمخابرات المركزية الأمريكية.

وفي عام ١٩٧٧ ، اتخذت الأمور شكلاً أكثر حدة فقد بدأ الشاه تدريجيا في قطع أواصر الارتباط لوثيق بين إيران وإسرائيل ، وكذا التحلل من العلاقات القائمة بينها وبين أجهزة المخابرات السرية الإسرائيلية . وفي الوقت ذاته عمد إلى أن يسلك بدولته سبيل الشراكة القريبة مع العرب، وبخاصة العراق والمملكة العربية السعودية ، وهي العلاقة التي تأصلت أركانها في اجتماعات دول الأوبك في عام ١٩٧٧ ، ١٩٧٨فقامت إيران بفعل مذهل مغاير تماما لموقفها السابق في منظمة الأوبك حين أسقطت طلبها الذي طالما سعت إليه ألا وهو رفع الأسعار وفي مؤتمر صحفي في عام ١٩٧٧ ، أدهش الشاه العالم بإفصاحه عن نيته العمل على استقرار سعر النفط وقد كانت المملكة العربية السعودية وإيران آنئذ تنتجان ما يقرب من نصف إنتاج منظمة الأوبك الكلي ، وعلى ذلك إذا حصل الاتفاق بينهما على منظور معين للسياسات، فإنه سيعم رغم الاعتراضات التي قد تبديها بعض الدول الراديكالية مثل ليبيا.

أما الصفقة التي من الممكن أن تكون هي القشة التي قصمت ظهر البعير والتي أثارت غضب الحلف الأنجلو أمريكي على نحو بالغ ألا وهي الصفقة الثلاثية الأركان، والتي وافقت إيران بمقتضاها على إمداد الاتحاد السوفيتي بكميات ضخمة من الغاز الطبيعي على أن يزود اتحاد الجمهوريات الاشتراكية

السوفيتية « U.S.S.R » ألمانيا الغربية بكميات مكافئة من حقول الغاز المملوكة له . وفي ذلك الصدد زار الشاه العاصمة موسكو لمناقشة توسيع نطاق التعاون الاقتصادي الإيراني السوفيتي.

وفي ١٦ يناير ١٩٧٩، أُرغم الشاه على مغادرة ايران للمرة الثانية ولكن هذه المرة بغير رجعة ، اثر اضطرابات شعبية واسعة ومظاهرات عارمة في العاصمة. طهران وبمغادرة الشاه للعاصمة طهران، تسلم الشعب الايراني دفة الحكم بقيادة اية الله الخميني بعد عودته من منفاه في المدينة الفرنسية باريس.
وكان قد اصبح جلياً للعالم ملف محمد رضا بهلوي واساليبه القمعية ابان حكمه ولم يكن مرحباً به في بلدان العالم،ولفترة من الزمن، اتخذ الشاه بنما مستقراً له حتى ساءت حالته الصحية وتحتم عليه الحصول على علاج وتجرع الرئيس الامريكي جيمي كارتر السم وسمح للشاه المخلوع بالقدوم إلى الولايات المتحدة لتلقي العلاج وما ان استقرت الحالة الصحية للشاه، سارعت الحكومة الامريكية بطلب إلى الشاه لمغادرة الولايات المتحدة لتنامي الضغوط على الولايات المتحدة من ايران التي تطالب برأس الشاه وضاقت الأرض على الشاه بما رحبت الا من الرئيس المصري الراحل انور السادات الذي استضاف الشاه حتى مماته في ٢٧ يوليو ١٩٨٠ .

فساد نظام الشاه

النخبة الإيرانية كانت غارقة في الفساد والرشوة وكانت أسرة الشاه سيئة السمعة بسبب عدم اهتمامها بالدولة بقدر ما كان حرصها على الفرص التي تستجلبها من ورائها من صفقات تجارية مشبوهة وريب للبضائع والمقامرة في السوق العقارية والبهرجة بالذهب الذي لا تناله إلا أيدي فئة قليلة «فاحشة في الثراء» على مستوى الدول وزد على ذلك أن معظم أفراد الأسرة الملكية وأصدقائهم في إيران كانوا يقيمون في مدينة أكابولكو المكسيكية ، أو ريفيرا الفرنسية ، أو سويسرا أكثر من شغلهم لوظائفهم في طهران وبدلاً من أن يجمع إلى نفسه من يستشيره ويستنصحه في الأمور السياسية والاقتصادية والعسكرية، جنح الشاه إلى عصبة شيمتها التزلف والتملق ليس لها من صنيع إلا صب الإطراء والمديح عليه لنيل نصيب من الثروة والسلطة ولقد رفض الشاه مرة بعد مرة تطهير الحاشية المحيطة به.

وقد كان لإحساسه الذاتي بعدم الأهلية والدونية ، والذي عمق الشعور بها ما كان يستدعيه من ذكريات أليمة تعود في سببها إلى القهر الذي تعرض له والده ، رضا شاه ، على أيدي البريطانيين في عام ١٩٤١ ، وكذا تتويجه من بعد أبيه تتويج الدمية ، كل ذلك دفعه إلى الإفراط في تعويض هذا النقص من خلال الذات المتكبرة والسلوك المغرور المتغطرس .

ولهذا السبب فقد كثير من قادة إيران الأكفاء - وبخاصة هؤلاء الذين قادتهم البصيرة إلى استشراف مصيبة قريبة الوقوع - مناصبهم في السنوات الخمس أو العشر الأخيرة قبل بدء الثورة الخمينية ، ولم يتبق إلا الأعداء والخونة والمتزلفين .

كيف أطاح البريطانيون بالشاه ؟

نحن الآن في عام ١٩٧٨ الاضطراب يختمر في إيران طيلة عام تقريبا ، وقد جعلت بعض الاحتجاجات تفسق وتبزغ في يناير ١٩٧٨ بعد ثناء الرئيس كارتر خلال كلمة العام الجديد على إيران ووصفها بأنها «جزيرة الاستقرار ». أخذ الموقف يزداد سوءا بعد سوء قبل عام حين عمد الشاه إلى تغيير كبار الوزراء، كما كان الحال مع رئيس الوزراء عباس أمير هويدا الذي عين بدلا منه جمشيد أموزيغار وكان أبرز الآثار السيئة التي ترتبت على تعيين أموزيغار هو الإبطاء من زخم التطور وتحويل الاستثمارات إلى الزراعة بعيدا عن الصناعة والقطاعات التي تعتمد على التكنولوجيا المتطورة وفوق ذلك كله اتخذ أموزيغار موقف معاديا متبجحا تجاه رجال الدين ، إذ كان يرتكب أفعالا تبدو في ظاهرها الزائف مناوئة للملالي، غير أنها في الحقيقة كانت تزيد من حملة التصعيد المجابهة للحكومة فيما يبدو ولم يقتصر الأمر على ذلك فحسب ، بل إن أموزيغار أوقف الأموال التي كان يدفعها النظام إلى رجال الدين دون الرجوع إلى أحد في ذلك ، وبذلك بدت العلامات الأولى للاضطرابات والقلاقل في المساجد.

وكان التوقيت غير مناسب للاستفزازات فقد قاموا بالنشر في الصحافة الإيرانية بأمر من مسؤولين في وزارة المعلومات خطابات مهينة وجهت إلى رجال

الدين ، وكذلك ما كان من أمر إغارة الشرطة في عام ١٩٧٨ على منزل الزعيم الديني «آية الله شريعتمداري »، كل ذلك كان مدعاة لتفجر السخط العارم .
وكان الرجل المسؤول عن الشؤون اليومية لجهاز السافاك هو الجنرال «حسين فردوست »، ووفقا للمعلومات فقد كان» صديقا للشاه في الطفولة ،والتحقا معا بمدرسة Le Rosey و وفقا للمعلومات فإن فردوست كان على الأرجح زعيم الفتنة القابع في «الحلبة الداخلية» للثورة، ذلك أنه ظل يبحث، طيلة ما لا يقل عن عام قبل حلول فبراير ١٩٧٩ ، عن حلفاء من بين صفوف قادة القوات المسلحة وأجهزة المخابرات .
حيث أن الشاه وأخته الأميرة «أشرف» كانوا على ظن بأن الجنرال فردوست هو في الحقيقة خائن للنظام حيث تقول الأميرة أشرف :
« الغريب أن السافاك ، وهو البوليس السري الذي يعمل لمصلحة الشاه - والمفترض أن يكون المصدر المخابراتي الذي على دراية ومعرفة بكل شيء – لم يعد أي تقارير عن المد الثوري والأسلوب الذي اتبعه الملالي في استغلال قدسية المنابر لتقويض العرش.
وكان فردوست هو القناة التي تصل من خلالها المعلومات الحيوية العليا إلى أخي ، وإنني على قناعة بأن فردوست لا بد وأنه كان يخفي معلومات حيوية على الشاه ، وأنه إلى ذلك كان يجري مداولات مكثفة مع الخميني خلال السنوات الأخيرة للنظام.»
واليوم يقال إن فردوست هو واحد من بين قادة البوليس السري التابع للخميني السافاما ، وتردد ذكره بين المتورطين في حادثة مقتل الأمير شفيق في باريس عام ١٩٧٩ .
وبخصوص ذلك الاتهام، أخبر الشاه أحد الصحفيين بعد الحادثة قائلا :
«في قرارة نفسي لا أتمنى أن يكون هذا حقيقيا ، لئلا يكون ذلك كذلك ... أعني أنه شخص دنس قد بلغ من النذالة والوقاحة أشدهما « .
وفي بداية أغسطس ١٩٧٨ ، انصدعت إيران بأسوأ عمل إرهابي في التاريخ .

فبعد أسبوع من العنف المتناثر، مات ٤٠٠ شخص في ١٨ أغسطس عندما شب حريق في أرجاء سينما « ريكس « في عبادان .

لقد أشعلت النار عن عمد وقصد دونما شك ، وأغلقت الأبواب من الخارج لمنع أي محاولة للهرب من ذلك الجحيم ووسط هذا العنف المتصاعد في إيران واتهام السافاك بالتدبير لإشعال تلك النار عن عمد، شرعت وكالة أنباء فارس في حملتها الخاصة حيث صرحت :

«إن وراء تلك القلاقل الحادثة قوتين لا ثالثة لهما مجموعة من العوام السذج خضعوا لغسيل دماغي ممنهج من قبل أهل التطرف الديني والأفراد المنتمين للطبقة الإقطاعية على حد سواء»، ذلك بحسب ما قالته وكالة أنباء فارس .

على أن هؤلاء المشاغبين والإرهابيين يفعلون ذلك «بتحريض من عناصر أجنبية معينه تعادي التنمية في إيران».

هكذا كان اتهام الخدمة الإخبارية وبالفعل تزايدت حدة الصحافة الإيرانية طوال عدة أسابيع تجاه البريطانيين ، واعترف الإيرانيون في مناقشات الشوارع بأن الحركة التي يتزعمها الخميني والملالي إنما ينظم أمرها لندن.

ونالت هيئة الإذاعة البريطانية)بي بي سي(قسطا خاصا من الهجمات ، لما كان من أمر برامجها الإذاعية الناطقة باللغة الفارسية التي أججت من نيران تلك القلاقل وفي أواخر يوليو، أصدرت منظمة العمال الإيرانية ما اعتبر هجوما على الهيئة نال التصديق الرسمي، جاء فيه :

«لقد دأبت هيئة الإذاعة البريطانية على إهانة وتجريح الدولة الإيرانية ضمن خدماتها الإذاعية الناطقة باللغة الفارسية ذلك لأن تنمية وتقدم دولة إيران هو في الحقيقة كالشوكة في عين أصحاب الإمبريالية البريطانية.»

انتشرت الهجمات في إيران على البريطانيين إلى حد أن الصحافة اللندنية اضطرت إلى النظر في شأنها.

فأشار اللورد كالفونت، ضابط المخابرات البريطانية السابق في تصريح خافت بصحيفة « London Times « يقول فيه:

« تدور في طهران العديد من التفسيرات حول الاضطراب الحالي هناك أحد المذاهب التي يتبناها بعض أصحاب الرأي هو ذلك الافتراض الغريب الذي يدعي وجود مؤامرة بريطانية، ولكن عند تحري هذا الأمر عن قريب ، يصح لنا أن نقول إن أحدا لا يستطيع أن يقدم دليلا واحدا أو حتى مبررا منطقيا لتلك النظرية الشاذة.»

ساعد على حدوث تلك الثورة الشيعية التي كان يتزعمها رجال الدين ذلك التدفق اليومي لمئات الألوف من أهل القرى المدفوعين باليأس والتشريد إلى المدن الإيرانية الرئيسية .

وكانت الهجرة من الريف نتاج السياسات الاقتصادية لحكومة أموزيغار التي أدت إلى تعطيل العديد من المشروعات الإنشائية والتنموية ، إلى البطالة العاجلة بين العمالة المتوسطة المهارة وغير الماهرة وما أن يصل هؤلاء القرويون إلى المدن، حتى يزجوا بأنفسهم في هذا العنف الطاحن الذي تزداد ضراوته شيئا فشيئا بما يستجد من أحداث.

إن حياة البلاهة الريفية تجعل أهل القرى عرضة للتلاعب والرشوة التي تزج بها في قالب من التمرد الشعبي».

وهكذا كان الأمر مع الخميني حيث لم يكن مؤيدوه الرئيسيين من العمال المهرة في إيران، ولا الطبقة الوسطى ، ولكنهم كانوا ملايين القرويين المشتتين من ذوي التعليم الوضيع الذين تدفقوا على المدن الإيرانية وتمردوا على العيش في مدن الأكواخ وأحياء الفقراء جنوبي طهران.

وكان المحرضون على تلك الثورة هم الملالي العاكفة في المساجد، وهم من تولوا كبرها وصارت المساجد على ذلك هي المجمع الذي يلم الشمل لما له من صفة القداسة التي يحرم انتهاكها في نظر الشرطة والسلطات التنفيذية.

كذلك كان للخطب التي ألقاها كبار آيات الله، بين مئات من الخطب التي وسعت طول البلاد وعرضها، أكبر الأثر في إلهاب حماسة أنصاف المتعلمين لتحيلهم بذلك كأمثال المصابين بنوبة جعلتهم يتغنون باسم المنفي آية الله

الخميني ويمطرونه بالمدائح ، وهم الذين خرجوا في النهاية واحتشدوا في الشوارع احتشادا كبيرا.

إنها لم تكن ثورة سياسية شعبية بقدر ما كانت عملية من البناء الطائفي الديني ، وتكييف عواطف الخوف واليأس التي سيطرت على المتخلفين من أهل القرى الإيرانية للزج بهم في مطحنة سياسية لا تعرف إلا القسوة المنكلة بالذات .

لقد كانت انتحارا جماعيا على مستوى الأمة بأسرها فعندما يدفع بمجموعة من المتظاهرين المتعصبين - الذين يتعاطون الأفيون في العادة ويخبرون من الملالي أنهم إن ماتوا فإن الخلاص لهم)إذ كان الاستشهاد من التقاليد المعروفة من قرون بعيدة في المذهب الشيعي(- تجاه منافذ بنادق الشرطة السيئة التدريب ، فإن موت هؤلاء لا ينجم من ورائه إلا تكاثر هؤلاء المتظاهرين.

وهكذا تعقد بحسب ما يقضي به العرف بين الشيعة ، في اليوم الأربعين من بعد موت أي شخص، مسيرات حاشدة في ذكرى وفاته وهو ما يعني حدوث إصابات جديدة. وكانت تلك الدورة الأربعينية ، التي بدأت في ربيع عام ١٩٧٨ ، تتكرر بكثافة سريعة على مدار السنة.

وفي نهاية المطاف ، وفي الأسبوع الأول من سبتمبر ١٩٧٨ ، وبعد عدة أيام من المظاهرات التي دفعت بالملايين من الإيرانيين إلى الشارع ، انصاع الشاه للضغط الواقع عليه من جنرالاته وأعلن الأحكام العرفية .

ويعزى السبب في عدم الإعلان عن تلك الأحكام العرفية قبل ذلك بعدة شهور إلى عامل واحد فقط، ألا وهو الضغط البالغ الذي ترتب على حملة «حقوق الإنسان» التي تبنتها منظمة العفو الدولية. ولم يكن السبب الوحيد الذي أقض مضجع الشاه هو موقف تلك المنظمة وحلفائها، بل قد زاد من قلقه ذلك التحذير الذي أصدره السفير الأمريكي ونظيره البريطاني في طهران بأنه إن أعلن الأحكام العرفية فإن ذلك من شأنه أن يسيء إلى مكانته إساءة بالغة في منظور الرأي العالمي.

وبتردد الشاه طويلا في اتخاذ موقف صارم تجاه المجاذيب من رجال الدين الشيعة ، أعطى الشاه لهم بذلك فرصة كافية جعلتهم يتمادون في غيهم وتضليلهم ليشرعوا على إثر ذلك في سلسلة من المظاهرات ومسيرات الموت.

وبإعلان الأحكام العرفية لم يعد الشاه يقتصر على مواجهة أفراد شعبه بل تعدى ذلك إلى مواجهة الإدارة الأمريكية والبريطانيين ، لقد بدأ حينئذ نزاع الحسم . هذا لأن إعلان الأحكام العرفية لم يسمع به كثير من الناس لسبب ما رغم إذاعته في الراديو وفي آخر هذا اليوم تطور صدام بين الشرطة والمتظاهرين الذين لم يخبرهم قادم بأن الأحكام العرفية تمنع من أي مظاهرات.

وعلى ذلك قتل أكثر من ٥٠٠ شخص فيما عرف وقتئذ باسم «الجمعة السوداء» وبعد اليوم الذي وقعت فيه المذبحة، كان البيت الأبيض قد حسم القضية وقرر التخلص من الشاه .

ومن خارج إيران شاركت مؤسستان على وجه الخصوص في شن حرب على الأرض ضد الشاه، أولاهما كانت شركة «بريتيش بتروليوم» بينما كانت الثانية «هيئة الإذاعة البريطانية «بي بي سي «.

في أكتوبر ١٩٧٨ ، وفي عنفوان المظاهرات، كان الشاه والشركة الوطنية الإيرانية للنفط يتبادلون الحديث بشأن المستقبل الاقتصادي لإيران.

وفي ذلك الحين رفضت شركة بتروليوم بريتيش طلبات الشركة الوطنية الإيرانية وامتنعت عن التعهد ببيع النفط الإيراني ولكنها طلبت أن تمنح الحق الحصري لشراء هذا النفط إذا رغبت في ذلك في المستقبل! وقد رفض الشاه والشركة الوطنية هذا العرض النهائي المقدم من شركة بريتيش بتروليوم، وبدا حينها أن الشاه لو تمكن من التغلب على الانتفاضة الجارية ، فإن إيران ستكون بذلك كاملة الحرية في تحديد سياسة المبيعات النفطية الخاصة بها في عام ١٩٧٩ ، وبهذا تستطيع تسويق نفطها إلى الشركات الدولية في فرنسا وأسبانيا والبرازيل وكثير من البلدان الأخرى على أساس مبدأ «الدولة إزاء الدولة « .

وبدأ العمال في حقول النفط الإيرانية في الإضراب عن العمل ، فقد تباطأ الناتج الإيراني من النفط، عدة مرات في عام ١٩٧٨ ، إلى أن وصل حد التنقيط. وفي وسط المفاوضات التي دارت بين إيران وشركة بتروليوم بريتيش ، فقدت إيران فجأة أصلها الرئيسي المتمثل في ثرواتها الهائلة من النفط كورقة نافعة في التفاوض.
وكان القائم الرئيسي على تنظيم عمال النفط في إيران، بحسب تقارير في هذا الشأن، هو فريق من الراديكاليين الذين أرسلوا إلى خوزستان بتوجيه من مؤسسة برتراند راسيل للسلام. وفي الصحافة الأمريكية ، لم ينشر سطر واحد عن التنازع بين إيران وشركة بريتيش بتروليوم طيلة مدة الثورة.
وفي إثر ذلك بدأت رؤوس الأموال في الرحيل عن الدولة ونظمت عملية سحب لرؤوس الأموال من بين صفوف النخبة المالية في إيران من خلال قنوات شركة بريتيش بتروليوم.
وكانت تلك النخبة المتمثلة أساسا في طائفة البهائيين واليهود وغيرهم من المصرفيين والتجار، على روابط عائلية بالتجار البريطانيين وشركة بريتيش بتروليوم تعود إلى القرن التاسع عشر.
وكان أصحاب البازارات بطبيعة الحال على ارتباط بالتدفقات المالية غير المنتظمة وريب البضائع في حدود الدول العربية الساحلية الواقعة على الخليج الفارسي. ومارس عدد من العائلات اليهودية الشهيرة القوية ماليا نفوذا هائلا على تلك الرابطة المالية البعيدة عن السيطرة والمراقبة.
وقد عرف هؤلاء التجار باسم «تجارالسجاد اليهود»، حيث كان لتلك المؤسسات المالية القدرة على إحداث تأثير في الاقتصاد الإيراني من خلال السحب الواسع لرؤوس الأموال التي تبلغ عشرات الملايين من الدولارات في بضع ساعات .
وقد نشرت مجلة « New York Post » آنئذ تقريرا أفادت فيه بأنه قد غادر إيران في هذا الشهر وحده ما يربو على ٧٠٠ مليون دولار أمريكي من خلال القنوات التي يتحكم فيها المجتمع الإيراني اليهودي.

على أن شيئا من ذلك لم يكن ليحدث دون إعطاء الضوء الأخضر من البريطانيين، حيث كان جهاز مخابراتهم يراقب عن كثب مجريات الأمور في أسواق الخليج الفارسي. وقد ظل للبريطانيين على مدار قرنين اليد العليا المهيمنة على تهريب البضائع والاتجار بالمخدرات في منطقة الخليج كمحطة وسيطة بين المثلث الذهبي الأقصى لآسيا والغرب.

ومن خلال تلك القنوات، جرى تهريب كميات كبيرة من الأسلحة والذخيرة إلى إيران لتغذية الثورة في حين تم تهريب الأموال إلى خارج الدولة.

وبحلول شهر أكتوبر، أصبحت الأمة الإيرانية على وعي تام بأن رجال الدين المدعومين من بريطانيا قد عزموا على تقويض النظام من أركانه لقد كان ذلك حديث الساعة في طهران .

فلو اتخذ الشاه القرار بمواجهة البريطانيين بصراحة دون مواراة ، لكان بإمكانه حينئذ إيقاع الهزيمة بهم ، وكان من الممكن كذلك أن تتركز تلك الإستراتيجية على إطلاق الشاه لثورته الخاصة ، بأن يعلن بأن أمن إيران كان مهددا بمؤامرة بريطانية استعمارية جنبا إلى جنب مع شركة بريتيش بتروليوم .

لقد كان باستطاعته أن يسم رجال الدين باسم «الرجعيين السود» الخادمين للندن ، وبذا يستدرج بمعظم النخبة السياسية الإيرانية إلى صفه ، غير أن الذي حدث هو أن الإدارة السياسية غير الرشيدة جعلت كثيرا من أفراد الطبقة الوسطى والمفكرين ينضمون إلى جانب الخميني المتطرف رغبة في إدراك حظوظهم المرهونة بثورة الملالي.

وكذلك كان الاتحاد السوفيتي وحلفائه على استعداد لدعم الشاه في مجابهة الخميني وفي أواخر أكتوبر، تلقى الشاه تلغرافات بمناسبة عيد ميلاده من «ليونيد إيليتيش بريجينيف « زعيم الاتحاد السوفيتي وغيره من القادة الأوروبيين ودعا بريجينيف في رسالته إلى توسيع العلاقات بين الاتحاد السوفيتي وجيرانه اقتصاديا وسياسيا وفي عام ١٩٧٨ أطلقت وكالة أنباء الاتحاد السوفيتي بيانا عاجلا تنكر فيه تقارير صدرت عن مصادر ، أطلقت أنجلو أمريكية تدعي أن

موسكو هي التي تقف وراء الاضطراب الجاري في إيران، وصرح هذا البيان قائلا:
«من أجل الكشف عن أسباب الاضطرابات الحالية في إيران، كان على مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية أن ينظر بخاصة إلى السياسة التي تنتهجها دولته.»
ووصفت وكالة أنباء الاتحاد السوفيتي اتهامات مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بأنها «غطاء دعائي كاذب لأجهزة المخابرات السرية الأمريكية في طهران.»
وفي ٢٧ سبتمبر اتخذت دولة العراق المجاورة، التي شهدت معارضة الخميني للشاه على حذر واحتراس، إجراء اعمليا حين وضعت آية الله الخميني رهن الاعتقال في مدينة النجف، وهي المدينة المقدسة العراقية ولم يقتصر الأمر على العراق وحدها، بل إن كثيرا من الدول العربية كانت على استعداد لدعم الشاه في مواجهة رجال الدين، ذلك لأنهم كانوا يخشون أمر وقوع تلك الثورة التي ربما تطول وتنتشر في العالم العربي في ظنهم وهو ما حدث بالفعل بعد ذلك بسنوات طويلة في تونس ومصر وليبيا ويحدث في سوريا.
وذات مرة وأثناء مظاهرة مرتبة في طهران في ديسمبر ١٩٧٨، وعندما لم يجد نفعا العنف الذي أمل فيه المتطرفون المعادون للحكومة، قصد رجال الدين الشيعة إلى إجراء تسجيلات صوتية باحترافية عالية تحوي صرخات وأصوات أعيرة نارية تقذف وأصوات أخرى عنيفة، ثم ألقيت تلك التسجيلات على المسامع من خلال مكبرات الصوت من مآذن المساجد!
وفي غضون بضع ساعات، طفق مراسلو هيئة الإذاعة البريطانية، المفترض أنهم في قلب المشاهد، يذيعون في النشرات الإخبارية إلى كل أنحاء إيران بيانات عن مظاهرات ديسمبر، وذلك على وقع ما يقوم به الملالي من استخدام المعدات الإلكترونية في إحداث الضوضاء الخلفية.
وفي اليوم التالي، وجد الناس بعد خروجهم من منازلهم الأرصفة وقد لطخت ببقع حمراء حيثما جرت المسيرة، فقد صب الملالي الصبغة الحمراء في الشوارع للإيهام بأنها دماء المتظاهرين.
على أن مثل تلك الأساليب، التي كانت فعالة للغاية مع الشعب الإيراني، لم

يكن للملالي الأميين التوصل إليها ، وهذا أمر معروف لدى الجميع أن هناك من يخطط من خلف الستار .

وفي هذا الوقت صدر الأمر النهائي في واشنطن بالمضي قدما في طريق تنحية الشاه وإحلال آية الله مكانه.

وفي نوفمبر أعلنت إدارة كارتر أنها عينت جورج بول عضو اللجنة الثلاثية وجمعية بيلدربيرج Bilderberg Society على رأس فرقة عمل خاصة تابعة لمجلس الأمن الدولي في إيران والمحيط الفارسي وحينئذ سلم بول- المعروف منذ طويل بأنه من المناهضين للشاه والمؤيدين لآراء مافيا حقوق الإنسان – النعي المقدم للنظام البهلوي ، موضحا أن الولايات المتحدة جعلت تتوقف عن دعمها للشاه وتجري اتصالات مع المعارضة.

وفي بدايات يناير ١٩٧٩ ، وأثناء اجتماع زعماء دول الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وفرنسا وألمانيا الغربية في جواديلوب ، أعلنت الولايات المتحدة إلى حلفائها رسميا أنها لم تعد تعمل على بقاء الشاه في السلطة فبوجود «الخيار الإسلامي» في قلب الأحداث صار الأمر مسألة وقت فحسب لإقصاء الشاه.

وقد واجه نوعين من المعارضة فمن ناحية ، كان رجال الدين ومناصرو قوات الخميني من اليساريين الراديكاليين يشغبون ويحرضون دائما على بختيار، ومن ناحية أخرى كان الجيش المحافظ الموالي للشاه موالاة تامة يهدد بالقيام بانقلاب عسكري على بختيار لمصلحة الشاه.

وكان الجنرالات -الذين كانوا يعانون من سذاجة في السياسة وقصور عن تصديق أن حكومة الولايات المتحدة تدعم الخميني فعلا - ينتظرون بثبات وإخلاص صدور أوامر من الشاه و«الأمريكيين» لإحداث انقلاب ، وهي الأوامر التي لم تحصل أبدا، وفي الحين نفسه كان هناك من ينتظر التحرك في صف الخميني !!

وفي باريس رفض الخميني أي تعاون مع حكومة بختيار، ودعا إلى تنظيم مظاهرات حاشدة في الشوارع ضده ، وهكذا أخذت الفوضى تسود وتنتشر

وفي خطوة معارضة لما نصحه به كل من معه، عاد الخميني إلى إيران في ٦ فبراير وسط ترحيب صاخب من أتباعه في مذهبه وفي غضون ساعات معدودة، صرح الخميني بأن حكومة بختيار غير شرعية، لينادي بعدها إلى تشكيل حكومته الخاصة من الملالي المجانين ومستشاريه من أمثال يازدي وقطب زاده وغيرهم.
وقبل عودة الخميني إلى إيران مباشرة وصل أحد المستشارين إلى طهران للمشاركة في المظاهرات المناهضة لأمريكا، إنه رامزي كلارك لقد أقبل يسير تحت لافتات مكتوب عليها «الموت لأمريكا!»
ليصرح بعدها كلارك، وهو المبعوث الخاص لإدارة كارتر، بدعمه الكامل للخميني ومن طهران اتجه كلارك إلى باريس لمقابلة آية الله وبعد الحديث الذي دار بينهما، خرج كلارك ليدلي بتصريح مدهش في التاريخ الأمريكي:
«يأمل آية الله الخميني وأنا معه أن يحترم الشعب الأمريكي والرئيس كارتر إرادتنا، وألا تتدخل الولايات المتحدة في الأمر سواء من خلال الجيش أو المستشارين الأمريكيين أو جهاز المخابرات المركزية الأمريكية أو دعم بختيار، وأن تدع الأمة لتقرر مصيرها كيفما تشاء.»
وفي غضون ما يزيد على أسبوع بقليل بعد قدوم الخميني إلى طهران، نجح بختيار تقريبا في إبرام اتفاق مع «مهدي بازركان»، رئيس حكومة الخميني الانتقالية وقد كان رجلا معتدلا بعض الشيء يتمتع بعلاقات قوية مع جماعة الإخوان المسلمين رغم ذلك، ولذا توصل بازركان إلى اتفاق مؤقت مع بختيار لإيقاف الثورة وإيجاد نوع من حكومة الوحدة الوطنية.
ومع ذلك، وفي نفس هذا اليوم، بدأ أول عصيان مسلح منظم في إيران في قاعدة جوية خارج طهران وفجأة سيطر عصبة من فنيي القوات الجوية على مستودع كبير للأسلحة لقد وضعت بأيدي الحشود الهائجة عشرات الآلاف من الأسلحة الآلية.
وخوفا من أن ينتشر العصيان أمر بختيار القوات الجوية بقصف مستودع ضخم آخر يحوي الآلاف من البنادق العادية والآلية، ولكن القوات الجوية رفضت تنفيذ الأمر وهنا أمر بختيار الجيش الموجود بالشوارع بإخماد الثورة

، ولكن الجيش لم يتحرك لقد شلت حركة طهران ، فالحشود المسلحة تحارب قوات الجيش في أرجاء المدينة والدولة كلها ، ومع ذلك لم يخرج أي قائد من الجيش ليوجه القوات بأوامره !

عندئذ اجتمعت هيئة الأركان العامة المشتركة والقيادة الكلية لأفرع القوات المسلحة الإيرانية لمناقشة الأزمة .

وبعد ذلك، وفي صدمة بالغة للعالم، خرج القادة ليعلنوا أن القوات المسلحة الإمبراطورية سوف تظل على «الحياد» بالنسبة لجميع أطراف الأزمة ! وقد جاء الإعلان مذيلا بتوقيع رئيس الأركان ، الجنرال «غاراباغي» .

لقد فرض القرار بقوة ضارية وكان يعني إصدار هذا القرار في الحقيقة أن القوات المسلحة قد انسحبت من المعركة ، وأمرت بالعودة إلى ثكناتها وعلى ذلك أسلمت طهران وغيرها من المدن الإيرانية لتصبح أسيرة في أيدي الحشود «العابدة « للخميني وزد على ذلك أن أي ممانعة لقرار الجيش كانت عقوبتها الإعدام العاجل ، ذلك أن مجموعة من الأفراد التابعة للجنرال عبد العلي بدري ورفاقه كانت قد عارضت مرسوم غاراباغي وشرعت في وضع خطط لإحداث انقلاب ضد قوات الخميني لحفظ النظام ، فما لبث غاراباغي بعدها أن أمر ضباطه برميهم ومن تحالف معهم بالنيران دون ذرة من شفقة !

وفي جميع أرجاء طهران لقي عشرات من الضباط مصرعهم على يد فرق الاغتيالات التي كانت في قبضة غاراباغي والجنرال فردوست وكان قائد القوات الجوية الجنرال حسين ربيع من بين العوامل التي كان لها نصيب سيء في الأحداث ، فرغم ما كان يذاع عنه من أنه أحد الموالين المتعصبين للشاه ، فقد خرج ليعلن فجأة أنه قد فارق صفوف الجيش «لينضم إلى الثورة.»

وبحسب ما ذكر حينها أن الجنرال ربيع نال وعدا بنجاته ومساعدته على مغادرة البلاد في مقابل تعاونه في تأمين المطارات والمجالات الجوية للخميني ؛ غير أنه لم يكد ينصرم وقت قليل بعدها حتى ذاق وبال أمره وكانت عاقبته

أن رمي بقاذف آلي حتى الموت بعد دقائق من المحاكمة الصورية.

وفي غضون ساعات من بعد ذلك ، قتل ما يزيد على ٣٥٠ ضابطا من ذوي الرتب العالية بأيدي فرق الاغتيال المحترفة لقد كانت أسماؤهم مطبوعة على نحو ظاهر جدا في أحد أجهزة الكمبيوتر الموجودة بمقر الجيش ، وهو الجهاز الذي كان يكشف أي فرد في رتبة قيادية سواء في التحكم اللوجيستي أو الاتصالات أو الوحدات المتحركة لقد أبيد جميع من رفضوا التعاون مع «الثورة».

واندهش خبراء المجال العسكري لما قد رأوه من سهولة تمزيق وشل حركة القوات المسلحة التي كان قوامها ٣٥٠ ألف فرد وقد ظهر في تلك الأثناء اسم تكرر كثيرا، ألا وهو الجنرال «روبرت إي هويسر «،التابع للقوات الجوية الأمريكية.

وفي ١٦ يناير غادر الشاه إيران في «إجازة» عازما على عدم العودة وكان الجيش قد وقع في ضيق وحيرة من أمره بسبب وجود رئيس الأركان في خارج البلاد وذهب الشاه إلى مصر ثم المغرب، وفي كلا المكانين، وبحسب ما ورد من تقارير، طلبت قيادة الجيش من الشاه وألحت عليه أن يصدر أوامر بالتحرك ضد الخميني ، ولكن الشاه رفض إعطاء تلك الأوامر)وقال الشاه فيما بعد إنه كان ينتظر أخذ الإذن من واشنطن لمواجهة الخميني مباشرة ، وهو ما أثار حفيظة الإيرانيين الذين فهموا الأمر على أن الشاه يعترف صراحة في النهاية على أنه كان دمية تلعب بها واشنطن . !!

وأخبر الجنرال هويسر، الذي كان على اتصال دائم مع بريجينيسكي ،بأن الجنرالات لا بد أن يمنعوا إغارة الجيش على الخميني بصرف النظر عما يحدث وأما إذا فعلوا فإن الجيش الأمريكي ، كما قال هويسر، سوف يتنكر لشرعيتهم ويمنع عنهم جميع إمدادات الأسلحة وقطع الغيار، بل «وستقطَّع أرجلهم»، بحسب ما قيل لهم.

وبذلك لم يحبط هويسر انقلابا واحدا ، وإنما أحبط العديد من الانقلابات

التي كانت تراد وكانت وظيفته الرئيسية أن يؤكد للجنرالات أنه عندما تحين اللحظة التي تكون فيها الحكومة المدنية عاجزة عن الصمود أمام قوى الثورة ، فإن الولايات المتحدة سوف تدعم الجيش عندئذ ليتولي مقاليد إيران. وعندما قنع الجنرالات بهذا العهد ، أوى كثير منهم إلى جانب العزلة والانتظار؛ ولذلك عندما خرجت الحشود المسلحة إلى الشوارع فإنهم لم يفعلوا أي شيء حيالهم. المؤكد شيء واحد ، وهو أنه لولا المهمة التي قام بها الجنرال هويسر، ما كان للخميني أن ينتزع السلطة دون أدنى مجهود كما حدث وإذن لكانت الأمة الإيرانية على أعتاب حمام من الدماء جراء تلك المظاهرات شديدة الضراوة ، واحتمال نشوب حرب أهلية وفي نهاية المطاف، وبحسب ما يعتقده كثير من الإيرانيين وغيرهم من المحللين، أنه لو تم ذلك لكانت قد هزمت القوات الأكثر تعصبا في معسكر الخميني، ومن ثم تجبر المعتدلة منها على التسوية ، ربما من خلال الاتفاق بين بختيار وبازارجان .

ووفقا لآراء ضباط إيرانيين كبار سابقين ، لكان من الممكن حينئذ اغتيال الخميني على الفور من قبل قسم المخابرات العسكرية ، ومن ثم يدب التفرق بين أتباعه ولكن ذلك لم يحدث أبدا وبدلا من ذلك، رمي بالنيران- من بين ما يقارب تسعة عشر إلى عشرين جنرالا وقعوا إعلان الحيادية في فبراير- على يد قوات السافاما والحرس الثوري التابع للخميني خلال الأسابيع التي أعقبت الثورة ، بينما يقبع الكثير من الجنرالات في السجون ولم ينج إلا قليل منهم ، وهم فردوست الذي قيل إنه عين رئيسا لجهاز السافاما تحت حكم الخميني ، وغاراباغي الذي ظل يلعب حتى صيف ١٩٨٠ دورا مهما داخل إيران مع القوات المسلحة التابعة للخميني ، والأدميرال كمال حبيب الله الذي فر إلى خارج إيران بعد بضعة أشهر من الثورة، ولكنه ظل على اتصال مع جيش الخميني من الولايات المتحدة، وكذا الجنرال طوفانيان ، الذي يعيش الآن متخفيا في الولايات المتحدة ؛ وأما الآخرون فقد قتلوا.

هذا ولم يفصح الجنرال هويسر، الذي أعيد تعيينه في قاعدة سكوت الجوية بولاية

إلينوي قائدا للجسر الجوي العسكري ، عن تفاصيل المهمة التي أداها لأي أحد.
لقد أحسن رئيس الوزراء بختيارفي وصف نظام الخميني بعد عدة أيام من خلع الحشود الثائرة له حين قال:

«الخميني رجل جهول حقود هدام ساعٍ في الخراب وحاشيته مرتع حقيقي للحيوانات يضم أناسا الأصل فيهم الشبهة والريبة وإن شطر الناس الذين يصيحون ضدي في الخارج أجهل من الدواب، وبدلا من أن يرتادوا دور العبادة، يلزمهم أن يذهبوا إلى المدارس أولا . وما فعله الخميني في أسابيع قليلة قد فاق في الدمار ما فعله نظام الشاه في خمس وعشرين سنة.»

المقصود بالبريطانيين

نحن لا نعني بهم حكومة المملكة المتحدة - بل العائلات الحاكمة من الأقلية البريطانية التي حكمت بريطانيا منذ العام ١٦٦٠ دون منازع لتصبح مركز القيادة لطبقة النبلاء الإقطاعيين في أوروبا، إضافة إلى المرتبطين بها بأوجه انتفاع مالية ؛ فكانت سياسة تلك الأقلية تملى عليها وتصل إليها من خلال مؤسسات مثل المعهد الملكي للعلاقات الدولية ، والمعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية، وفي الولايات المتحدة من خلال مؤسسات رفيعة المستوى مثل مجلس نيويورك للعلاقات الخارجية ومعهد أسبن وغيرها.

الإذاعة البريطانية أسقطت الشاه

زعم تقرير منظمة العفو الدولية لعام١٩٧٦ أن البوليس السري الخاص بالشاه متهم بتعذيب وقتل المنشقين السياسيين ، إذ كان الغرض من هذا التقرير هو الترويج لفكرة تسود العالم مفادها أن النظام الإيراني إنما يقوم على الوحشية وانتهاك آدمية الإنسان.

فعملت جريدتا «لندن تايمز» و»واشنطن بوست « وغيرهما من الصحافة المرموقة على الترويج لتقارير جروسوم التي أفادت بوقوع أعمال تعذيب باستخدام الصدمات الكهربائية والبتر ومن ثم أصبح الدفاع عن المعتقلين السياسيين الإيرانيين قضية رائجة مثيرة للجدل الواسع في أوساط الراديكاليين واليساريين بالرغم من أن تأسيس جهازالمخابرات « السافاك « عام ١٩٥٥ ، تحت إشراف المخابرات البريطانية والإسرائيلية ، و قد تلقى خبراء التعذيب في تلك الوكالة تدريبهم على يد الموساد الإسرائيلي .

ففي بداية أغسطس ١٩٧٨ ، انصدعت إيران بأسوأ عمل إرهابي في التاريخ فبعد أسبوع من العنف المتناثر، مات ٤٠٠ شخص في ١٩ أغسطس عندما شب حريق في أرجاء سينما «ريكس « في عبادان .

لقد أشعلت النار عن عمد وقصد دونما شك ، وأغلقت الأبواب من الخارج لمنع أي محاولة للهرب من ذلك الجحيم ووسط هذا العنف المتصاعد في

إيران واتهام السافاك بالتدبير لإشعال تلك النار عن عمد، شرعت وكالة أنباء فارس في حملتها الخاصة حيث صرحت :

بأن وراء تلك القلاقل الحادثة قوتين لا ثالث لهما مجموعة من العوام السذج خضعوا لغسيل دماغي ممنهج من قبل أهل التطرف الديني والأفراد المنتمين للطبقة الإقطاعية على حد سواء وعلى أن هؤلاء المشاغبين والإرهابيين يفعلون ذلك بتحريض من عناصر أجنبية معينه تعادي التنمية في إيران ، هكذا كان اتهام وكالة أنباء فارس .

وفي عام ١٩٧٩ سرت شائعات في الأوساط الاستخبارية في واشنطن مفادها أن الوكالة المركزية علمت بإصابة الشاه بالسرطان وأن أجله قد اقترب رغم ما يخضع له من علاج. يستفاد من هذا التوضيح أن موت الشاه سيخلف من ورائه فجوة على مستوى القيادة في إيران ونقل عن الوكالة المركزية أنها تتوقع أن تعم الفوضى عقب موته ، وتعتقد أن الاتحاد السوفييتي قد يستغل أزمة إيران عندئذ للتدخل فيها كما قيل أنه يجب على الولايات المتحدة الشروع في اتصالات مع المعارضين للشاه- الذين اتخذوا الدين منطلقًا بالأساس - للإعداد لحكومة بديلة.

وحينها ألقى الشاه باللائمة لا على مجلس الأمن القومي الأمريكي ، بل على شركة «بريتيش بتروليوم» وهيئة الإذاعة البريطانية باعتبارهما مسعري التمرد والحق أن بريجينيسكي كان يلعب بالبطاقة الإسلامية التي وضعها البريطانيون بين يديه.

لو لم تكن هيئة الإذاعة البريطانية وما فعلته ، لما ظهر الخميني وجنى وما جناه وخلال عام ١٩٧٨بأسره عمدت هيئة الإذاعة البريطانية إلى تثبيت عشرات المراسلين في جميع أرجاء الدولة وجميع بلدانها وقراها النائية وقد عمل هؤلاء المراسلون - الذين كانوا في الغالب مراسلين يعملون لوقت جزئي لمصلحة الخميني ، وفي أحيان أخرى كانوا مواطنين بريطانيين يعملون لوقت كامل في خدمة جهاز المخابرات السرية البريطانية – كجهاز استخباراتي خادم

للثورة وما إن يقع حدث تافه في بعض القرى ، حتى يرسل الخبر مراسل هيئة الإذاعة البريطانية القريب من المشهد إلى مقر الهيئة في طهران .
وفي غضون ساعات كانت النشرات الإذاعية للهيئة البريطانية الناطقة بالفارسية تبث البيانات المشحونة عن تلك الحادثة إلى جميع أرجاء إيران ! وبدت هيئة الإذاعة البريطانية وكأنها المتحدث الرسمي للملالي والمتعاطفين معهم حيث دأبت الهيئة على إشاعة الأنباء المثيرة التي تزعم ارتكاب الشرطة الإيرانية لأعمال عدائية في نواحي إيران كلها ، دون التحقق من صحة التقرير. ولم تعطَ الحكومة الإيرانية أبدا فرصة دحض تلك التقارير بالحجج على حين أن أرباب الدعاية المغرضة مثل إبراهيم يازدي كانوا يمنحون ساعات على الهواء مباشرة يصبون فيها جام غضبهم الحانق على الشاه ، ليستمع إليهم بتلهف بالغ أعداء الشاه في إيران واقتربت ساعة الحسم ونهاية السقوط ، فجعلت هيئة الإذاعة البريطانية تذيع الخطب الهائجة لرجل الدين المتطرف آية الله الخميني بأكملها وقد صرح الشاه عدة مرات في شهري نوفمبر وديسمبر أنه سوف يتخذ خطوات انتقامية من لندن إذا لم تتوقف هيئة الإذاعة البريطانية عن إشاعة الدمار، بل إنه هدد ذات مرة بقطع العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا العظمى ، لكن الحكومة البريطانية أقسمت قسما مقدسا بأنها ليس لها من نفوذ على هيئة الإذاعة البريطانية نظرا لأنها «شركة خاصة» على حسب ادعائهم. وأدى ذلك الى قيام الشاه باستدعاء السفير البريطاني في طهران مرتين على الأقل للاحتجاج على أفعال هيئة الإذاعة البريطانية ، ولكن دون طائل وكانت الحكومة من وقت لآخر تطرد واحدا من مراسلي الهيئة ولكنها توقفت عن ذلك بعد فترة.
استمر الوضع على ما هو عليه حتى كان يوم ٣٠ نوفمبر ١٩٧٨ ، حيث خرج أحد نواب البرلمان الإيراني، وهو حسين دانيشي من دائرة عبادان ، يتسائل عن سبب السماح لهيئة الإذاعة البريطانية بأن تلعب دور المحرض قائلا :
« إن الناظر في الأحداث وتطوراتها في كل مكان من العالم خلال السنة الماضية

ليستطيع أن يتبين من وجود خطة شيطانية تهدف إلى تمزيق دولة إيران ليس لك أن تندهش إذا رأيت هيئة الإذاعة البريطانية وهي تعد برامج ، وفي أثناء برامجها الثلاثة المذاعة بالفارسية لا تراها تفكر في شيء إلا بث التحريض وإثارة القلاقل والفوضى حقًا إن هذا الثعلب البريطاني الطاعن في السن يبحث عن فريسة بعدما أصبح غير قادر على تأمين الخير لنفسه.

وتابع دانيشي قائلاً «إن سؤالي الذي أوجهه للحكومة هو «لماذا لا توضح الحكومة الحقائق السياسية الراهنة ولا تخبر الشعب بالتطورات السياسية في العالم التي اتخذت ضد إيران؟ ولماذا لا يفصح عن مخطط بريطانيا رغم استمرار معاناة الحكومة من مرارة ما تقوم به من عمليات بها ؟ ما السبب الحقيقي وراء ذلك؟ فلقد صارت هيئة الإذاعة البريطانية ، إلى جانب الغضب العاصف الذي أخذ يجمع الناس إلى بعضهم ، المنسق الحقيقي للثورة !!

وقد بلغ الأمر بالملالي إلى أنهم كانوا يستطيعون تنظيم مظاهرات متزامنة في المدن الإيرانية المنفصلة عن بعضها بآلاف الأميال بمجرد إرسال إخطار لم يكد يمضِ عليه ٢٤ ساعة ، وذلك كله بمساعدة هيئة الإذاعة البريطانية. وفي باريس سجل الخميني أشرطة يأمر فيها أتباعه من طائفته الدينية بالخروج إلى الشوارع ثائرين وفي غضون ساعات من ذلك، كانت تذاع تعليماته الدقيقة بصوته ولسانه الناطق بالفارسية في كل أنحاء إيران من مقر هيئة الإذاعة البريطانية بلندن.

وعلى نقيض الأسس التي قامت عليها هيئة الإذاعة البريطانية كذراع لوحدة العمليات الخاصة البريطانية ، بدأت الهيئة في نشر إشاعات الحرب النفسية في ديسمبر، مثل التقارير التي تدعي أن الشاه قد فر هاربا إلى خارج البلاد ، أو أنه قد تنازل لابنه عن العرش ، أو أنه قد فقد عقله .

وفي ديسمبر اتهم طهراني، وزير المعلومات الإيراني الهيئة بأنها تحرض عمال النفط الإيرانيين على الإضراب وإلى ذلك طرد أحد مراسلي وكالة أنباء «يونايتيد برس إنترناشونال» التابعة لهيئة الإذاعة البريطانية لنقله خبرا يدعي فيه اغتيال الشاه.

وبعد وقت قصير من هذا الشهر، وحسبما أوردت صحيفة «واشنطن بوست» أن هيئة الإذاعة البريطانية اعتبرت حينها «العدو العام رقم ١»، أوقفت الحكومة العسكرية التابعة لرئيس الوزراء الجنرال غلام رضا أزهري النشرات الإذاعية للهيئة ، ولكن ذلك كان متأخرا جدا وقد فات الأوان.

وقامت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية البريطانية ، وباستغلال الملف النفسي للشاه الذي رسمته وأقنعت وزارة خارجية كيسنجر أن الشاه في حاجة ماسة إلى كميات كبيرة من المعدات العسكرية وقد جاء بصحبة تلك المعدات عدد غير محدود من رجال المخابرات الأمريكية والبريطانية، في حين ذهبت فرق كبيرة من الضباط الإيرانيين إلى الولايات المتحدة وبريطانيا بل وإسرائيل للتدريب.

وبدأت فرق من الأخصائيين النفسيين الاجتماعيين من معهد تافيستوك في تحديد خصائص «الثورة» معتمدين في ذلك على أجهزة الكمبيوتر وعدد كبير من الملفات المتعلقة بتجارب سابقة تخص عملية الغسل الشامل للأدمغة في إيران.

والسؤال الذي يطرح هنا كيف استجاب الإيرانيون إلى دعوى تصدر من ملا عاجز طاعن في السن يحركهم ويحثهم على الثورة ؟ و كيف تحرك أهل الريف ووقفوا الى جوار الخميني ، وكذلك كيف تأثر العمال المهرة أو الطبقة المتوسطة والمفكرون؟ وأي أسلوب أتبع للزج بالطلاب في أتون الثورة ؟ وما هي نقاط الضعف التي كانت لدى الشرطة والقوات المسلحة ؟ كل ذلك كان قد تم تحليله ووضعه في الاعتبار .

والإجابة هي أن الفريق الذي أسندت إليه تلك القضية رجالاً مخضرمين في أساليب الحرب النفسية المتقدمة نظرا لأن خدمة المخابرات السرية البريطانية تعود إلى أيام الحرب العالمية فالموضوع لم يسر اعتباطا ولكن كل شيء مدروس وموضوع في الحسبان .

وخذ لذلك مثلاً الخبير «مارفن زونيس»، الأستاذ بجامعة شيكاغو الذي ألف كتاب The Political Elite of Iran)النخبة السياسية في إيران(، فقد استقدم أمثال هذا الخبير وغيره من المتخصصين لوضع تقارير إيضاحية لطريقة التصرف التي يمكن أن تسلكها الطبقات الإيرانية ومجموعات معينة من الشعب.



شاه إيران

الشاه مع ملك السعودية



داخل القصر يزيلون صور الشاه ويعلقون صور الخميني

إيران والإخوان المسلمون

في مطلع عام ١٩٩٧ صدرت الطبعة العربية الأولى من كتاب « إيران والإخوان المسلمين « للباحث الإيراني عباس خامه يار عن مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق في بيروت وقد حاول المؤلف في هذا الكتاب أن يرصد تطور العلاقات بين الطرفين وعوامل الالتقاء والافتراق بينهما، والأمور التي أدت لحدوث تقارب بين إيران من جهة وجماعة الإخوان المسلمين من جهة أخرى ثم أسباب النفور أو ضعف الصلات فيما بينهما .

فالباحث عباس خامه يار انطلق من مذهبه الشيعي، في الحكم على الأشياء، فتجده على طول الخط يكيل المديح للخميني وثورته ، ولمراجع الشيعة ، في حين أنه يهاجم أهل السنة الذين تفرغوا لبيان عقائد الشيعة ، وفساد ثورة الخميني أمثال الشيخ ابن باز، ومقبل الوادعي، ومحمد إبراهيم شقرة، وأحمد الأفغاني، ووجيه المديني ... وغيرهم .

فعلاقة الإخوان المسلمين بإيران ليست حديثة عهد بل قديمة لم تنقطع قد تفتر أحيانا وسرعان ما تعود المياه إلى مجاريها وقد لعبت حركة حماس دورا هاما في تلك العلاقة فإيران في السنوات الماضية حاولت أكثر من أي وقت مضى احتواء تلك الحركة ودعمها خاصة في ظل الضغوط التي تمارسها الولايات المتحدة على الدول العربية والإسلامية لتجنب التعامل مع حماس .

الغريب والمريب في الأمر أن جماعة الإخوان المسلمين والتي تعتبر من أكبر

وأهم الجماعات السنيّة لها علاقات وطيدة صلات طيبة ـ خاصة مركز الجماعة في مصر ـ بمراجع الشيعة في إيران ، وقد كان مؤسس الجماعة حسن البنا ، أحد الناشطين في لجان التقريب بين السنة والشيعة ، ذلك «التقريب» الذي استغله الشيعة لنشر عقائدهم في أوساط السنة ، دون أن يسعوا هم للسماح بعقائد أهل السنة أن تنفذ إلى المجتمعات الشيعية .

فالإخوان المسلمين ـ كانوا أول المؤيدين للثورة الإيرانية ـ ولكن ضعفت علاقاتهم مع إيران بعد اندلاع الحرب العراقية الإيرانية ولبعض الأسباب الأخرى .

فإذا حاولنا أن نعقد المقارنات التاريخية والجغرافية والحضارية والثقافية بين إيران من جهة وبين مصر وهي معقل جماعة الإخوان المسلمين ؛ فسنجد أن إيران هي مركز القوة في العالم الشيعي ، وتعتبر مصر مركز القوة في العالم السني ، فكلا البلدين لهما ثقل سكاني وإرث حضاري كبير وموقع جغرافي متميز، وإيران تعي جيدا أهمية مصر وتسعى جاهدة الى الاستفادة من تلك الأهمية ويؤكد ذلك أحد أبرز المتشيعين في مصر (فهمي الشناوي) حيث قال :

«في يوم ما سوف تجد الثورة الإسلامية في إيران السؤال عينه معروضاً عليها للإجابة: هل تفوز برضى مصر، فتكون لها الغلبة وتنطلق عالميّاً كقوة دولية كبرى، أم تفقد مصر فتظل محصورة توصف مرّة بأنها مجرد ثورة داخل الفكر الشيعي، ومرة بأنها ثورة جنس الفرس فقط».

وكلام الشناوي المتشيع لا يدع مجالاً للشك في رغبة إيران في سعيها لاستغلال موقع مصر وأهميتها وثقلها داخل العالم السني لنشر عقائدها ، وتصدير ثورتها، مستفيدة من علاقتها القوية بالإخوان المسلمين، وهم يعدوا أصحاب الحضور البارز في الشارع المصري وخارج مصر أيضا وقادرين على حشد الحشود للوقوف والإعتراض .

فعملية السباحة عبر المحيط العربي التي تقوم بها إيران تبدأ من مصر، لا لأهمية مصر بين العرب وحسب، ولكن للأهمية الاستراتيجية لمصر في

المجتمع الدولي ، ولأنه إن مالت مصر مال العرب جميعا ..
وقد أطلق عباس خامه يار اسم «الحركة الإسلامية الإيرانية» عوضاً عن إيران ، فهو يقصد بها الحركة الشيعية النشطة المعارضة لشاه إيران آنذاك وتعني أيضا حركة التقريب بين السنة والشيعة التي نشط بها عدد من مراجع الشيعة.
فهناك عناصر التقاء بين الحركة الإسلامية الإيرانية وجماعة الإخوان المسلمين نجدها متمثلة في (الفكر الوحدوي عند الحركتين، وموقفهما المشترك من القومية ، وقضية فلسطين).
فالفكر الوحدوي عند الإخوان المسلمين يعني أن هذه الجماعة عموماً لا تحمل موقفاً سلبياً أو عدائياً تجاه العقائد والأفكار الشيعية ، فالجماعة منذ نشأتها عُرف عنها التساهل إزاء العقائد والمخططات الشيعية ، وهناك تصريحات كثيرة لقادة الإخوان، يهوّنون فيها من الخلافات بين السنة والشيعة، ويعتبرونها خلافات بين الفروع منها قول البنا :
« أما الخلاف فهو في أمور من الممكن التقريب بينهما»
وكذلك تصريح السيد عبد الكريم زيدان ، وهو يعتبر من كبار جماعة الإخوان المسلمين في العراق:
«ليس بين الفقه الجعفري والمذاهب الأخرى (أي الأربعة) من الاختلافات أكثر من الاختلاف بين أي مذهب وآخر» .
وقد صرح يوسف ندا (مفوض العلاقات الدولية بجماعة الإخوان سابقًا في حواره مع جريدة المصري اليوم رأيه في الشيعة:
بأنه لا يكفرهم مهما طعنوا في الدين، وسبوا الصحابة ، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم جميعًا، ونسب رأيه ذلك لمكتب الإرشاد، وللجماعة كلها، متطاولاً في الوقت ذاته على كل من يخالفه الرأي من الأئمة والدعاة وأفراد الجماعة ذاتها، ومتهمًا لهم بالجهل والتعصب وكثير من الأوصاف التي لا تنبغي.
فالإخوان المسلمين **وكما قال عنهم الشيخ الألباني** رحمه الله بأنهم ينطلقون من قاعدة وضعها لها مؤسسهم وهي :

« **نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه**»
فهذه العبارة هي السبب الرئيسي وراء بقاء الإخوان المسلمين نحو أكثر من ثمانون عاما بعيدين كل البعد عن فهم الإسلام فهما صحيحاً وبالتالي بعيدين عن تطبيق الإسلام عمليا ففاقد الشيء لا يعطيه .

أما الفكر الوحدوي عند الشيعة أو عند الحركة الإسلامية الإيرانية من وجهة نظر عباس خامه يار فيعني به تلك التصريحات أو الكتابات التي صدرت من الخميني وبعض مراجع الشيعة بضرورة التقارب بين السنة والشيعة ، واتحادهما لمواجهة الأخطار الخارجية إضافة إلى بعض الأشياء العملية من قبيل تغيير بعض المناهج الدراسية ، الخاصة بأهل السنة ، وتقديم المساعدات للكثير من الهيئات السنيّة ، والاهتمام بالمناطق السنيّة في إيران ...

لكنه تناسى أن تلك التصريحات المعسولة التي أصدرها الخميني وغيره، كانت تكذبها الأفعال على أرض الواقع فقد تعرض أهل السنة في إيران لظلم كبير من قبل الخميني يفوق ما كان عليه الحال أيام الشاه ، وتعرضت مساجدهم ومدارسهم للهدم والإغلاق ، كما تعرض الكثير من علمائهم وشبابهم للقتل والحبس والاضطهاد .

كما أن عداوة مراجع الشيعة وعلى رأسهم الخميني لأهل السنة ومذهبهم ودولهم ، كانت تشهد عليها الكتب التي ألفوها ونشروها ، وعلى الفور تحولت العداوة على شكل حروب ضد الدول السنيّة كالعراق، وعلى دعم الأقليات الشيعية في الخليج للتخريب والتمرد على دولها .

فموقف الحركتين الشيعية والإخوان المشترك إزاء القومية يعتبر العامل الثاني الذي أحدث تقارباً فيما بينهم ، فكلا الحركتين اتخذ موقفاً سلبياً من الاتجاهات القومية، فالإخوان اعتبروا أن القومية العربية هي سبب ضياع الخلافة الإسلامية ، وضياع فلسطين، في حين أن الحركة الشيعية الإيرانية «ترى نفسها ضحية من نوع آخر للقومية التي تجلت تارة في ٢٥٠٠ عام من النظام الشاهنشاهي ، وتارة أخرى في الأحزاب الوطنية المعارضة للثورة

والمرتبطة بالقوى الغربية ، والتي وقفت موقفاً عدائياً من الثورة الإسلامية بعد انتصارها» .

أما نقاط الإختلاف فلا تتجاوز انتقاد إيران للإخوان لأنهم «لم يقفوا موقفاً حاسماً في اعتبار العراق معتدياً في حربه مع إيران لعروبة العراق ، وبفعل تأثير إعلام القوميين المكثف في العالم العربي» .

وكذلك انتقد الإخوان الإيرانيين «لأنهم وضعوا موادا في الدستور تشترط في رئيس الجمهورية أن يكون والداه إيرانيين ، فالإخوان يعتبرون ذلك من رواسب الحس القومي الإيراني».

ولعلّ خامه يار لم يشأ التوقف طويلاً إزاء الرواسب القومية الفارسية التي تحكم سياسات إيران الداخلية والخارجية ، فقد اكتفى بمثال واحد مستوحى من الدستور الإيراني، ثم أخذ يعدد بعض ما اعتبره «الخطوات المهمة التي خطتها الحركة الإسلامية الإيرانية بعد الثورة على صعيد نبذ القومية الفارسية والجهود الشاقة التي بذلتها في سبيل تغيير المواد الدراسية ، وتنقيح تاريخ البلاد من الشوائب وتنقية ثقافته ، وإبراز الصورة الحقيقية للإسلام والعرب بعد سنوات طويلة من الإعلام المغرض للنظام السابق» .

وبالرغم من أن المنطلقات القومية الفارسية الاستعلائية في عهد الثورة تبدو أقل حدّة لما كان الوضع عليه أيام الشاه ، بسبب أن البعد المذهبي احتل المرتبة الأولى في عهد الثورة، إلاّ أننا نجد أنفسنا، ونحن ندرس سياسات إيران الداخلية والخارجية، أمام منطلقات قومية فارسية واضحة من قبيل تحكم القومية الفارسية التي لا يزيد عدد أفرادها عن ٥١٪ من مجموع سكان إيران بمقاليد الحكم والسلطة في البلاد، في حين تعاني القوميات الأخرى مثل الأكراد والبلوش والعرب من تهميش واضح ، ومن قبيل إصرار إيران إطلاق اسم الخليج الفارسي على الخليج العربي ، ومن قبيل الاهتمام الرسمي والشيعي بعيد النيروز الفارسي مقابل إهمال عيدي الفطر والأضحى اللذين تحتفل بهما الأمة الإسلامية جمعاء.

وتعتبر قضية فلسطين وتحرير القدس الشريف من وجهة نظر الباحث عباس خامه يار «من أهم النقاط التي تلتقي عندها جماعة الإخوان المسلمين والحركة الإسلامية الإيرانية منذ البداية وحتى الآن» .

فقضية فلسطين حظيت باهتمام خاص لدى الإخوان «وشكلت منعطفاً في تاريخهم، ونقطة مشرقة في سجلهم»، ويورد عدداً من الأدلة النظرية والعملية لدعم الإخوان لقضية فلسطين، والعمل على تحريرها من الاحتلال ، ثم يقارن تلك المواقف ، بما أصدره مراجع الشيعة من بيانات وخطابات تجاه قضية فلسطين ، ليصل إلى أن مواقف الإخوان والشيعة متطابقة إزاء قضية فلسطين وتحرير القدس، بل ومتطابقة أيضاً في منطلقاتها.

فالأقوال والشعارات الطنانة للسياسات الإيرانية الشيعية في الداخل والخارج لا تنطبق مع الأفعال على أرض الواقع ، فإيران التي صدر عنها الكثير من التصريحات الداعمة للقضية الفلسطينية، صدر عنها أيضا الكثير مما يؤذي هذه القضية ، مثل دعمها لنظام سوريا الذي ارتكب المذابح ضد الفلسطينيين في لبنان وها هو الآن يرتكب مذابح ضد الشعب السوري نفسه ، كما أن الحركات الشيعية المدعومة من إيران وسوريا وخاصة حركة أمل هي الأخرى ارتكبت بحق الفلسطينيين مذابح يندى لها الجبين كما في حرب المخيمات سنة ١٩٨٥.

فإن الدعم الشيعي للقضية الفلسطينية ، لم يتجاوز في كثير من الأحيان الدعم «الشعاراتي» الذي كان يصادمه الفعل ، فكم سمعنا عن جيوش المتطوعين التي تسجل أسماءها من الإيرانيين للاستشهاد في فلسطين ، دون أن نرى تطبيقاً عملياً لذلك أو سقوط شهيد واحد منهم .

ولعلّ مما يجدر التوقف إزاءه، هو موقف الأحزاب الشيوعية المؤيد لتقسيم فلسطين، وإنشاء دولة لليهود على ثرى فلسطين ، تلك المواقف الشيوعية المخزية التي غابت عن أذهان المسلمين في هذه الأيام، بسبب السيطرة اليهودية والشيوعية العالمية على مقاليد الإعلام ، فقد كان الشيوعيون ودولتهم الاتحاد السوفيتي في مقدمة الداعمين للدولة اليهودية، الأمر الذي

أدركه الإخوان سنة ١٩٤٧، في حين أنهم نسوه هذه الأيام، كما حصل في زيارة وفد حركة حماس لموسكو .

نأتي لعناصر الافتراق بين الحركتين والتي أضعفت العلاقات الإخوانية ـ الإيرانية ، ومن الممكن ان نقسمها إلى عوامل فكرية، وأخرى سياسية:

أولاً: عوامل الافتراق الفكرية وهي (الحكومة وشكلها المختلف في رأي الحركتين، واختلاف النظرة إلى معسكري الشرق والغرب ، والمسار الإصلاحي والثوري).

الحكومة وشكلها المختلف ولعلّ هذا العنصر من عناصر الافتراق يظهر فيه التأثير الشيعي بشكل واضح جلي ، فبرغم ما أبداه الإخوان من مودة وحسن نية تجاه الشيعة وإيران وثورتها ، إلاّ أن عقيدة الشيعة الخاصة بالإمامة والحكومة ، وهي الركن الأساسي ، اتخذت فيصلاً وحكماً في علاقة الشيعة بالإخوان ، فالفكر الشيعي ، وإيران على وجه الخصوص، لا يقبلان أي فكر أو تنظيم يخالفهم في قضية الإمامة ، ودولة المهدي المنتظر، مهما حاول هذا التنظيم أو ذاك التقرب من إيران ، أو مدح الشيعة.

ففيما يتعلق بموقف إيران والإخوان من قضية الإمامة وشكل الحكومة ، فإن الحركتين « تعتقدان اعتقاداً راسخاً بإقامة الحكومة الإسلامية وارتباط الدين بالسياسة «.

بالرغم من أن الحكومة الإسلامية مختلف عليها اختلافا كبيراً وعميقاً، كون الإخوان المسلمين جماعة سنيّة ، تنظر إلى هذه القضايا من منظورها السني ، في حين أن إيران تنطلق من هذه القضايا منطلقاً شيعياً ، يختلف عن المفهوم السني جملة وتفصيلاً .

فالحركتان نظرتهما إلى مفهوم الحكومة والحاكم وطريقة تطبيق الشريعة وأسلوب الوصول إلى الحكم مختلف كل الإختلاف ، وعندما أراد الباحث الإيراني أن يعرض وجهة النظر السنيّة تجاه الحاكم وشكل الحكم ، التي تستند إليها جماعة الإخوان المسلمين، فقدم تصوراً مغلوطاً في بعض فروعه مستنداً إلى كلام بعض مراجع الشيعة ، وبعض الأشخاص المحسوبين على

السنة من قبيل الادّعاء بأن موقف أهل السنة من نظم الحكم القائمة كان أقرب إلى التسليم بالأمر الواقع ، ومن قبيل أنه «إذا زادك السلطان إكراماً فزده إعظاماً، وإذا جعلك عبداً فاجعله ربّا» !! .

أما فيما يتعلق بالإخوان وموقفهم من الحاكم، فخامه يار يذهب إلى أنهم «لا يهتمون بشخص الحاكم ولا بمواصفاته التي ينبغي أن يتحلى بها ولا بوقت وكيفية تنفيذه للأحكام» .

والحكم السابق الذي أصدره خامه يار على الإخوان، قد يكون خاطئا ويعتبر قراءة مغلوطة لقول حسن البنا الذي قال :

«فالإخوان المسلمون لا يطلبون الحكم لأنفسهم، فإن وجدوا من الأمة من يستعد لحمل هذا العبء وأداء الأمانة والحكم بمنهاج إسلامي قرآني فهم جنوده وأنصاره وأعوانه، وإن لم يجدوا الحكم من منهاجهم فسيعملون لاستخلاصه».

وبنفس المعنى يقول المرشد الثالث للإخوان ،عمر التلمساني رحمه الله:

«فلا يعنينا شخص من يحكم، ولكن في المقام الأول يهمنا نوع الحكم وشكله ونظامه وبعد ذلك فليحكم من يحكم».

وبالتالي فإن التصريحات السابقة للبنا والتلمساني تعني أن الإخوان لا يشترطون أن يكون الحاكم من جماعتهم ، إنما ليحكم من يحكم، شريطة أن يحكم بالشريعة، وإذا فعل الحاكم ذلك، فإن الإخوان سيكونون له عوناً وسنداً وهذا ما لم يحدث فأول ما قامت الثورة وجاء وقت اختيار رئيس لجمهورية مصر العربية سارع الإخوان للوصول إلى كرسي الحكم .

أما الفهم المغلوط الذي خرج به خامه يار حول الحاكم عند أهل السنة والإخوان، وتصويرهم بأنهم مع جور السلطان وظلمه كما ذكر ذلك في مواضع عديدة من الكتاب، أمر منافٍ للواقع والحقائق، لا سيما وأن بعض الأقوال كانت تفتقد لذكر المصدر.

ثم يبدأ خامه يار بمقارنة ما اعتبره «موقف أهل السنة، وجماعة الإخوان من

الحاكم وشكل الحكومة»، مع ما يؤمن به الشيعة تجاه هذه القضية التي تعتبر عندهم ركناً من أركان الدين.

واستناداً إلى ما كتبه علماء الشيعة، فإن المعتقد الشيعي الذي تؤمن به «الحركة الإسلامية الإيرانية» يقوم على ما يلي:

ـ أن الحاكم يجب أن يتحلى ـ إضافة إلى القيادة السياسية ـ بالزعامة الفكرية والأخلاقية.

ـ أنه يجب أن يكون معيّناً من الله وأن يكون طاهراً معصوماً ، منزهاً عن كل عيب... وهذه الصفات منحصرة في الأئمة الاثنى عشر .

ـ تفويض الأمر في فترة الغيبة إلى «الفقيه الجامع للشرائط» فيما يعرف بولاية الفقيه.

ـ عدم وجوب طاعة الحاكم إذا حكم بالمعصية.

ـ تفضيل غير المسلم إذا كان عادلاً على المسلم إذا كان ظالماً.

ـ تحريم العمل عند الحكام، وعدم جواز الصلاة خلفهم.

وبذلك يتضح أن شكل الحكم عند السنة والشيعة يختلف اختلافاً كبيراً، فالسنة، ومنهم الإخوان، يعتبرون «الخلافة» هي التعبير الصحيح عن شكل الحكم بعد عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن قد يكون الإخوان قد تبدلوا حين وصلوا الى الحكم ولكنهم وطبقا لأفكارهم التي وردت في كتبهم يعتبرونها «واسطة العقد، ومجمع الشمل ومهوى الأفئدة وظل الله في الأرض»... والخليفة مناط كثير من الأحكام في دين الله، ولهذا قدم الصحابة رضوان الله عليهم النظر في شأنها على النظر في تجهيز النبي صلى الله عليه وسلم ودفنه حتى فرغوا من تلك المهمة .

أما الشيعة، فإنهم «يرفضون فكرة الخلافة من الأساس، بل يرون أن كل ما أتى بعد علي بن أبي طالب غير شرعي وغير معترف به، خاصة إذا ما أتى من أهل السنة».

وقد اختلفت الحركتان من حيث النظرة والموقف من الشيوعية والرأسمالية ، فالإخوان المسلمين كانت تعتبر الشيوعية أو الماركسية خطراً يفوق الخطر الغربي أو الرأسمالي ، الممثل خاصة بالولايات المتحدة وبريطانيا ، في حين أن

«الحركة الإسلامية الإيرانية» كانت ترى أن الخطر المحدق قادم من الغرب ، وزعيمته الولايات المتحدة.

فالإخوان ـ عموماً ـ يعتبرون الخطر الشيوعي الماركسي أكبر من الخطر الغربي، لعدة أسباب:

١ـ أن الماركسية مذهب فكري وعقائدي وثقافي، وليس خطراً عابراً، وهو مصادم للدين والعقيدة بشعاره : « الدين أفيون الشعوب « .

٢ـ أن أقسى الضربات التي تلقتها جماعة الإخوان في مصر، كانت على يد نظام جمال عبد الناصر الاشتراكي، الحليف للاتحاد السوفيتي، مركز الشيوعية في العالم (ويجدر أن نلاحظ أيضا أن الإخوان في سوريا تلقوا أقسى الضربات على يد نظام شيوعي طائفي)، وكذلك في العراق.

٣ـ القمع الذي كان يقوم به الحكام الشيوعيون في العالم العربي لشعوبهم، والإفساد ومحاربة الدين، والشعارات البراقة التي كان يطلقها الشيوعيون لاستغفال واستقطاب الشباب.

٤ـ الارتباط الوثيق بين اليهودية والشيوعية، وكون معظم زعماء الأحزاب الشيوعية في الوطن العربي هم من اليهود، أو المسيحيين المؤيدين لإسرائيل.

٥ـ اعتقاد الإخوان بأن هزيمة عام ١٩٦٧ أمام اليهود كانت نتيجة لخيانة ومؤامرة الشيوعيين في الاتحاد السوفييتي وتعاونهم مع الصهيونية الدولية.

٦ـ تأثر الإخوان بموقف السعودية الرافض للتوجهات الاشتراكية لنظام عبد الناصر.

٧ـ احتلال السوفييت الشيوعيين لأفغانستان المسلمة.

أما نظرة الإخوان إلى الغرب والرأسمالية، فإنها تستند إلى:

١ـ تركيز الإخوان على الانحطاط الأخلاقي والثقافي للغرب، لذا فإن اختلافهم معه في الجوانب الثقافية والأخلاقية كان أقوى بكثير من الجوانب الأخرى.

٢ـ اعتبارهم أن الغرب أهل كتاب ، يقل خطرهم عن الكفار من غير أهل الكتاب.

٣ـ افتقار الإخوان إلى الفهم الدقيق للرأسمالية وأهدافها الاستراتيجية، والنظر إليها بدرجة كبيرة من السطحية.

لكن موقف جماعة الإخوان المتشدد من الشيوعية، في فترات الجماعة الأولى، حصل له تبدل كبير، فلم يعد الخطر الشيوعي، ذا أهمية الآن بالنسبة للإخوان بعد أن احتلت أمريكا واجهة الخطر، وبعد أن اعتقد الإخوان بمقولة موت الشيوعية ، ولعلّ العديد من الشواهد تذهب في هذا الاتجاه مثل: التنسيق والتحالف مع الأحزاب اليسارية في العالم العربي ، إقامة العلاقات الوثيقة والإشادة الدائمة بعدد من الأنظمة اليسارية في العالم (روسيا ـ فنزويلا) رغم أن الأنظمة اليسارية العربية كانت ولازالت تحارب جماعة الإخوان ، وألد أعداء الإخوان فكرياً هم مفكرو اليسار ومجلاتهم كما حدث في مصر مؤخراً بعد الانتخابات المصرية التي شهدت صعود الإخوان، فقد كان كتاب اليسار أشد أعداء الإخوان نقدا .

أما نظرة الخميني للشيوعية والرأسمالية، فمختلفة عن وجهة نظر الإخوان، وكان الإيرانيون يعتبرون الخطر الغربي أكبر من الخطر الشرقي أو الشيوعي، ويعزو إلى:

١ـ أن إيران كانت واقعة خلال القرنين الماضيين تحت سيطرة الاستعمار الغربي، السياسية والعسكرية والاقتصادية، وكان لبريطانيا وأمريكا على وجه الخصوص الدور الكبير في الدعم اللامحدود لنظام الشاه في قمعه للحركة الشيعية الإيرانية .

٢ـ لم يكن الخميني ينظر للأمريكان على أنهم أهل كتاب، بل إنه يعتبر الغرب «كافراً». (ويجدر أن نلاحظ أنه مع اعتباره أهل الكتاب كفارا، فإنه لم يعتبر الملاحدة الروس مثلهم)!!

٣ـ اعتبار الخميني أن نشاط ومواقف الشيوعيين في إيران، التي ترتبط «ظاهرياً» بالمعسكر الشرقي، إنما تصب في حسابات ومصالح أمريكا والغرب !

٤ـ اعتبار أن أمريكا والغرب هما سبب كل المآسي التي حلت بالإسلام والمسلمين، وهنا نجد تزويرا واضحا للتاريخ فإن جرائم المعسكر الشيوعي تجاه المسلمين

ليس لها مثيل في تاريخ الإسلام، ومن الممكن أن تعود قارئي العزيز الى كتاب (قتلوا من المسلمين مئات الملاين) لمحمود عبد الرؤوف القاسم لترى بنفسك كم المجازر والإبادة الجماعية التي حدثت للمسلمين وغيرهم .

فالمسلمين في الإمبرطورية الروسية كان عددهم تقريبا قبل الثورة الشيوعية (٥٣) مليوناً ولكن المجازر الستالينية التي بدأت سنة (١٩٣٦) وانتهت سنة (١٩٣٩)، قد حصدت أكثر من نصف ضباط الجيش مع ملايين من المسيحيين وعشرات الملايين من المسلمين وكانت قد أثارت صخباً كبيراً في الصحافة الأوروبية والأميركية اللاماركسية.

وكانت أخبارها تتسرب بواسطة الهاربين الذين قَدّر لهم أن يصلوا سالمين إلى البلاد اللاماركسية .

ويعتبر المسار الإصلاحي والثوري هو أحد العناصر التي أدّت إلى ضعف العلاقات بين حركتي الإخوان، والشيعة ، فالإخوان «حركة إصلاحية محافظة ، وليست حركة انقلابية « ، وأن سياستها تقوم على التربية والتثقيف والدعوة ، وعدم جواز الخروج على الحاكم الظالم ، واعتماد أساليب العمل السلمي ، ومنه العمل البرلماني .

أما « الحركة الإسلامية الإيرانية « فإنها تشكك في هذا المنهج الإخواني، السلمي التربوي، متسائلة: «ما الذي أسفر عنه الأسلوب الإصلاحي التربوي للإخوان بعد خمسين سنة من تجربته ؟ وإذا كنّا نتقبل جواب الإخوان على أنه لم يغير الحكومات ولكنه خلق قاعدة عريضة ودائمة ، فإن سؤالاً آخر يطرح نفسه وهو:

هل يستحق هذا الأمر كل هذا الثمن الباهظ ؟

بالفعل يستحق ففي نهاية المطاف قد حققت جماعة الإخوان المسلمين مرادها ووصلت إلى كرسي حكم مصر .

وتحاول «الحركة الإسلامية الإيرانية» التدليل على صحة نهجها الثوري بانتصار الثورة على نظام الشاه سنة ١٩٧٩م ، وهي « ترتكز على الأصول الشيعية في عملها ، وتتأثر بالأحداث التاريخية ، وبالمظالم التي تعرض لها الشيعة على

امتداد تاريخهم ، وبالمعارضة التقليدية التي عرفوا بها حكام الجور والظلم ، فيطلقون شعار (كل أرض كربلاء ، كل يوم عاشوراء) ، ويبقى الخيار مفتوحاً أمام زعماء هذه الحركة لاختيار الظروف الزمانية والمكانية المناسبة واختيار أقصر الطرق لتحقيق هدفهم الساميلامن وجهة نظرهم « .

فالفكر الشيعي لا يمكن الوثوق به أبدا بأي حال من الأحوال لأنه طامح و طامع في السلطة بأي وسيلة كانت .

وإضافة إلى العوامل الفكرية السابقة ، فإن هناك أسباباً سياسية أخرى ، أدت بشكل كبير إلى ضعف الروابط بين حركة الإخوان والحركة الإسلامية الإيرانية ، فيؤكد خامه يار على الهوية المذهبية للثورة ، على عكس ما درج علماء الشيعة من ترديده بالهوية الإسلامية فقط للثورة دون أي اعتبار مذهبي.

فيرى أن « انتصار الثورة الإسلامية هو انتصار للفكر الشيعي وإحياء له من جديد بين مسلمي العالم، وهو الفكر الذي يعتقد الشيعة أنه حورب واضطهد منذ وفاة الرسول وانتخاب الخلفاء الراشدين على يد بعض الصحابة في سقيفة بني ساعدة «.

ثم ينتقد ثانياً أهل السنة الذين كانوا يستاءون من تعصب الثورة للمذهب الشيعي، فيقول:

« كانت كل خطوة تخطوها الجمهورية الإسلامية الإيرانية تخضع لتمحيص العالم السني وتثير حساسيته ، وأدت الخطوات الوحدوية التي خطاها أصحاب الثورة الإسلامية ، إلى رفع طموحات السنة إلى أكثر مما ينبغي ، حتى أضحوا يرون في أي تأكيد للهوية المذهبية للثورة انحرافاً عن الأهداف الأساسية للثورة ويهاجمونها بشدة دون أن يلحظوا دور المذهب في انتصار الثورة والتزام الناس الشديد بمذهبهم ، ووجود الكثير من الأشخاص المتعصبين ، وما إلى ذلك من الأمور التي لا سبيل إلى تجاهلها « .

فالعوامل التي أزمت علاقة الإخوان المسلمين بإيران كثيرة نجدها تتمثل في نهضة الشيعة في البلدان الإسلامية لأن نجاح الثورة أعطى الشيعة خارج

إيران دفعة معنوية كبيرة ، وتطلعات تفوق أحجامهم ، وعددهم ، كما تمثل ذلك من سطوع نجم الشيعة في لبنان ، ممثلاً بحزب الله ، وانتفاضات الشيعة في بعض دول الخليج .

كذلك انتشار الكثير من البؤر التي تعمل علي نشر الفكر الشيعي في أوساط السنة من خلال عقد الدروس والندوات والمحاضرات ا، ولا تخفى الأهداف التي تتستر إيران من ورائها لنشر التشيع ، حتى أن أحد كبار الإخوان المسلمين ، وهو التونسي راشد الغوشي ، المعروف بولائه لإيران والشيعة ، انتقد هذا التوجه ، معتبراً أن الأولى بإيران بدلاً من تشييع أهل السنة في شمال أفريقيا ، أن تسعى لدعوة غير المسلمين للإسلام .

فالمواجهات بين السنة والشيعة لا تنتهي وكانت لها بالغ الأثر على توتر العلاقات بين الحركتين ، فالظلم والاضطهاد الذي تعرض له أهل السنة في إيران ، خاصة في أقاليم كردستان وأذربيجان الغربية وتركمانستان ، يندى له الجبين لكنهم ينكرون كل ذلك ولا يصفونه بمصطلحات كالظلم والاضطهاد والتهميش وانما تجدهم ينعتوا الاضطهاد الذي تعرض له السنة مجرد « مواجهات دامية بين أنصار الثورة الإسلامية ومعارضيها في المناطق السنيّة الإيرانية» !!

ومما يثير الاستغراب في هذا الصدد أن الباحث خامه يار رغم اعترافه بأن السياسات الإيرانية السابقة مثل تمرد الشيعة في الخليج على حكوماتهم ، ونشر التشيع وظلم السنة في إيران كانت سبباً في نفور السنة من الثورة ، إلاّ أنه يحمل الإخوان مسؤولية فتور العلاقات مع إيران ، معتبراً أنها انساقت وراء الدعاية « الوهابية « ضد الشيعة وإيران ، وكأن إيران لا تتحمل مسؤولية إزاء نفور السنة والإخوان عن مذهبهم وثورتهم .

فعلاقة جماعة الإخوان بقادة الحركة الشيعية بدأت قبل الثورة بسنوات طويلة ، وكانت (دار التقريب بين المذاهب الإسلامية) عنصراً مهماً من عناصر التقارب الفكري بين الجانبين، وكان حسن البنا مؤسس الجماعة أحد الناشطين في الدار.

والملفت في علاقة الإخوان المسلمين بالحركة الشيعية الإيرانية المناهضة للشاه في تلك الفترة التي سبقت الثورة الإيرانية ، تلك الحميمية التي كان يكنها الإخوان لنواب صفوي .

ونواب صفوي ـ لمن لا يعرفه ـ هو أحد القيادات الشيعية الشابة الثورية ، وكان يتعصب لآرائه لدرجة القتل، وكان زعيماً لمنظمة ثورية هي فدائيان إسلام (فدائيو الإسلام)، وقام هو وأتباعه بقتل عدد من كبار المسؤولين الإيرانيين في عهد الشاه، وإضافة لذلك قتل عدداً من علماء السنة، منهم الشيخ أحمد كسروي رحمه الله .

فالشيخ أحمد الكسروي كان قد ترك التشيع وتفرغ لنقده والسنة ، فقال عنه الأستاذ محمود الملاح العلامة اللغوي العراقي :

«لم يظهر في عالم الشيعة أحد في عياره منذ ظهر اسمٌ شيعيٌ على وجه الأرض «. جذبت مقالات الكسروي التي ينتقد فيها أصول المذهب الشيعي أنظار بعض المثقفين والجمعيات العاملة في البلاد ، وأقبل عليه فئات من الناس من كل حدب وصوب ، ولا سيما الشباب من خريجي المدارس فأحاط به آلاف منهم وقاموا بنصرته وبث آرائه ونشر كتبه .

ولما صلت آراؤه بعض الأقطار العربية وهي الكويت ، طلب من الكسروي تأليف كتبا بالعربية ليستفيدوا منها ؛ فكتب كتابه الشهير «التشيع والشيعة» الذي أوضح فيه بطلان أصول المذهب الشيعي ، وأن خلاف الشيعة مع المسلمين إنما سنده التعصب واللجاج لا الحجة والبرهان ، وما ان أتم كتابه حتى ضُرب بالرصاص من قبل مجموعة من الروافض ، أُدخل على أثرها المستشفى وأُجريت له عملية جراحية وتم شفاؤه.

ثم أخذ خصومه من الروافض يتهمونه بمخالفة الإسلام ورفعوا شكوى ضده إلى وزارة العدل ودعي للتحقيق معه ، وفي آخر جلسة للتحقيق معه في نهاية سنة ١٣٢٤هـ ضُرب بالرصاص مرة أخرى، وبخنجر، ومات إثر ذلك ، وكان في جسمه ٢٩ جرحاً، وقد عاش ٥٧ سنة، وترك أفكاره وكتبه ومقالاته الكثيرة حية مع الأحياء».

فقتل أحمد كسروي على يد أتباع نواب صفوي ؛ حيث حكم نواب صفوي على كتابات كسروي بأنها كتب ضلال فاعتقل نواب صفوي وأودع السجن، ولكن بضغط من الجماهير أفرج عنه.

وقد كان الإخوان يعتبرون نواب صفوي واحداً منهم، ودعوه لزيارة مصر وسوريا في بداية عام ١٩٥٤، والتقى قيادة الجماعة، وخطب في مهرجاناتها، وعندما اشتكى له زعيم الإخوان في سوريا د. مصطفى السباعي رحمه الله من انضمام شباب الشيعة إلى الأحزاب العلمانية والقومية، دغدغ صفوي عواطف الإخوان، وقال أمام حشد من السنة والشيعة:

«من أراد أن يكون جعفريا حقيقياً فلينضم إلى صفوف الإخوان المسلمين» .

وبعد محاولة نواب صفوي اغتيال رئيس الوزراء الإيراني الأسبق (حسين علاء)، صدر حكم بإعدامه ، وقد حاول أنصاره اثناء حكومة الشاه عن تنفيذ حكم الإعدام وكان منهم الخميني وجماعة الاخوان المسلمين إلا أن جميع هذه الجهود لم تنجح ، وبالفعل نفذ الحكم عام ١٩٥٦م.

فعلاقة الإخوان بالثورة الإيرانية كانت حميمية رغم أن الإخوان أخذوا على الثورة مواجهاتها الدموية مع أعدائها، والأحكام التي أصدرتها المحاكم الثورية، وتأكيد الدستور كون رئيس الجمهورية شيعياً وإيرانيا، وتحديد نظام ولاية الفقيه كأسلوب للحكم في إيران وحاكمية فئة رجال الدين .

فعلاقة إيران بالإخوان كانت تقوم على دعامات أساسية احداهما معرفة إيران بمذهبها والانطلاق منه في التعامل مع الإخوان والعبور من خلالهم إلى العالم السني ، مع غياب هذا البعد عند جماعة الإخوان التي لم يدرك كثير من قادتها حتى اليوم مذهبية وطائفية إيران .

فتقوم بإيران على الأرض بما يتوافق مع مذهبها ومصلحتها كالتعاون مع أمريكا في السر « إيران جيت » وتأييد مذابح الفلسطينيين في لبنان ومذابح الإخوان في سوريا مع دغدغة عواطف الإخوان بالشعارات والكلا م، ومن ثم تحميل الإخوان مسؤولية عدم تحقيق الوحدة الإسلامية!!

ففضيحة « إيران جيت « تتلخص قصتها بأنه اثناء حرب الخليج الأولى في ثمانينيات القرن الماضي ، كانت أمريكا تمثّل الشيطان الأكبر بالنسبة للإيرانيين من أنصار الخميني في ثورته ضد نظام الشاه. وقد كانت اغلب دول العالم تقف في صف العراق ضد إيران وبعضها بشكل شبه مباشر مثل الكويت و السعودية و أمريكا، وفي خلال تلك الفترة ظهرت بوادر فضيحة بيع أسلحة أمريكية لإيران وقد يكون ذلك من الأسباب الرئيسية في سقوط الرئيس الأمريكي رونالد ريجان .

فيؤكد الباحث عباس خامه يار أنه فور اندلاع الثورة ونجاحها في اسقاط نظام الشاه بادرت أمانة التنظيم الدولي للإخوان المسلمين بالاتصال بالمسؤولين الإيرانيين بغية تشكيل وفد من الإخوان لزيارة إيران والتهنئة بالثورة وتدارس سبل التعاون، وفعلاً عينت إيران ضابطاً للاتصال بالتنظيم الدولي للإخوان في (لوجانو) في سويسرا بتاريخ ١٤ مايو ١٩٧٩ .

فيوسف ندا والذي كان يعتبر المفوض السابق للعلاقات الدولية في جماعة الإخوان المسلمين وهو شخص لا يحب أن يظهر عادة في الصورة بل يعمل من خلف الكواليس كان هو المسؤول عن التواصل مع إيران حيث يؤكد أن الإخوان المسلمين كانت لديهم علاقات بإيران قبل إندلاع الثورة الإيرانية حيث كون الإخوان وفدا والتقى مع الخوميني ودعمه في باريس قبل أن يذهب إلى إيران .

فالإخوان وبالرغم من حل جماعتهم على يد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر لم يغيبوا عن الحياة السياسية بل حاول البعض تغييبهم ، فالإخوان كان لهم أثر بالغ في السياسة الداخلية والخارجية فكانوا في السجون وكانوا يتحركون !! وبمجرد ما نجحت الثورة الإيرانية شكل الإخوان وفدا لزيارة ايران فالتقوا في إسلام آباد ، واستأجر يوسف ندا من جيبه الخاص طائرة خاصة وكان من المستحيل أن تدخل مطار طهران ، لأنه كان مغلق آنذاك فاتصل يوسف ندا بإبراهيم يزدي فأوصله بالمسؤول عن المطار، وكان اسمه المهندس والي ،

فسمح للطائرة بالنزول ، وكانت ثالث طائرة تهبط في مطار طهران ، فالطائرة الأولى كانت طائرة الخميني، والثانية لياسر عرفات، والثالثة كانت طائرة وفد الإخوان المسلمين .

يوسف ندا رجل الإخوان المسلمين أو البنك المتنقل الخاص بهم يرى أن العديد من البلدان الإسلامية للأسف الشديد ، استعملت الدين كسلاح في محاربة إيران وأصبحت إيران عدو لدود للإسلام، وقالوا كلاما كثيرا، وهو كلام لا نقبله فمن المفروض ان نحاول ردم الهوة التي تقع بين المسلمين وبعضهم .

فالإخوان والكلام ليوسف ندا كان هدفهم من زيارة وفدهم لإيران هو مباركة الثورة وتدعيمها باعتبارها ثورة اسلامية فنحن ننظرالى وحدة المسلمين سواء سنة أو شيعة فلا نفرق بين المسلمين على أساس طائفي .

فيوسف ندا كان المسئول الأول عن العلاقة فيما بين الإخوان والنظام الإيراني الجديد فامبراطور الحديد يوسف ندا فتح استثمارات ضخمة مع ايران ولكنه خسرما يقرب من ال ٥ ملايين دولار.

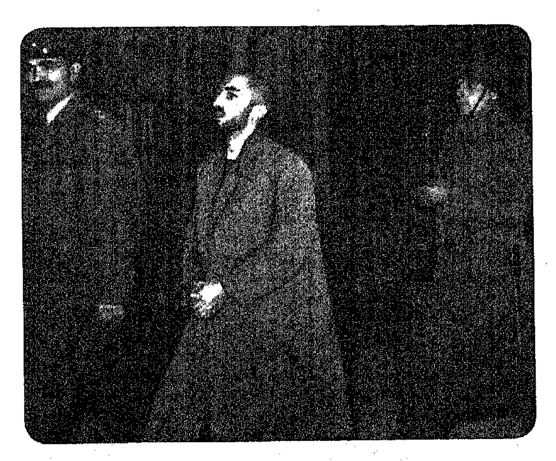
وهذا حينما ضربت أمريكا عليها حصارا دوليا ومنعوا دخول أي بواخر اليها ، ومنعوا أي بضائع أن تدخل الى هناك ، فحدثت أزمة مواد غذائية ، وأزمة في الحديد ، فطلب وزير التجارة من يوسف ندا ، المساعدة ؟ فهم في حاجة الى الشعير وفي حاجة أيضا لـ١٠٠ ألف طن من الحديد .

ونظرا لأن البواخر كان غير مسموح بدخولها فجاء الحديد من هامبورج بالسكة الحديد إلى (كوتكا) في فنلندا، ومن هامبورج بالباخرة إلى كوتكا في فنلندا، ومن كوتكا بالسكة الحديد مرّ بروسيا حتى نزل على جولفا في بحر قزوين بالقطار .

ففي الوقت الذي ضربت في امريكا حصارا على إيران كانت الإمدادات تذهب إليهم بتسهيلات وتمويل من الإخوان المسلمين .



نواب صفوي في زيارته لمصر ١٩٥٤



نواب صفوي أثناء محاكمته



نواب صفوي يخطب في أنصاره

نواب صفوي قبل اعدامه



نواب صفوي بعد اعدامه

ثورة صنعها أصدقائنا

يقول «روبرت دريفوس « وهو من أشهر المحللين السياسيين الأمريكيين « في كتابه رهينة في قبضة الخميني « إن القصة الحقيقية للثورة الإيرانية ما هي إلا أقصوصة تتصاغر إلى جانبها أفظع قصص الجاسوسية.

فقد خرجت الجموع الغاضبة الى شوارع طهران مفاخرة بأسلحتها الآلية التي حازتها حديثا ، وشرعت تنهب المباني والمنشآت العامة وتحطم بقايا نظام الشاه المخلوع وبدأ يلوح في الأفق عصر سلطان الرعب .

ولم يمر وقت قصير على اندلاع الثورة حتى أُعدم كبار ضباط الجيش والمخابرات ممن رفضوا التعاون مع النظام الجديد على مرأى ومسمع من الجميع على يد ميليشيات وفرق اغتيالات غير رسمية ولم يختلف حال المدن عن القرى بل قتل المئات والمئات على يد الحشود الغاضبة وهذا بعد ساعات من اعلان آية الله الخميني قيام جمهورية إيران الإسلامية في يوم ١٢ فبراير سنة ١٩٧٩ .

فإيران هي ميدان المعركة الظاهر لحرب دارت رحاها وراء الأستار وما زالت تتقد في الأوساط المالية العالمية وفي مختلف أجهزة المخابرات التابعة لدول حلف الناتو وإسرائيل والشرق الأوسط.

فكانت البداية في شهر نوفمبر من عام ١٩٧٦حيث صدر تقرير منظمة العفو الدولية وتقرير منظمة حقوق الإنسان ليكيل الاتهامات إلى شاه إيران حيث

يقوم بعمليات اضطهاد وتعذيب للسجناء السياسيين .

ويعتبر معهد أسبن للدراسات الإنسانية الواقع في كولورادو هو الأساس الذي مهد لقيام الثورة الإيرانية قبل ذلك بسنين عدة. فمشروع تقويض نظام الشاهلم يتم في يوم وليلة وانما كان قد تأصل وتجذر طيلة قرن أو أكثر، وهي المدة التي تعاهد فيها متخصصوا المخابرات البريطانية رجال الدين الإيرانيين والجمعيات السرية وأفراد جماعة الإخوان المسلمين بالرعاية والعناية كأصول نافعة للإمبراطورية البريطانية غير أن تقرير منظمة العفو الدولية كان هو الطلقة التي قذفت لتسعر نيران الحرب ، ليعلن بذلك عن استنفاذ قوة أحد الحلفاء الأقوياء لواشنطن.

ومن المعلوم أن منظمة العفو الدولية إنما هي في الحقيقة جبهة للمخابرات البريطانية ؛ إذ يأتي علي قمة المنظمة هؤلاء الذين على علم أكيد بالأخيرة، وهم رامزي كلارك، وسين ماكبرايد، وكونر كروز أوبريان، وقد كتب مستشار منظمة العفو الدولية ، ريتشارد فالك ، الأستاذ بجامعة برنستون، القسم الخاص بمشروع الثمانينيات المعني بحقوق الإنسان.

وبعد أن أعلنت الحرب من جانب منظمة العفو الدولية ، شرعت لاهثة مجموعات من منظمات راديكالية ويسارية في اتخاذ الإجراءات ضد الشاه . وفي هذا الشأن أنتج البرنامج الأسبوعي « ١٦ دقيقة « التابع لتلفزيون نشرة إذاعية CBS للتأكيد على أن عناصر البوليس السري التابعة للشاه كانت قد دبرت لقتل العديد من الشخصيات الإيرانية المعارضة ، بمن فيهم هذا الرجل الذي أصبح الآن وزير الخارجية الإيراني ، صادق قطب زاده ، وأحد الناشرين الذين أصدروا كتابات معادية للشاه في ولاية فرجينيا. وقد شاركت في هذه التعبئة الكاملة منظمات مثل مؤسسة برتراند راسل للسلام ، ومؤسسة ليلي و باسو في إيطاليا ، ومعهد الدراسات السياسية في واشنطن والجهاز الاشتراكي الدولي في أوروبا ، ولجنة خدمة الأصدقاء الأمريكيين ، ومؤتمر شعوب البحر المتوسط المدعوم من ليبيا، وكذلك العديد من منظمات حقوق الإنسان مثل

الجمعية الدولية للحقوقيين الديمقراطيين .

ومن خلال تلك المنظمات، أصبحت طهران مقصدا يتزاحم عليه الأساتذة الراديكاليون في حركة مطردة تغذيها العواصم الغربية بهدف الاتصال بالمعارضة. وفي إيران، كانت هناك منظمة واحدة فحسب لها أهمية كبيرة بما يبرر الاتصال بها ، ألا وهي جماعة الإخوان المسلمين.

وكانت الملالي بقيادة آية الله خلخالي وآية الله الخميني ، الذي اعتبر العقل المدبر للثورة ، تنظم نفسها تحت جماعة تسمى «فدائيو الإسلام» وهي تعتبر إحدى فروع جماعة الإخوان المسلمين .

وفي جميع أرجاء الدولة، تركز ما يقرب من ٢٠٠,٠٠٠من الملالي في جميع البلدات والقرى ، على أهبة الاستعداد لتنفيذ الأوامر التي يمليها عليهم بعض المتعصبين على رأسهم جماعة الإخوان المسلمين، وكان تحت طاعة عشرات من هؤلاء الملالي وآيات الله أعداد ضخمة من الموالين والتابعين.

فآية الله صادق خلخالي هو في الحقيقة رئيس الخميني ، حيث كان الأول زعيم جماعة «فدائيان إسلام».

ووفق المصادر الفرنسية ، كان الخميني نفسه عضوا في تلك الجماعة ، وهو لذلك كان ينضوي تحت خلخالي وفق القواعد التنظيمية للجماعة.

وكانت الذراع الأخرى للثورة الخمينية هي الزمرة صاحبة الخبرة التي تلقت تدريبها في الدوَل الغربية من عناصر المخابرات التي تحوط رجال الدين وتتفرع حولهم ، وهؤلاء الباقون أصبحوا الآن الحائزين على المناصب المدنية بعد الثورة ، ومنهم صادق قطب زاده، وإبراهيم يازدي، وأبو الحسن بني صدر. حيث صدرت التوجيهات اللازمة من واشنطن ولندن عبر «الأساتذة »، وكانوا من أمثال البروفيسور ريتشارد كوتام من جامعة بتسبرج.

فقد التقى كوتام مع يازدي في إيران في بدايات الخمسينيات ، عندما كان كوتام ضابط ميدانيا تابعا للمخابراتالمركزية الأمريكية وملحق ا بسفارة الولايات المتحدة بطهران. والتقى كوتام كذلك مع أحد الأعضاء المنتظر لهم أن يكونوا

من بين قادة الثورة الإيرانية ، ألا وهو قطب زاده، وأمده بما يحتاج إليه من توجيهات ، وخلال العشرين عاما التالية ، عقد الأستاذ بجامعة بتسبرج مع يازدي وقطب زاده جلسات إستراتيجية في الولايات المتحدة وأوروبا وإيران .
وكان يازدي النموذج الأمثل لهؤلاء «الثوريين» فقد كان دوما إلى جانب الخميني أثناء إقامة آية الله خارج البلاد في باريس في نوفل لوشاتو، بالإضافة إلى قطب زاده وبني صدر - وهم كانوا البطانة الداخلية التي كانت قوام «المستشارية الخمينية في باريس». وبعد فبراير ١٩٧٩ ، عين يازدي «نائب رئيس الوزراء لشؤون الثورة وهو المنصب الذي ساعده على تأسيس البوليس السري التابع للخميني Savamaوبعد ذلك صار وزير الخارجية ، ثم استقال في نوفمبر ١٩٧٩ ، في أعقاب حادثة الاستيلاء على سفارة الولايات المتحدة ، ليعود بعدها إلى وظيفة الرجل المكنون خلف المشاهد ضمن عصبة الخميني الداخلية.
وأثناء مدة إقامته لثلاث سنوات في فرنسا، عمل يازدي مع قطب زاده ومجموعة من الفرنسيين المحبين للإنجليز والوجوديين والمعنيين بالبيئة وعلماء الأنثروبولوجيا، وهم الذين ساندوا الحركة الخمينية.
و قد سنحت له فرصة الاتصال بأهم شخص عرفه ألا وهو البروفيسور علي شريعتي ، هذا المفكر الإيراني المتعصب الذي عدت نظرياته عن «الاشتراكية الإسلامية» الأساس التركيبي الذي ألف بين مختلف الحركات الخمينية ، وبخاصة في أوساط الطلاب الإيرانيين ، فلم يكن شريعتي يعمل وحده، حيث كانت تموله مؤسسة برتراند راسل للسلام .
وقد استطاع من خلال منصبه في جامعة مشهد أن يجمع حوله أتباعا من الثوريين ذوي الحماسة من بين صفوف طلاب المدارس الثانوية الإيرانية والكليات. وفي باريس عام ١٩٦٤ ، ناقش يازدي وشريعتي معا مسألة العودة إلى إيران وقررا فيما بينهما أن يعود شريعتي أولا ، ليليه يازدي بعدها. غير أنه حصل أن قبض على المرشد على الحدود المؤدية إلى إيران، ومن ثم وجه يازدي على إثر ذلك إلى عدم العودة وقد استغرق الأمر حوالي خمس عشرة سنة ليستطيع بعدها يازدي العودة إلى إيران - ليصير على رأس بطانة آية الله الخميني .

كارتر والبطاقة الإسلامية

شغل بريجينيسكي منصب « كبير مستشاري الأمن القومي « فهو العقل المدبر في إدارة كارتر لاستخدام «البطاقةالإسلامية» في لعبة التنافس مع الاتحاد السوفييتي، فمنذ عام ١٩٧٧ أفصح الرجل عن رؤيته على الملأ أنه يرى في «الأصولية الإسلامية «حصنا في مواجهة «الشيوعية» وفي مقابلة له مع صحيفة

«نيويورك تايمز « بعد الثورة الإيرانية ، أعلن بريجينيسكي أن واشنطن سترحب بقوى الصحوة الإسلامية في الشرق الأوسط لأن القوة الإسلامية - كفكرة عامة (أيدلوجية) معارضة بطبيعتها للقوى السائدة في المنطقة ، و التي تعتبر معاونة للاتحاد السوفييتي.

تدرب بريجينسكي على يد اليسوعيين في جامعة ماكجيل ، فقد صرح بأنه يرى نفسه قريبا من اليسوعيين في طريقة التفكير ، الأمر الذي جعل منه عضوا فخريا في جمعية اليسوعيين المذكورة ؛ ولأنه مهووس بمسألة تحرير أوروبا الشرقية كونه منتميا للأرستقراطية الرجعية في بولندا الإقطاعية ، فقد نظر في إمكانية إحداث انتفاضة تقودها شبكات يسوعية وانطلاقًا من هذه المزية ، كان من الصعب على بريجينيسكي المسارعة إلى استنتاج مفاده أن سلسلة من الحكومات التي يسيطر عليها تنظيم الإخوان المسلمين في منطقة الشرق

الأوسط من شأنه أن يخدم الغاية نفسها.

وبتضافر الجهود مع ثمار الشبكات اليسوعية ومختلف المنفيين من أوروبا الشرقية، واستحداث اللعب «بالبطاقة الصينية» الرابحة في آسيا، فإن التعاون مع تنظيم الإخوان المسلمين من شأنه استكمال المساعي الرامية إلى تطويق الاتحاد السوفييتي بجيوش ثابتة العداء له على المستوى الفكري .

بريجينيسكي طالب بإجراء «دراسة عالمية» على الأصولية الإسلامية نظرا لما لها من أثر سياسي متعاظم في أنحاء كثيرة من العالم .

ووفقًا لما نشرته صحيفة «واشنطن بوست»، فإن بريجينيسكي وجه الأوساط الاستخبارية رسميا لعمل دراسة متعمقة على هذه الظاهرة . وشيئًا فشيئًا صارت «البطاقة الإسلامية» لعرابها بريجينيسكي حاكمة لسياسة الولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط برمته.

وفي ذروة الثورة ضد نظام الشاه ، أصدر بريجينيسكي تصريحه الشهير الذي وصف فيه المنطقة بأنها « قوس للأزمات» يمتد من شمال وشرق أفريقيا في الشرق الأوسط مرورا بتركيا وإيران وباكستان.

فتعد منطقة الشرق الأوسط وتحديدا المنطقة المحاذية لقوس الأزمات الممتد من (مضيق هرمز - الخليج العربي - العراق - سوريا - فلسطين - وينتهي بقناة السويس)، هذه المنطقة أصبحت منذ أكثر من نصف قرن ولا سيما بعد الحرب العالمية الثانية بؤرة للصراع الدولي المعاصر وممرا نموذجيا لاختبار القوة واستعراض العضلات سواء من قبل القوى الإقليمية الصاعدة أو من قبل تنافس وصراع الأقطاب الدولية الكبرى المتنافسة.

وفي خطابه أمام الكونغرس الأميركي في فبراير ١٩٥٧ قدم الرئيس الأميركي الأسبق أيزنهاور مشروعه الذي سمي فيما بعد باسمه حيث قال :

«من الأمور التي تؤكد أهمية الشرق الأوسط القصوى احتواؤه على ثلثي مصادر البترول المعروفة في العالم الآن، إن هذه المصادر البترولية لا تقل أهمية عن حلف الأطلنطي».

فاكتسب ويكتسب هذا القوس الذي يمثل مركز الشرق الأوسط أهميته الجيوبوليتيكية من خلال طرفيه.

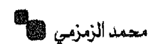
ففي الطرف الجنوبي حيث يتمركز تحت الأرض أكثر من ٧٥٪ من مخزون العالم من النفط والغاز، الذي من شأن الاستحواذ عليه التحكم الفعلي بعصب الطاقة في القرن الحادي والعشرين وقطع الطريق على بقية الأقطاب المنافسة ، في المقابل يكتسب الطرف الشمالي من القوس أهمية قصوى بالنسبة للقوى الدولية المتحكمة وذلك في الشق العسكري والأمني المتعلق بالصراع العربي الإسرائيلي .

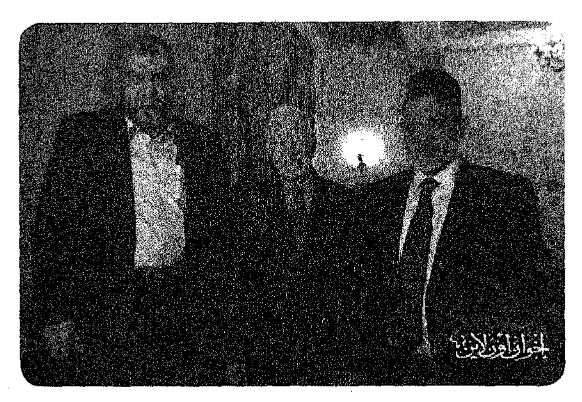
وما بين طرفي هذا القوس الاقتصادي والعسكري فإنه من المتوقع أن تتحول هذه المنطقة وعلى امتداد القرن الحادي والعشرين ولأسباب موضوعية إلى ما يشبه (القلب الأرضي الجديد) الذي تحدث عنه المفكر الإنجليزي الجيوبوليتيكي «ماكندر» صاحب نظرية القلب الأرضي The theory of heart Ground التي سادت نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين حيث عد منطقة «أوراسيا» بمثابة قلب العالم أو السويداء ومن يسيطر عليها يسيطر على جزيرة العالم ومن يسيطر على جزيرة العالم يتحكم بالعالم بأسره ، ولكنه في حينها كان يتحدث وفق معطيات زمانه ومن الواضح جدا على ضوء تبدل توزيع القوة ومصادرها في القرن العشرين فإن هناك انتقالا قد حصل على القلب الأرضي ليستقر في «قوس الأزمات» فمن يسيطر عليه (ثروات وممرات) يسيطر على عصب الطاقة ومن يسيطر على عصب الطاقة يتحكم بالقرن الحادي والعشرين.

وقد استغل بريجينيسكي الصورة الذهنية للدب السوفييتي الزاحف إلى المحيط الهندي لاقتراح إنشاء منظمة حلف الشرق الأوسط « METO » أو ميتو كان يراد لحلف «ميتو» في مراحله الأولى أن يكون بروتوكولاً غير صارم التنظيم بل وغير رسمي ، بحيث يرتكز في المقام الأول على التعاون بين الفروع الوطنية للتنظيم العالمي للإخوان المسلمين والمخابرات الإسرائيلية وفي ذلك اعتبر بريجينيسكي الإخوان المسلمين العامل المشترك القادر على ربط

الأنظمة المتباينة في إطار واحد لمد «قوس الأزمة».

تجلت استراتيجية بريجينيسكي الإسلامية في الدعم الخفي الأمريكي والدعم الصيني العلني للعصابات الأفغانية خارج باكستان وإيران ومع انتصار الثورة الإسلامية في إيران ، انهمرت المساعدات الأمريكية على التنظيمات الأصولية المقاومة للاتحاد السوفييتي بعد أن تدفقت التقارير على مجلس الأمن القومي برئاسة بريجينيسكي مبشرةً بانتصارات عسكرية مزعومة لمتمردي الإخوان المسلمين ولما سيطرت رؤى الانتصار الإسلامي الساحق ضد النظام الأفغاني بقيادة رئيس الوزراء أمين، مارس بريجينيسكي وحلفاؤه في بكين ضغوطهم دعما للجهاد)الحرب المقدسة(في أفغانستان ، وذلك بالرغم من ظهور مؤشرات باستعداد الاتحاد السوفييتي للتدخل العسكري في أواخر عام١٩٧٩ .





كارتر مع محمد بديع مرشد الإخوان ونائبه خيرت الشاطر في ٢٠١٢



كارتر مع الرئيس محمد مرسي

محطات الطاقة النووية وصوامع القمح

أفضت بطاقة بريجينيسكي الإسلامية إلى أبشع نهاية للسياسة التي وفدت بها إدارة كارتر إلى البيت الأبيض، فمن أوائل الإجراءات التي اتخذها كارتر بعد وصوله إلى سدة الحكم في يناير ١٩٧٧ أن أرسل نائب الرئيس والتر مونديل إلى فرنسا وألمانيا الغربية لإخبار قادة الدولتين بأن الولايات المتحدة ستعارض من الآن فصاعدا بيع تقنية الطاقة النووية إلى دول العالم الثالث، وبذلك تعرض اتفاق ألمانيا النووي مع البرازيل ووعد فرنسا ببيع التقنية النووية إلى باكستان لهجوم ضار .

وفي إيران - التي تعهد شاهها بإدخال إيران ضمن أكبر ٤٣ دولة صناعية على مستوى العالم بحلول العام ٢٠٠٠ - كان هناك برنامج شامل للتنمية النووية قيد التنفيذ بدعم من فرنسا وألمانيا الغربية بالأساس.

واستخدمت بعد ذلك أبراج التبريد النووية التي استحدثها الشاه كصوامع لحفظ الحبوب، وبات مفهوم "التعويل على الطاقات الإيرانية النووية « عامل ابتزاز يستخدم ضد أي حكومة في العالم الثالث تسعى إلى دخول عالم التصنيع.

فتنظيم برنامج التطور النووي الإيراني الكبير الذي تكلف بلايين عديدة من الدولارات إنما كان أساسا في مدينتي باريس وبون ، في الوقت الذي كانت

ترفض فيه الولايات المتحدة الأمريكية بيع أي تكنولوجيا نووية متقدمة إلى إيران بأي حال من الأحوال.

إيران يحكمها الآن أناس بعقلية بدو القرون الوسطى، ولا تعد عودة إيران إلى همجية القرون الوسطى محل ترحاب فقط في إيران ، بل محل رعاية وإشراف من الأشخاص الذين أوصلوا الخميني إلى سدة الحكم فصرح رامزي كلارك ذات مرة قائلاً :

«تذكروا الشاه وهو يحلم بالطاقة النووية ، لقد كان محض خيال لأنه ليس ثمة واقع وطني للطاقة النووية في إيران ، لأنه تخطيط اقتصادي قائم على نموذج أجنبي « وهو ما أنكره بني صدر لأكثر من عشرين عاما بوصفه عالم اقتصاد . وحتى وصول الخميني إلى الحكم ، كانت إيران في طريقها لأن تكون ربما النموذج الأول لعملية التحول الصناعي في الدول النامية وكان محرك هذا التحول هو إنتاج النفط على يد الشركة الوطنية الإيرانية للنفط .

وفي عام ١٩٧٨ ، كانت هذه الشركة تعد أكبر شركات البترول في البلاد ، إذ كانت تنتج في العام السابق للثورة ما يزيد عن ٦ ملايين برميل يوميا ، وكانت الإنشاءات تسير على قدم وساق لزيادة الإنتاج إلى ٧ مليون برميل يوميا.

أما في عصر الخميني فلا تزيد صادرات إيران من النفط عن ٥٠٠ ألف برميل يوميا.

كان مستشارو الشاه الاقتصاديين يخططون كذلك للمستقبل عند نضوب النفط ففي عام ١٩٧٨ ، كانت هناك ٣٢ محطة نووية إما قيد الإنشاء أو في مرحلة إعداد الرسومات الهندسية ، وكان من المقرر أن يرى معظمها النور قبل حلول عام ١٩٩٠ . وكذلك أبرمت فرنسا وألمانيا الغربية عقودا لإنشاء منشآت نووية تبلغ قيمتها ٣٠ مليار دولار. وفي عام ١٩٧٨ ، كانت إيران تجري محادثات مع الولايات المتحدة للحصول على حزمة نووية بقيمة ٤١ مليار دولار، غير أن الصفقة لم يكتب لها أن تكتمل نتيجة معارضة إدارة الرئيس كارتر لامتلاك إيران قدرات نووية كما بدأت إيران كذلك استغلال ما كان يعتقد أنها احتياطيات ضخمة من وقود اليورانيوم النووي وكانت

مشروعات طاقة الانشطار النووي مصدر فخر العلماء والمهندسين الإيرانيين.
وفي غضون ستة أشهر فقط ، عكست ثورة الخميني ذلك الاتجاه الذي كان يسعى جاهدا لإخراج إيران من العصور الوسطى ، حيث ألغت على الفور عقود تطوير تبلغ قيمتها ١٤ مليار دولار، في العديد من المجالات المختلفة ، وهو ما أدى إلى الكساد ، حيث انسحب ذلك بالتبعية على المئات من المشروعات الأصغر.
وكان من بين المشروعات الملغاة العديد من المحطات النووية التي كان الكثير منها أوشك على الانتهاء، بقيمة تبلغ ١٥ مليار دولار على الأقل ، بالإضافة إلى مطار طهران بقيمة تبلغ ١،١ مليار دولار، ونظام مترو طهران بقيمة تبلغ ٣،١ مليار دولار، ومصانع نحاس سار شيشميه بقيمة ٩،١ مليار دولار، والتي استكمل منها أكثر من ٩٠ في المائة، ومصانع صلب بندر عباس بقيمة ٩،٢ مليار دولار، ومشروع ضخم لضخ الغاز وتكرير النفط الثانوي في حقول النفط الإيرانية في خوزستان بتكلفة ٦ مليارات دولار، ومصنع ميتسو الياباني في بندر شهبور للبتروكيماويات بتكلفة ٣،٣ مليار دولار، وخط الغاز الثاني إلى الاتحاد السوفييتي، ونظام اتصالات تبلغ قيمته مليار دولار، والعديد من أنظمة السكك الحديدية الكاملة، وميناء جديد في بندر عباس ومعامل تكرير النفط ومرافئ بناء السفن ومصانع الصلب ، ومشروعات الإمداد بالكهرباء.
أما قلب الاقتصاد الإيراني النابض ، المتمثل في إنتاج الشركة الوطنية الإيرانية للنفط ، فقد تراجع من معدله البالغ ٤ ملايين برميل وقت الثورة إلى مستواه الحالي البالغ ٢٠٠ ألف برميل يوميا والآن أدى الافتقار إلى العمالة المهرة والإدارة نتيجة عمليات الاستنزاف المستمرة للشركة على يد الحرس الثوري التابع للخميني إلى تدمير الشركة.
وفي عام ١٩٧٩ ، اقترح الحرس الثوري تحويل أبراج تبريد اثنين من محطات الطاقة النووية الألمانية الغربية في بوشهر إلى صوامع للقمح !

التفكيك المنضبط لاقتصاد العالم

كان تأسيس جمهورية إيران الإسلامية إيذانا بقدوم عصر ستسود فيه الأصولية الدينية ونظرة عالمية مناهضة للعلوم.

فيقول اللورد برتراند راسيل الذي قدمت «مؤسسة برتراند راسيل للسلام» التابعة له الكثير لتقليد الخميني مقاليد السلطة ، في كتابه «أثر العلوم في المجتمع» عام ١٩٥١ :

«يتزايد سكان العالم حاليا بمقدار ٥٨ ألف نسمة في اليوم الواحد ولم يكن للحرب -حتى الآن- أثر عظيم على هذه الزيادة فقد استمرت طوال فترات الحروب العالمية ... لقد ثبت أن الحرب ... مخيبة للآمال في هذا الخصوص حتى الآن ... لكن ربما تثبت الحرب البكتيرية البيولوجية فعاليةً أكبر من الحرب العادية وإذا أمكن انتشار «الموت الأسود» في عموم العالم مرة واحدة في كل جيل، فمن الممكن للناجين التناسل بحرية دون التسبب في اكتظاظ العالم بالسكان ... قد تكون الأوضاع غير سارة، لكن ماذا في ذلك؟ إن ذوي العقول الراجحة لا يبالون بالسعادة ، لا سيما سعادة الآخرين ... وستصبح المراكز الحضارية والصناعية حينئذ مهجورة ، أما سكانها - إن ظلوا على قيد الحياة - فسيعودون إلى الانسياق في قطعان الفلاحين التي خبرها أجدادهم في العصور الوسطى».

إنها سياسة تستتر وراء شعارات من قبيل «المجتمع ما بعد الصناعي» و»تصفير النمو « و»رعاية البيئة « و»التخصصية «: أي أنها ردة أخلاقية تستهدف تدمير العقول بثقافة مضادة لها أثر المخدرات في الإتيان على العقل.

وشهد عام ١٩٧٥ الأخذ ب»مشروع مجلس العلاقات الخارجية لحقبة الثمانينيات» ، وهو استقراء جاء في ثلاثين مجلدا للعقد المقبل .

وقد انتقل المشاركون في المشروع - وهم سايروس فانس وأنطوني سلومون وهارولد براون وبريجينيسكي وليزلي غيلب وغيرهم - إلى واشنطن لشغل مناصبهم في إدارة كارتر في عام ١٩٧٧ فيرتكز الموضوع العام لمشروع حقبة الثمانينات على «التفكيك المنضبط» لاقتصاد العالم ؛ و لا يضم التقرير محاولة إخفاء المجاعة والفوضى الاجتماعية والوفاة التي ستتمخض عن هذه السياسة لتنزل بمعظم شعوب العالم.

فلم يخرج المشروع إلى العلن حتى عام ١٩٧٩ ، لكن مجلداته بينت أن النظام المالي والاقتصادي العالمي يحتاج إلى تغيير كامل بما يضمن وقوع قطاعاته الرئيسة - مثل الطاقة وتخصيص الأموال والطعام - تحت إدارة عالمية واحدة ، على أن يتولى الإشراف على تلك الآلية المستحدثة - وفق اقتراح المجلس - فريق من المديرين التجاريين المستقدمين من شركات النفط متعددة الجنسيات والبنوك الأنجلو أمريكية.

وكان الهدف الرئيسي من إعادة التنظيم على الوجه المذكور إلى استبدال مفهوم الدولة - الأمة والإشراف العالمي الكائن بيد الأمم المتحدة وصندوق النقد الدولي ، وهو ما يتأتى أولاً بتقسيم العالم إلى مناطق أو تكتلات منفصلة ذات عملات إقليمية .

ويتولى صندوق النقد الدولي مهام التوسط بين تلك المناطق ، وتكون له سيطرة شبه مطلقة على تدفق العملة والتجارة الدولية وبذلك ينتهي الاعتماد على الدولار الأمريكي باعتباره العملية المركزية للاحتياطات المالية على المستوى العالمي ويواكب ذلك وقف تام لتدفق منتجات القطاع التقني

المتطور إلى الأمم النامية ولن يسمح للعالم النامي إلا بما يسميه البنك الدولي «التقنيات المناسبة «، أي «التقنية « المستوجبة للعمل الشاق ! وينفرد صندوق النقد الدولي في هذا السياق بتحديد ما إذا كانت أي دولة نامية «مستحقة للتمويل « بدرجة كافية ليتسنى لها الحصول على المساعدة المالية الأجنبية والقروض طويلة الأجل.

خيانة في واشنطن

عقد الرئيس الأمريكي كارتر مؤتمرا صحفيا على عجل ليقول للعالم أجمع «إنني أعتقد بأن إيران -حكومةً وشعبا - سيظلون أصدقاء لنا».

في أروقة الحكومة الأمريكية فثمة مجموعة صغيرة من المديرين المسؤولين عن سقوط الشاه، وعلى رأسهم بريجينسكي من مجلس الأمن القومي ، ووزير الخارجية السابق سايروس فانس ، ومنسق مجموعة العمل المختصة بالشأن الإيراني لدى مجلس الأمن القومي جورج بال لكن ثمة أياد أخرى متورطة منها ديفيد نيوسم وهنري بركت من وزارة الخارجية، بالإضافة إلى السفير الأمريكي ويليام إتش سوليفان في طهران؛ وهارولد براون وتشارلز دنكان في وزارة الدفاع)البنتاجون(، والجنرال ألجزاندر هيج والجنرال روبرت هيوزر من قيادة حلف الناتو؛ والأدميرال ستانسفيلد ترونر وروبرت بوري من وكالة المخابرات المركزية.

عمل تحت إمرة تلك الزمرة الإدارية مجموعة من المتخصصين في شؤون الشرق الأوسط وإيران، وكانوا ذوي باع طويل في هذا الصدد وفي السياق نفسه يمكننا تسمية أشخاص بعينهم منهم ريتشارد كوتام من جامعة بيترسبرغ، ومارفين زويتر من جامعة شيكاغو، وجيمس بيل من جانب تكساس في أوستين، وريتشارد فولك وبرنارد لويس من جامعة برينستون، وتوماس ريكس من

جامعة جورجتاون ويضاف إلى هؤلاء مجموعة منتقاة من عملاء المخابرات البريطانية وممثلي الجماعة السرية «الإخوان المسلمون» التي عملت - بين عامي ١٩٧٧ و ١٩٧٨ كحلقة وصل بين المنظمين الميدانيين لثورة الخميني من جانب، والبيت الأبيض حيث كارتر من جانب ثان، ومجلس الأمن القومي من جانب ثالث ؛ أما منسق العملية برمتها فكان النائب الأمريكي العام السابق رامزي كلارك.

الثورة الإيرانية لم تخرج من مساجد الملالي المتمردين ولكنها كانت بالأحرى موجهة من مقر خدمة المخابرات السرية البريطانية الكائن في معهد تافيستوك للعلاقات الإنسانية في جامعة ساسيكس.

وبعد استيلاء الخميني على السلطة لم توقف الولايات المتحدة البرنامج المستمر للمساعدات العسكرية والتدريب ومبيعات الأسلحة إلى إيران وبينما كان الخميني يصب اللعنات صبا على الولايات المتحدة ، ناعتا إياها «بالشيطان الأكبر»، كانت الولايات المتحدة تشحن كميات كبيرة من الأسلحة إلى حرس الخميني لقد كانت طائرات هيركوليز وبوينج للنقل الجوي تتردد ذهابا وإيابا بين نيويورك وإيران ، بعد أن تتوقف في مدريد بإسبانيا وجزر الأزور، حاملة قطع الغيار للمروحيات والطائرات الحربية الإيرانية الأمريكية الصنع لقد كانت هناك حاجة ماسة لتلك المعدات في معركة إخماد القبائل الكردية المتمردة في المقاطعات الإيرانية الغربية وقد حصل الاعتراف الرسمي بتلك الإمدادات من قبل وزارة الخارجية ونشرت أخبارها في مجلة «إجزيكاتيف إنتيليجنس ريفيو»، وجريدة «وول ستريت»، وجريدة «الفاينانشال تايمز اللندنية» وغيرها من الصحف.

عين مصطفى شمران، رئيس جهاز البوليس السري الإيراني المتدرب أصلاً في جامعة بيركلي، وزيرا للدفاع في إيران وفي الشهر ذاته ، جرى اقصاء للشخصيات الإيرانية المعتدلة وبعدئذ صار نظام المرشد تحت السيطرة الكلية لجماعة الإخوان المسلمين السرية.

وأوضح وزير الدفاع شمران أن إيران تسعى لاستقدام «مستشارين أجانب» للمساعدة في تدريب الجيش والحرس الثوري.

وقد أعرب السلطان قابوس سلطان عمان، وهو الدمية التي أشرف البريطانيون على تدريبها ، عن رغبة بلاده في وجود قواعد أمريكية على أراضيها «لحماية» الممرات البحرية المطلة على الخليج . وعلى الفور، وفي مقابلة صحفية غير معتادة، ألمح يازدي إلى أن إيران قد تدرس بعناية أمر تشكيل تحالف مع عمان لحماية المضايق! وقال يازدي إنه «لم يكن على علم» بوجود أي خطط من جانب عمان في هذا الشأن، ولكنه أردف على استحياء قائلاً بأن «رغبة إيران في التعاون » مع عمان في منطقة الخليج سوف «تعتمد على الظروف الجارية»، رافضاً التعليق بأكثر من ذلك.

وبهذا يتبين لنا أن «الثورة الأصولية الإسلامية» التي أمسكت بزمام السلطة في فبراير ١٩٧٩ إنما قد أشعل فتيلها أصلاً شركة «بريتيش بتروليوم»، ثم هي حصلت على المساعدة التي شكلت عماد قوامها من أحد جنرالات حلف الناتو، ثم هي مكنت من التحالف مع الحكومة «الشيطانية» للولايات المتحدة، ثم أصاب من قلبها جهاز المخابرات السرية الإسرائيلي موقعا خطيرا.

لقد فر ملايين الإيرانيين، وبخاصة أولئك الذين ينتمون إلى الطبقة الوسطى، إلى خارج البلاد لعجزهم عن تحمل الأهوال التي جاء بها هذا الحكم ووفقًا للتقديرات الحكومية الأمريكية ، فر أكثر من ٦ ملايين إيراني إلى خارج البلاد وأما هؤلاء الذين بقوا في إيران فقد عاشوا على وقع أصوات البنادق التي يحملها رجال الحرس الثوري واللجان الثورية.

وفي بداية الأمر، ونظرا لأن كثيرا من الإيرانيين كانوا قد أصابهم الضنك تحت حكم الشخص الأوحد المتمثل في الشاه، فقد ظن هؤلاء بسذاجة بالغة أن دعم حركة الخميني سوف يؤول بهم إلى الخلاص من النظام الملكي، ثم يمكنهم بعد ذلك الاستغناء عن الخميني. ولكن الأمر لم يكن كذلك على الإطلاق، فبمرور الوقت، تناقص دعم الخميني، إلا من أتباعه ذوي التوجهات الدينية من

جماعة الإخوان المسلمين فحسب ويعتبر هذا القطاع من الشعب الإيراني الدعامة الوحيدة التي يستند إليها حكم الخميني ، ذلك أن العقل المجنون لهذا الملا يناسب تماما جمهور الأنصار الذين يقفون ورائه.

الإخوان المسلمون صناعة لندنية

«ليس لدينا أي مانع من الصعود إلى القمر، أو بناء المنشآت النووية ،» هكذا قال الخميني في مؤلفه «الكتاب الأخضر «.

«ولكن علينا مهمة لا بد أن ننجزها: إنها خدمة الإسلام وإبلاغ أصوله الربانية للعالمين جميعا ، أملا في أن يدرك جميع ملوك ورؤساء دول العالم الإسلامي في النهاية أن القضية التي ندافع عنها قضية عادلة ، وعلى أساس تلك الحقيقة المجردة يدينون لنا بالخضوع والإذعان.

وما من شك في أننا ليس لدينا أي رغبة في سلب ما في أيديهم من مهام ، بل إننا سوف نسمح لهم بالإمساك على السلطة ما داموا يلتزمون السمع والطاعة لنا ويستحقون الثقة التي منحناهم إياها» .

سؤال مهم للغاية يطرح نفسه هاهنا: من يكون هؤلاء الذين سماهم الخميني برؤساء الدول الإسلامية الذين يلزمهم الخضوع والإذعان له هو ومن معه؟ لقد سقطت من لسان الخميني زلة يكذب صدقها فليس المقصود هو الخضوع للإسلام ، ولكن المقصود هو الخضوع للجماعة السرية المعروفة باسم «جماعة الإخوان المسلمين» - تلك هي الجماعة التي عبر عنها بقوله «إننا «، وهي تلك الجماعة التي لديها «مهمة لا بد من إنجازها» .

إن جماعة الإخوان المسلمين صناعة لندنية وقد أسست الجماعة رسميا

في مصر عام ١٩٢٩ على يد «حسن البنا» ، الصوفي الباطني واليوم تعتبر جماعة الإخوان المسلمين المظلة التي تأوي إليها جماهير غفيرة من أتباع المذاهب الأصولية ، سواء كانت صوفية أو سنية أو شيعية ، والتي ازدهرت في المجتمعات.

على أن القصة الحقيقية لجماعة الإخوان المسلمين هي في واقعها أكثر خيالاً مما قد تجود به قرائح كتاب روايات الجاسوسية إنها جماعة تقوم على المؤامرة، يتبادل أعضاؤها تحيات مشفرة وكلمات مرور سرية .

وبرغم عدم توافر قائمة رسمية بالأعضاء حتى بعد انشاء حزب الحرية والعدالة وتحول جماعة الإخوان إلى جمعية ،فينتظم أفرادها في صورة خلايا هرمية أو «محافل « تشبه الجمعيات والتنظيمات الماسونية الأوروبية ولا تحترم جماعة الإخوان المسلمين ولا تتقيد بالحدود الدولية، ولكنها تمتد إلى جميع آفاق العالم الإسلامي كله ويعمل بعض أعضائها كمسؤولين حكوميين أو دبلوماسيين أو رجال في الجيش، بينما يعمل آخرون كمتعصبين !!

وبينما كان زعماء جماعة الإخوان المسلمين يجلسون في بيوتهم وغرفهم المفروشة بأرقى أنواع السجاد والمرصعة بأرقى أنواع الألواح، كانت جماعة الإخوان المسلمين في مستوياتها الدنيا عبارة عن جيش شبه نظامي يدين بالولاء والسمع والطاعة لقادة التنظيم ومرشدهم .

وعلى أعلى مستوياتها، لا تعد جماعة الإخوان المسلمين من المسلمين ، كما أنها ليست مسيحية أو يهودية أو جزءًا من أي دين ، ففي مجلسها الداخلي رجال يغيرون دينهم بالسهولة ذاتها التي يغير بها رجال آخرون قمصانهم .

وعند النظر للجماعة على الإجمال ، يمكن القول بأن جماعة الإخوان المسلمين العامة لا تنتمي للإسلام ، بل إلى القبائل البربرية الجاهلية من عباد الآلهة التي انتشرت في شبه الجزيرة العربية القديمة ورغم أن كثيرا من بائعي الخرافات المتجولين يريدون منا الإيمان بأن الإخوان المسلمين وآية الله الخميني يمثلون التعبير الشرعي عن «ظاهرة علم الاجتماع» الراسخة ، إلا أن هذا ليس هو

الحال، فالإخوان لا يمثلون سوى نسبة ضئيلة من المؤمنين في العالم الإسلامي. فما كان بإمكان الإخوان المسلمين التواجد اليوم لولا حقيقة مفادها أن مستشرقي جامعات أكسفورد وكامبريدج البريطانية قاموا بتتبع العناصر الأكثر تخلفًا في الثقافة الإسلامية وتدوين ملاحظات عنها وغرسها بعناية ، ومن ثم جاءت جماعة الإخوان نتيجة التنظيم الصبور من جانب عملاء لندن في العالم الإسلامي ، من أمثال توماس إدوارد الشهير «لورنس العرب»، وويلفريد سكاوين بلانت، و إ. ج. براون، وهاري سان جون فيلبي ، وأرنولد توينبي وبرتراند راسل.

فالرعاية البريطانية للإخوان المسلمين لا يجب أن تكون مثارا للدهشة ، إذ كانت سياسة الإمبراطورية هي الحفاظ على مستعمرات لندن في حالة من التخلف أما في الشرق الأوسط ، فقد سعى البريطانيون لإفساد قادة القبائل ورجال الدين المرتشين لقيادة حركات بدت أهدافها على الدوام متوافقة مع الأهداف البريطانية وفي ظل الإخوان المسلمين ، تم تحويل السياسة الإمبريالية البريطانية إلى شكل مؤسسي يأخذ صورة منظمة منضبطة مخصصة لإعادة الشرق الأوسط إلى عصور الظلام.

ولعل الرجل الذي يتحمل الحظ الأوفر من المسؤولية عن تدمير التعليم والعلوم في النصف الأخير من القرن التاسع هو أبو الحسن علي بن إسماعيل العشاري، مؤسس ما يعرف بالمدرسة العشارية الأصولية في الإسلام ، والذي ذكر أن الله يحدد كل التصرفات والأحداث على نحو جبري ويقول العشاري : « النار لا تحرق ، بل إن الله يجعل الأشياء تحترق عند وضعها في النار» لقد تم استبدال الله رب العباد ودين الإسلام الذي دعا إليه النبي محمد بآلهة خبيثة غير منطقية تذكر بآلهة الجاهلية التي أطاح بها النبي محمد قبل ذلك ويؤكد مبدأ العشاري : «لله حرية فعل الخير أو الشر كيفما يشاء» .

وخلال فترة العشرينات من القرن التاسع ، أسست النخبة البريطانية ما يعرف باسم «حركة أكسفورد» ، وهي مستودع لحُمى الإصلاح الديني برعاية

وتنظيم جامعة أكسفورد والكنيسة الإنجيلية والكلية الملكية في جامعة لندن ، وأدت هذه الحركة إلى استحداث نوع جديد من البعثات التبشيرية ، تتمثل مهمتها في نشر الإنجيل الفاسد لحركة أكسفورد في أجزاء أخرى من العالم .

ولم تكن إحدى الكنائس هي مظلة هذه الحركة ، بل كان المذهب الاسكتلندي من الماسونية الحرة و لقد تم تكليف بعثات حركة أكسفورد ببناء فروع تابعة للمذهب الاسكتلندي في كل أنحاء الإمبراطورية .

وعند التعامل مع منطقة مثل الشرق الأوسط ، لم يحاول الإنجيليون الماسونيين التابعين لحركة أكسفورد رد المسلمين عن دينهم، للدخول في المسيحية مثلاً ، بل حاولوا جعل النظام العقائدي الإسلامي)الصوفي(متوافقًا مع الممارسات الطائفية للمذهب الاسكتلندي ونظرا لأنهم طائفيون مهرطقون بدرجة كبيرة أدانت الكنيسة الكاثوليكية الماسونيين الاسكتلنديين إدانة بالغة بوصفهم مؤامرة مناهضة للأديان ، قادرة على القضاء على سلطة البابا في الكنيسة.

فكان هناك تحالف بين حركة أكسفورد والماسونيين البريطانيين ، وهو ما أدانه الفاتيكان كذلك : جمعية يسوع أو اليسوعيين ويعد التحالف البريطاني اليسوعي اليوم صار محور مخطط النبلاء الأوربيين للعودة للعصور الوسطى.

وكان أول مشروع مسجل للطبقة الأرستقراطية الطائفية في القرن التاسع عشر هو الحركة البهائية في بلاد فارس ورغم أنها بدأت كغزوة بريطانية تجريبية في الطوائف الماسونية غير الدينية

البهائية

تأسست الطائفة البهائية قرابة عام ١٨٤٤ عن طريق مبشر يدعى مرزا حسين علي ، وكان يطلق على نفسه اسم بهاء الله واليوم يزيد عدد البهائيين عن ٣٠٠ ألف شخص في إيران وحدها ، رغم أن العديد منهم قد فر في هدوء منذ وصول نظام الخميني لكن إن كان العدد الأكبر من هذه الطائفة في إيران، إلا أن أكبر معبد بهائي يقع في حيفا ، إسرائيل ، ويقع المقر العالمي للمنظمة في أمريكا في ويلميت ، إلينوي .

وقد بدأت البهائية كطائفة راديكالية تؤمن بالمسيح أو المهدي المنتظر في فارس ، وادعت أنها دين جديد واعتمدت على خليط من أفكار الإسلام والمسيحية والزرادشتية واليهودية وجادل البهائيون في أن مذهبهم الجديد قد فاق كل الأديان الأخرى في ما يعرف باسم «إيمان العالم الواحد» .

ورغم أنهم يعظون بالمحبة والأخوة العالمية ، إلا أنهم سرعان ما وجدوا أنفسهم منبوذين في كل أنحاء فارس والشرق الأوسط، إذ اشتهروا بأنهم متعصبون دينيون مستعدون للقيام بأي شيء لدعم قضية إيمانهم وفي عام ١٨٥٢ ، تم إلقاء القبض على قائد بهائي بعد محاولته اغتيال شاه فارس. وتعرض البهائيون للقمع في بلاد فارس، وتم تطويق العديد من قادتهم الكبار ونفيهم أولاً إلى بغداد ثم إلى القسطنطينية.

وخلال تلك الفترة حافظ قادة البهائيين ، الذين ضموا إليهم حينئذ بهاء الله وابنه عبد البهاء ، على علاقات وثيقة مع المذهب البريطاني الاسكتلندي ، وبانتشار المعابد والحركات الفرعية في الهند والإمبراطورية العثمانية وروسيا بل وإفريقيا كذلك وفي عام ١٨٦٨ ، قررت الحكومة التركية أن من الخطورة بمكان السماح للبهائيين بالعمل في حرية ، ومن ثم وضعوا قيد الإقامة الجبرية في مدينة «عكا» في سوريا غير أنه بمعونة أصدقائهم أصحاب النفوذ في لندن ، كانت عصبة البهائيين تنجح في الظهور على الساحة مجددا.

وفي فترة التسعينات من القرن التاسع عشر، بدأت الطائفة مجددا في الحصول على زخم ، وبخاصة في بلاد فارس .

وقد شرد إ. ج. براون ، وهو متخصص بريطاني في الطوائف درس بلاد فارس ، بحيث أكد أن البهائية هي الموجة المستقبلية في الشرق الأوسط كما أعلن المعتمد البريطاني في مصر، اللورد كارزون ، أنهم اذا استمروا بالمعدل ذاته ، قد يحل البهائيون محل الإسلام ، بوصفه الدين السائد في بلاد فارس !! .

ومع مقدم السنوات الأولى في القرن العشرين، كان من المعلومات الشائعة أن البهائية كانت منتجا من وحي الإلهام البريطاني ومن ثم اتهمتهم الحكومة التركية بمحاولة إنشاء «مستعمرة» شبه قبلية في سوريا كقاعدة ساحلية للبريطانيين في الإمبراطورية العثمانية ، وفي عام ١٩٠٤ وعام ١٩٠٧ ، حقق الأتراك مع البهائيين ، وأوصى تقرير التحقيقات بنفيهم من الإمبراطورية.

وقبل أن يصبح بالإمكان تنفيذ الحكم ، استولى ما يطلق عليهم الأتراك الشبان - وهو طابور خامس للمذهب الاسكتلندي للماسونية الحرة ، وجراند أورينت لودج ، على السلطة بعد القيام بثورة وتم إطلاق سراح عبد البهاء من السجن .

وعقب إطلاق سراحه، ذهب القائد البهائي إلى لندن ونيويورك ، حيث التقى بالصفوة في كلا المدينتين وفي عام ١٩١٢ ذهب في جولة لإلقاء الخطب في الولايات المتحدة ، حيث تحدث ، طبقًا لما ورد في النشرات البهائية الرسمية ،

إلى «طلاب الجامعات وعلماء الاجتماع ، والمارمونيين واليهود والمسيحيين واللا أدريين، والإسبرانتيين وجمعيات السلام ونوادي الفكر الجديدة والجمعيات النسائية» والعديد من المراكز الأخرى.

وفي عام ١٩١٨ ، منحت ملكة بريطانيا عبد البهاء لقب فارس وفي كل مكان كان يذهب إليه ، كان يعظ برسالة واحدة:

« ضرورة القضاء على الدول الأممية ، والأديان العالمية الحالية والحدود القومية لإذابة كل شيء في عالم واحد»

وقد لعبت البهائية دورا رائدا في إنشاء عصبة الأمم العالمية ، التي هي طليعة الأمم المتحدة ، وكان لمنظمته روابط وثيقة مع رابطة الاتحاديين العالميين وتزوجت ابنة عبد البهاء من مؤسس ما يعرف باللغة الاسبرانتية ، وهو مشروع لمحو كل الألسنة واستبدالها بلغة واحدة ويمكن العثور على البهائية كذلك في منتصف حركات الإصلاح الاجتماعية التي قادتها بريطانيا.

وحاليا تحظى الطائفة البهائية بكراهية في إيران ، ويعتقد اعتقادا صحيحا بأنها ذراع للتاج البريطاني وخلال فترة زعزعة استقرار الشاه ، تواترت الأنباء تواترا كبيرا أنه في حالات كثيرة كانت الطائفة البهائية تمول الحركة الشيعية المتحدة تمويلاً سريا وجزئيا، كانت الأموال تتدفق عن طريق روابط الطائفة بنفس منظمات حقوق الإنسان ، مثل منظمة العفو الدولية ، التي رعت في الأصل الحركة المناهضة للشاه في إيران ، وهذه الحركات استقت مواردها من تيارات «العالم الواحد» المرتبطة بالبهائية منذ بداية العقد الأول من القرن العشرين.

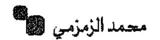
إذا كان هناك أي إيرانيين قد انخدعوا بمسألة البهائيين نتيجة العداء المزعوم بين عصبة الخميني للبهائيين ، تجدر الإشارة إلى أنصار البهائية كانوا عادة ما يشجعون الناشطين المناهضين للبهائية كنوع من التمويه .

فقد ذكر أحد تلاميذ الأفغاني الرجل الذي نظم أول حركة أصولية إسلامية شاملة، قائلا :

«لقد صنعتمونا بأيديكم وغرستم قضيتنا في أبهى صورها ، وأنشأتمونا في أفضل شكل ، ومن خلالكم تعرفنا على العالم بأكمله» .

فأحدثت الصوفية الشرقية انتفاضة إسلامية ممزوجة برهاب الأجانب ،فتعتبر كل التأثيرات الخارجية محلاً للشك والشر.

وقد طالب تلميذ الأفغاني ببعض الأوامر الإسلامية كأن «يحمي المسلمون أنفسهم من توغل التقاليد الفارسية والعادات الهندية» ومن بين الحركات التي نشأت خلال تلك الفترة الحركة الوهابية في شبه الجزيرة العربية ، والطائفة التي ظهرت في شمال إفريقيا ، والتي تحمل اسم «أخوية السنوسي» والتي كان مقرها في ليبيا .



.عبدالبهاء بعد تقلده منصب أبيه في مقتبل عمره

أخوية السنوسي

كان محمد بن علي السنوسي الخطابي الإدريسي الحسني هو مؤسس النظام السنوسي للإخوان ، وقد ولد في مكان ما في الجزائر في الثمانيات من القرن الثامن عشر ودرس السنوسي في جامعة القيروان في فاس في المغرب ، وفي عام ١٨٢٩ انتقل لتأسيس جمعية سرية من الباطنية الصوفية في الصحراء الكبرى ، على غرار نموذج التعاليم القديمة للرهبان المسيحيين وكان شعار الحركة «الوحدة الإسلامية» ، وانتشرت تدريجيا في تونس وطرابلس وبرقة وفي عام ١٩٥١ اتحدت طرابلس وبرقة لتكونا دولة «ليبيا» وفي غضون سنوات قليلة ، سافر السنوسي إلى مكة في شبه الجزيرة العربية وفي هذه الرحلة ، استطاع السنوسي ورفاقه تأسيس «أخوية السنوسي» .

ورغم أن من الواضح أن نشأتها كانت في شمال إفريقيا، كان هناك قدر كبير مشترك بين الحركة السنوسية وبين طائفة أصولية مماثلة تجمع الأنصار في شبه الجزيرة العربية وهي الحركة الوهابية.

وكان كلا من الحركة السنوسية والوهابية يعكس تأثير التيارات الباطنية الصوفية الأصولية المتدفقة حينئذ من الهند البريطانية.

وفي عام ١٨٣٠ غزا الفرنسيون الجزائر وكرد فعل على ذلك ، قامت الإمبراطورية العثمانية بغزو ليبيا مجددا وعاد السنوسي من شبه الجزيرة

العربية واليمن ، التي صار له فيها فرع للأخوية، إلى شمال إفريقيا باتجاه الجزائر، غير أن الفرنسيين، الذين بدا أنهم يؤمنون بأن السنوسي يمثل محرضا خطيرا لصالح البريطانيين، أعاقوا دخوله إلى الجزائر، وأُجبر على التوقف في ليبيا، حيث أسس مقره الرئيسي في برقة . ومن ثم، على ساحل البحر المتوسط بالقرب من مصر، توجه السنوسي إلى الزاوية البيضاء، التي صارت المأوى الأساسي للحركة. وفي عام ١٨٥٣ ، نقل مقره الرئيسي جنوبا إلى واحة الجغبوب في وسط الصحراء، حيث أسس جامعته الإسلامية الطائفية. ويقع هذا المقر في مكان نا ء في طريق التجارة البدوي في الصحراء القديمة الذي يربط بنغازي إلى مناطق في إفريقيا الوسطى، بما في ذلك مدينة وادي، التي كان سلطانها محمد الشريف واحدا من الحلفاء المكيين القدامى للسنوسي منذ العشرينات من القرن التاسع عشر.

ومع مرور السنوات ، نمت حركة السنوسي وبحلول عام ١٨٨٢ ، كان هناك ثمانية وثلاثين في برقة ، وسبع عشرة زاوية في مصر، وثماني عشرة في طرابلس ، بالإضافة إلى زوايا أخرى متناثرة في صحراء شمال افريقيا .

وكان إجمالي أتباعه يتراوح بين ١,٥ و ٣ ملايين إخواني وفي تصرفاتها ، كانت الحركة مناهضة لفرنسا ، وساندت المتمردين في الجزائر ضد المستعمرين الفرنسيين- في حين رفضت مساعدة المهدي في السودان ، الذي كان يقاتل ضد الجنرال البريطاني تشارلز جوردون في الخرطوم في التسعينات من القرن التاسع عشر وفي عام ١٨٩٤ ، نقلت الحركة السنوسية مقرها إلى واحة الكفرة في قلب الصحراء الليبية ومن هناك ، شن السنوسي حربا مستمرة ضد الفرنسيين بدءًا من الجزائر وتونس وحتى وسط إفريقيا وقد شن محمد المهدي ابن السنوسي حرب عصابات على الفرنسيين من معسكر عسكري في بحيرة تشاد وحتى هذه الفترة كانت أخوية السنوسي مجرد مساعد بسيط لعمليات المخابرات البريطانية في العالم الإسلامي غير أنه في عام ١٨٩٧ قام ويلفريد سكاوين برحلة شاقة إلى واحة السنوسي في إفريقيا وخلال السنوات

العشرين التالية أعطى البريطانيون قدرا متزايدا من الاهتمام بالحركة السنوسية وفي عام ١٩١٦ وعقب وفاة محمد المهدي صار إدريس الشاب قائد أخوية السنوسي وفي عام ١٩٥١ ، أعلن الملك إدريس الأول على ليبيا في احتفال بالأمم المتحدة .

وعقب الحرب العالمية الأولى تم اعتبار أخوية السنوسي رسميا أحد أصول المكتب العربي البريطاني في القاهرة ، وتم إرسال عميل جرئ من عملاء المخابرات البريطانية إلى طرابلس للمساعدة في تنظيم العمل السياسي للحركة ، وكان اسم هذا العميل عبد الرحمن عزام وبعد سنوات عديدة صار أول أمين عام لجامعة الدول العربية التي ترعاها بريطانيا ، عقب الحرب العالمية الثانية .

ولم تكن أخوية السنوسي سوى واحدة من العمليات التي أشرف عليها المكتب العربي من مركز قيادته الكائن في القاهرة ومن بين كل الدول العربية ، كانت مصر هي الدولة الوحيدة التي احتلتها القوات المسلحة البريطانية وحكمها معتمد بريطاني ، فمصر ذات الموقع المتوسط في العالم العربي والعدد الأكبر من السكان بين كل الدول العربية ، وهي تطل منفردة على قناة السويس ، التي تعد شريان الحياة للإمبراطورية البريطانية ونقطة انتقال قواعدها البحرية في جبل طارق ومالطة وكريت وقبرص في البحر المتوسط إلى المحيط الهندي و شرق السويس .

ولطالما كانت الطبقة الأرستقراطية البريطانية مغرمة بتاريخ مصر وبخاصة أسرار مصر القديمة المتمثلة في الأهرام والفراعنة.

كما كان المذهب الاسكتلندي الماسوني الحر مولعا بالطوائف المصرية القديمة ومعبد القدس، اللذان يمثلان كلاهما المذاهب الباطنية للجمعيات الماسونية البريطانية وبالنسبة لرجال مثل سيسل وكارزون واللورد كرومر كان غموض مصر مصدر جذب بالغ القوة .

ومنذ إقامة الأفغاني في القاهرة في الفترة بين ١٨٧١ و ١٨٧٩ ، جعلت المخابرات البريطانية ومستشرقو أكسفورد وكمبريدج من مصر مقرا نشطًا للحركة

الأفغانية وامتلك الأفغاني نزلاً يستقبل وفود الطلاب الأصوليين السوريين والأصوليين الإغريق والمسيحيين العرب من لبنان والإسكندرية في مصر؛ وقادة عشائر الصحراء الليبية والسلاطين المسلمين الأفارقة ، وجنرالات الحرب اللبنانيين المارونيين، وشيوخ الجزيرة العربية والباطنيين الصوفيين من بلاد فارس وأفغانستان والطوائف الإسلامية الهندية المجهولة والجمعيات السرية لكن العامل الأهم هو أن الأفغاني والمخابرات البريطانية قد أسروا روح مصر، ففي ظل القبضة الحريصة للورد كرومر سليل عائلة بارنج المصرفية الشهيرة والذي كان لورد مصر قبل الحرب العالمية الأولى ، تم وضع سم التعصب الإسلامي والليبرالية البريطانية والنهضة الطائفية المصرية للنخبة القومية الناشئة في مصر وهو سم لم تتخلص منه الأمة المصرية بعد رغم مرور أكثر من مائة عام على ذلك.

محمد عبده ومذهب التبسيط

كانت مصر مأوى تلميذ الأفغاني النجيب محمد عبده ففي عام ١٨٧١ ، عندما وصل الأفغاني إلى القاهرة لتقلد منصبه في جامعة الأزهر انجذب محمد عبده إلى الدائرة المقربة من الأفغاني ورغم أنه لا يزال في العشرينات من عمره وأصغر سنا بكثير من الأفغاني ، أصبح محمد عبده أقرب المقربين إلى سيده ، وعندما أجبر الأفغاني على مغادرة مصر و تبعه محمد عبده إلى لندن وباريس بعد سنوات .

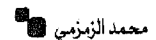
كانت حياة محمد عبده بمثابة انغماس كامل في الطائفة الصوفية ، إذ كان محمد عبده يصوم ويدرس طوال اليوم ، في حين يقضي الليل في الإنشاد وقراءة القرآن وها هو تبنى مذهب الباطنية الصوفية، إذ يرتدي رداءً خشنا ويسير حافي القدمين ، بينما عيناه موجهتان للأرض دون أن يتحدث إلى أحد. وطبقًا لشهادته الخاصة كان في بعض الأحيان يفقد كل اتصاله بالواقع ويدخل في حالات من النشوة، إذ يتنقل في عالم خيالي ويتحدث مع أرواح أشخاص وافتهم المنية منذ أزمان بعيدة . وفي ظل تأثير الأفغاني بدأ محمد عبده يتخلى عن بعض صفاته الشاذة ، وبدأ يناصر العلوم والمنطق.

وبعيدا عن الباطنية الصوفية بدأ في استيعاب أعمال أرسطو ورواد الإمبراطورية البريطانية ، وكان مغرما على وجه الخصوص بجون ستوارت ميل، الذي صارت

مقالاته واسعة الانتشار بين قادة الحركة الإسلامية الشاملة الأوائل.
وعقب رحيل الأفغاني القسري، تم ترشيح محمد عبده على نحو غير متوقع رئيسا لتحرير مجلة الجريدة الرسمية وهي الجريدة الصادرة عن الحكومة المصرية والخاضعة للسيطرة البريطانية وما كان مثل هذا المنصب ليمنح لشخص مثل محمد عبده لولا صلته «بالجمعية السرية « للأفغاني - التي طُرد المسؤول الرسمي عنها ، جمال الدين الأفغاني - وهو بيان لمدى الثقة التي وضعتها لندن فيه.
وكان ممن عملوا مع محمد عبده كمساعد له ، سعد زغلول الرجل الذي قاد الحركة القومية المصرية وحزب الوفد بعد الحرب العالمية الأولى !
وفي عام ١٨٨٣ لحق محمد عبده بالأفغاني في باريس ، ثم سافر إلى لندن ، حيث قضى بعض الوقت في إلقاء المحاضرات في جامعتي أكسفورد وكمبريدج ، والتشاور مع المسؤولين البريطانيين بشأن الأزمة في السودان وفي باريس ولندن كان محمد عبده ذراع الأفغاني اليمنى في تنظيم العروة الوثقى، وكانت مهمة محمد عبده التعامل مع اتصالات الجمعية بين العرب، في حين ركز الأفغاني على الأتراك والفرس والهنود وعندما قام الفرنسيون بقمع جريدة العروة الوثقى وانفصل الأفغاني ومحمد عبده وسافر الأفغاني إلى روسيا ، حيث اختلط بأصحاب مذهب الفوضى والمنظمين المناهضين لحركة) سلاف(ومسلمي روسيا وغيرهم ممن قد سيمثلون منفعة للبريطانيين لاحقًا في «خطة بارفاس «الشهيرة ، وسافر محمد عبده إلى العالم العربي وظل محمد عبده لأعوام عديدة يسافر مستترا بأقنعة عديدة إلى كل أنحاء العالم العربي ، مركزا على تونس وبيروت وفي كل محطة كان ينظم خلية من خلايا الجمعية السرية ويرسخ مبادئه المستقاة من مبادئ الحركة الإسلامية الشاملة للأفغاني .
كان محمد عبده ينادي بمذهب التبسيط ، لكنه كان يوضح لأتباعه قدرا كبيرا من طبيعة المسارات المعادية للأديان التي يتبعها المذهب الاسكتلندي، ومنهجه في الدعاية لوحدة الجنس البشري في «عالم واحد « وكان محمد

عبده يرتب للقاء الواعدين من تلاميذه مع أحد ضباط المخابرات البريطانية في لندن وبهذه الطريقة استكشف محمد عبده شبكة أنصار الأفغاني بأكملها، التي شملت مسيحيين لبنانيين وسوريين ، ويهودا في مصر وفي أماكن أخرى، وممثلين للعديد من طوائف الأقلية والمجموعات العرقية في المنطقة.
أما الجانب العلني من مهمة محمد عبده فتمثل على الدوام في الوعظ بمبادئ الأصولية الإسلامية، حيث ذكر محمد عبده أنه ليس بإمكان العالم الإسلامي المفكك والمتهاوي أن يتقدم إلا بعد التوحد مجددا تحت حكم خليفة واحد وألقى محمد عبده باللائمة على مختلف حكام الأمم الإسلامية والمؤسسات الدينية - التي كانت في معظم الحالات تتلقى تمويلات من قادة سياسيين - في المأساة التي حلت بالعالم الإسلامي على مدار القرون السابقة وكانت جمعياته السرية مكرسة للثورة الإسلامية.
أعطى المنصب محمد عبده صلاحية هائلة ، إذ كان المستشار العام في شؤون العدالة للدولة بأسرها وللحكومة على نحو خاص ، في كل الأمور المرتبطة بالإسلام وعلى مدار السنوات الست التالية ، كان يعين أعضاء جمعيات الأفغاني السرية والمخلصين للعروة الوثقى في كل المناصب الكبرى في الشؤون المصرية الإسلامية ، وعمل بلا كلل على تشجيع نمو الحركة السرية ، التي شكلت بشكل رسمي بعد نحو عشرين عاما من وفاته ما يعرف بالإخوان المسلمين .
ولا شك أن هناك تسلسلاً واضحا من الأفغاني، الأداة البريطانية ، إلى إخوان آية الله الخميني.
بوفاة الأفغاني عام ١٨٩٧ ومحمد عبده عام ١٩٠٥ ، انتقلت عباءة قيادة الحركة الإسلامية الشاملة إلى محمد رشيد رضا ، وهو سوري تلقى تعليمه في طرابلس، وانضم إلى العروة الوثقى في سن صغيرة .
وكونه صوفيا بصورة قطعية ترقى رضا خلال الجمعية الماسونية الحرة للأفغاني عن طريق قراءته في العروة الوثقى ، التي ذكر لاحقًا أنها كانت أعظم مصدر للإلهام في حياته بعد «إحياء علوم الدين » للغزالي ولم يلتق رضا بالأفغاني

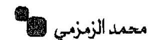
مطلقًا ، لكنه ذهب عام ١٨٩٧ إلى مصر للدراسة بصحبة محمد عبده.
وبعد عام واحد بدأ نشر صحيفته الخاصة المنار في القاهرة وأراد رضا لصحيفته أن تكون صوت الحركة الإسلامية الشاملة ، على نهج العروة الوثقى التي ظلت بعض نسخ منها تتداول في باريس بعد عشرين عاما من إيقاف نشر الجريدة! ومع هذا لم تكن هيئات الجمارك تسمح بدخول نسخ جريدة المنار إلى تركيا وسوريا نتيجة موقفها الخطير من «الإصلاح الإسلامي» .
لقد اقترحت المنار الخطة ذاتها التي ابتكرها لورنس العرب ب إنشاء مجتمع إسلامي تحت حكم الخليفة على أن يكون فرعها الرئيسي في مكة.
وخلال فترة توزيعها تابعت جريدة المنار بعناية تطور بدايات الإخوان المسلمين ، وامتدح رشيد رضا في المنار ثورة الأتراك الشباب عام ١٩٠٨ مدحا عظيما ، غير أن الثورة التركية اللاحقة التي قام بها مصطفى كمال أتاتورك في العشرينات من القرن العشرين قضت على آمال رشيد رضا ، الذي انتقد سلوك أتاتورك واصفًا إياه بأنه «محض كفر وردة عن الإسلام لا يمكن الشك فيها .» ومع استمرار القرن العشرين أدان رشيد رضا إدانة بالغة تباشير القومية المصرية والتركية ، وقد رأينا بالفعل كيف استطاع رجال الدين الشيعة الإيرانيون - ومن بينهم الخميني الشاب - تمكين محمد رضا البهلوي من تأسيس جمهورية إيران على غرار نموذج أتاتورك في العشرينات من القرن العشرين.



محمد رشيد رضا



الشيخ محمد عبده



الاخوان المسلمون خطر داهم

أصابت الطالب العسكري السوري الشاب الدهشة لمَ دعي الآن لحضور اجتماع؟ لقد راجع لتوه جدول أنشطة كلية حلب العسكرية ، ولم يكن هناك اجتماع للطلبة العسكريين في هذا اليوم وكان سر هذه الدهشة أن مركز حلب هو واحد من وحدات التدريب الرائدة في سوريا ، التي تحظى بتراث طويل وعريق، وهذه التغيرات وليدة اللحظة في الجدول أمر يخالف ما جرت به العادة وفي الواقع كان الطالب الشاب منزعجا إلى حد ما من اضطراره إلى مخالفة نظامه المعتاد ، والسير منهكًا لعبور الساحة وصولاً إلى قاعة الاجتماع .

وبينما هو يغادر المبنى تعثر في أحد رفاقه ، وحينها حدث نفسه بأنه أمر غريب ، إذ لم يدع الجميع إلى هذا الاجتماع بل بضع مئات فقط من الضباط العسكريين الشباب الواعدين في وحدته والعديد من الوحدات المجاورة.

وبدأت مجموعات الضباط تتوافد بسرعة وكفاءة على القاعة، ليملئوا المقاعد في انتظار سبب دعوم للمكان، أيا كان وكان لا يزال هناك أمر غير منطقي بالنسبة للضباط الشباب ، إذ أن الفرقة المعتادة من الرفاق الأعلى رتبة لم تكن متواجدة في مقدمة القاعة وها هي القاعة تمتلئ عن آخرها بالضباط السوريين المهندمين ، ولا يبدو أن أحدا آخر سواهم على وشك الوصول و لم

يحدث شيء بعد غير أن الضباط السوريين الذين ألفوا الانضباط جلسوا لا يحركون ساكنا ، رغم أن بعضهم انتابته حالة من عدم الارتياح وعقب ذلك في الجزء الخلفي من القاعة تم إغلاق الأبواب وسمع الضابط الشاب صوت إغلاقها ، ثم بلغت به الدهشة مبلغها حين سمع صوت سقوط رتاج الباب الثقيل وأصوات السلاسل.

وحينئذ أحس الشاب بهاجس فوقف ليرى إن كان بإمكانه التعرف على ما يحدث، لكن الوقت كان قد فات،وأكدت شظايا الأخشاب والزجاج المتناثر مخاوفه بأن ثمة خطأ فادح، ونظر في الوقت المناسب تماما إلى صف النوافذ المتراصة على جانب المبنى ليرى القنابل اليدوية ترمى من زجاج النوافذ المحطم، وكان هذا آخر ما رآه ، فقد أدى انفجار القنابل إلى تطاير الشظايا في أنحاء القاعة، وانغرست إحداها في حلق الضابط الشاب . وفي التو كُسرت باقي النوافذ وتوالت باقي القنابل سريعا على القاعة ولما كانت كل المخارج مغلقة لم يكن هناك مفر من حكم الموت.

وعقب الهجوم بالقنابل لاح فريق من المسلحين عند النوافذ يحملون أسلحة آلية ، وفي إطلاق نار عنيف أمطر الرصاص الضباط العزل من كل اتجاه ولم تدم المذبحة سوى لحظات لكنها أسفرت عن مقتل قرابة ستين ضابطًا وجرح أكثر من مائة.

وفي هذه الأثناء كان الرئيس السوري حافظ الأسد على وشك القيام بالترتيبات النهائية لزيارته المهمة إلى بغداد في اليوم التالي، عندما سمع بالمذبحة التي وقعت في الكلية العسكرية في حلب. وذكر ضباط مخابراته أنه فيما يبدو أن الجهة المسؤولة عن العملية هي الإخوان المسلمون ونظرا لأهمية الزيارة التي كان على وشك القيام بها إلى العراق ، ولإدراكه أن مرتكبي العملية إنما أرادوا إثناءه عن زيارته إلى بغداد التي أراد منها إنهاء حالة العداء المتأصلة بين سوريا والعراق فأمر الأسد بالتكتم على كل أخبار المذبحة .

غير أنه في غضون أسابيع تسرب التقرير إلى الصحافة العربية ، ثم أكدته

السلطات السورية لاحقًا وفي أغسطس عام ١٩٧٩ ، أعلنت جماعة الإخوان المسلمون ذات الصيت المحدود عن نفسها مجددا.

وبدأ المتشككون الذين كانوا يسخرون ويؤكدون اختفاء الإخوان المسلمون من مصر منذ خمسة وعشرين عاما مضت والذين أنكروا المزاعم بأن الإخوان كانوا وراء الثورة في إيران، يعيدون النظر في الأمر مجدداف بات واضحا جراء الأحداث التي وقعت في حلب أن وجود الإخوان المسلمين في الشرق الأوسط إنما هو خطر داهم على كل أمة من أمم الشرق الأوسط .

ففي احدى المقابلات شخصية، استعرض أحد كوادر جماعة الإخوان المسلمين آراءه في الموقف الحالي للحركة، على النحو التالي :

«استولى الإخوان على إيران وباكستان والثورة هي إحدى نجاحاتنا وفي باكستان كذلك تعد حكومة «زيا» حكومتنا وقد ناصر بوتو غزو الثقافة الغربية للإسلام ، وتجسد فيه كل ما ينافي روح باكستان ولهذا قتلناه وسنستخدم موته كرسالة تحذير للباقين» .

«وما ترونه يدور الآن في أفغانستان هو أيضا مما عملت أيدينا ، وهو عمل إخوتنا في جماعة الإسلام والهند هي المحطة التالية ، إذ بدأ المسلمون في الهند يدركون ما ينبغي القيام به كما أن الثورة قادمة في المملكة العربية السعودية وفي مصر، وآجلاً أو عاجلاً في تركيا إننا حركة إسلامية عالمية استمرت لقرون ، ونحن حملة الإنسانية الإسلامية العالمية ونحن في حرب».

وسواءً أدرك الإخوان المسلمون ذلك أم لا ، فإن الحرب التي يشعلوا إنما هي حرب تصب في مصلحة الاستراتيجية البريطانية فالسيطرة البريطانية على الإخوان المسلمين مستمرة منذ أن كان رياض أستاذ البنا يلتقي باللورد كرومر يوميا في مصر .

ومنذ الحرب العالمية الثانية ظهر جيل جديد من البريطانيين المستعربين ليتولى زمام أمور الإخوان المسلمين .

حيث تم نقل مكتب الاستخبارات البريطانية العربي القديم من القاهرة

إلى لندن واليوم يطلق على «المكتب العربي « اسم المركز العربي البريطاني، ومجلس تعزيز التفاهم العربي البريطاني ومحطته الفرعية المعطلة حاليا في لبنان مركز الشرق الأوسط للدراسات العربية وجنبا إلى جنب مع الأقسام البحثية في كليات علوم الشرق في أكسفورد وكامبريدج وجامعة لندن وجامعة جيزويت لوفين في بلجيكا ، وجامعة جيزويت ماكجيل في تورنتو ، وجامعات برينستون وجورج تاون في الولايات المتحدة، توجه مافيا مجلس تعزيز التفاهم العربي البريطاني ومركز الشرق الأوسط للدراسات العربية، التي تمارس نشاطها من لندن .

إن دعوات الإخوان للجهاد لا تصاغ في الخلايا السرية في مدن الشرق الأوسط بل في مكاتب الأساتذة في الجامعات الغربية على سبيل المثال فإن «خطة برنارد لويس» هو الاسم الحركي للاستراتيجية البريطانية فائقة السرية للشرق الأوسط .

كان دكتور لويس ضمن الحضور في اجتماع بيلديربرغ في النمسا عام ١٩٧٩ حيث كانت «الأصولية الإسلامية» هي العنوان الرئيسي ، ودكتور لويس هو في الأساس من الأساتذة ، واقتصرت مهمته على تقديم نبذة عن أيدلوجية وسمات العالم الإسلامي واستنادا لتقييماته يستطيع البريطانيون اتخاذ قرار بشأن نوع التدخل الأكثر فعالية في تشكيل الشرق الأوسط لصالح التاج البريطاني . ودراسات لويس للتاريخ الإسلامي ما هي إلا اعترافات أكاديمية بالإخوان المسلمين ، تعزز وجهة النظر الخادعة التي مفادها أن طبيعة الإسلام تتجسد في متعصبين من أمثال الغزالي ، صوفي القرن الحادي عشر، لا بالتزام الإسلام الثابت على مدار التاريخ بالعلوم والتطور التكنولوجي .

كانت خطة لويس تدعو إلى بلقنة وتقسيم ما يعرف باسم «قوس أزمة « بريجينيسكي ، طبقًا لتقسيمات عرقية وقبلية ودينية طائفية وقد كانت ولا عجب، تتم بمساعدة جهاز الاستخبارات الإسرائيلي. وطبقًا لآراء لويس ينبغي على البريطانيين تشجيع حركات التمرد سعيا إلى الاستقلال التي تقوم بها الأقليات .

من أمثال المارونيين اللبنانيين والأكراد والأرمن والدروز والبلوشيين، والأتراك الأذربيجانيين، والعلويين السوريين، وأقباط إثيوبيا، والفصائل الصوفية السودانية ، وقبائل شبه الجزيرة العربية وغيرها.

ويتمثل الهدف في تقسيم الشرق الأوسط إلى ما يشبه رقعة الفسيفساء التي تضم العديد من الدويلات المتنافسة وإضعاف هيمنة الجمهوريات والممالك القائمة .

دور الإخوان المسلمين في الأحداث

لعب البريطانيون دور الوسيط ، حيث عقدوا صفقات مع زعماء القبائل والقادة العرقيين لرعاية حركات تمردهم ضد الإخوان المسلمين .

ومن الحالات التي تعد مثالاً على ذلك، إيران ففور استيلاء ديكتاتورية الخميني على السلطة، بدأ البريطانيون في إجراء اتصالات مع زعماء قبائل الأمة الإيرانية الذين هددوا بإعلان الاستقلال عن إيران .

وتضع خطة برنارد لويس قادة الدول الإسلامية بين شقي الرحى، بين الإخوان المسلمين من ناحية والأقليات الوطنية من ناحية أخرى .

وبدءًا من الأساتذة تنتقل السياسة البريطانية عبر مجلس تعزيز التفاهم العربي البريطاني ، وغيره من المؤسسات الخيرية ولا شك أن المجلس يمثل مجموعة ضغط ، فدعمها المالي يأتي من أنصار سياسة الإمبراطورية البريطانية : بنك باركليز وشركة الطائرات البريطانية ، والبنك البريطاني للشرق الأوسط ، ولازارد برذرز ، ولويد انترناشونال ، وبنك ويستمينستر الوطني ، وشركة رولز رويس ويوني ليفر .

ومن مجلس تعزيز التفاهم العربي البريطاني تنتقل الكلمة إلى «الأذرع العربية » لبريطانيا المدربة في مركز الشرق الأوسط للدراسات العربية في شملان، جنوبي غرب بيروت .

وانطلاقًا من مركز الشرق الأوسط للدراسات العربية، نسج البريطانيون العديد من المنظمات التي تسعى لتعزيز التفاهم البريطاني العربي»، فقد كان هناك مجلس تعزيز التفاهم العربي البريطاني نفسه، والمؤسسة الأنجلو عربية ، والاتحاد العربي البريطاني للأعمال الخيرية ، ومجلس عمال الشرق الأوسط .
ولعل أهم إفرازات مركز الشرق الأوسط للدراسات العربية هو المركز العربي البريطاني الكائن مقره في لندن وكان من أهم قادته ومديريه : السير «هارولد بيلي « الذي شغل منصب رئيس مجلس الإدارة المشترك للمهرجان العالمي للاتحاد الإسلامي بالاشتراك مع السفير الإماراتي محمد تاجير، وسير ريتشارد بومونت ، وسير تشارلز دوك ، وسير جيوفري فيرلونغ ، وكولن جاكسون عضو البرلمان ، وبيتر مانسفيلد مؤلف «بيتروماركت «)سوق النفط (، وجون ريداوي ، وروبرت سوان، وهو عميل استخباراتي بريطاني تايلندي .
ومن ثم ففي عام ١٩٥٥ ، عندما نقل الإخوان المسلمون مقرهم الرئيسي من القاهرة إلى لندن وجنيف بسويسرا، عندما دفعهم عبد الناصر للرحيل من مصر، فإن الإخوان كانوا يخرجون بعلاقة استمرت لفترة طويلة إلى حيز العلن .

وفي جنيف قام قائد الإخوان المصري سعيد رمضان ، بإنشاء معهد الدراسات الإسلامية أما في القاهرة فُأدين رمضان بالتآمر على قتل عبد الناصر، وبإقامته علاقة مع المخابرات الإسرائيلية، غير أن هذا لم يمنعه من تأسيس مقر رئيسي للإخوان في أوروبا ، حيث قام بالاشتراك مع سلام عزام بتأسيس المجلس الإسلامي لأوروبا ، الذي يتولى توجيه الإخوان من المغرب إلى باكستان والهند، ويتحكم في مئات المراكز «الدينية « في كل أنحاء أوربا الغربية ، ومن ثم آلاف الطلاب الأصوليين ورجال الدين الإسلامي في كلّ من الشرق الأوسط وأوروبا .
أما أحدث مؤسسات التنسيق التابعة للإخوان المسلمين فهي مؤسسة الإسلام والغرب»الدولية» التي تأسست عام ١٩٧٧ ، ويقع مقرها الرئيسي في جنيف .
وتدعم مؤسسة الإسلام والغرب اثنين من النجوم «غير المسلمين» ، وهما

أورليو بيتشي من نادي روما ، والتي أسهمت سياساته في قضاء الخميني على الاقتصاد الإيراني، ولورد كارادون)المعروف كذلك باسم قدم هيو(، خبير بريطانيا في القدس والسفير البريطاني السابق إلى الأمم المتحدة .

فقد ذكر الأمين العام لمؤسسة الإسلام والغرب دكتور مارسيل بواسار نائب مدير الدراسات في كلية جنيف للدراسات الدولية العليا ، في مقابلة شخصية أن الاجتماع التحضيري الأول لمؤسسة الإسلام والغرب كان في كامبريدج عام ١٩٧٦ ، في حين عقدت اجتماعات المتابعة في فينسيا عام ١٩٧٧ وباريس عام ١٩٧٨ وطبقًا لما ذكره بواسار، كان تركيز المناقشة على الحاجة إلى «التقارب بين الإسلام والغرب» في سياق الحاجة إلى « نظام عالمي جديد «، وخصصت ميزانية بلغت ١٠ ملايين دولار للمشروعات الخاصة «بالدراسات الخاصة لأثر العلوم والتكنولوجيا على الحياة الثقافية والاجتماعية لكلا الجانبين «؛ ودراسات بشأن «مفهوم المسلمين لحقوق الإنسان» و»تجديد المؤسسات الإسلامية وتأسيس مراكز إسلامية جديدة « .

كان القس جون ب. تايلور مدير المجلس المسكوني للكنائس الكائن مقره في جنيف ، هو همزة الوصل بين الكنيسة البروتستانتية ومؤسسة الإسلام والغرب وفي لقاء شخصي جرى في ديسمبر ١٩٧٩ امتدح تايلور ثورة الخميني في إيران بوصفها بدايات «عصر النهضة الإسلامي» وتنبأ أن «باقي الأمم ستمسها روح الانتفاضة الإسلامية « ، وذكرَ بالأخص تركيا ، التي ستكون الغلبة فيها لرجال الدين، ومصر و الجزائر، حيث يلعب الإخوان المسلمون دورا بالغ الأهمية « .

كانت شبكة قيادة الإخوان المسلمين في أوروبا هي خير تجسيد لما قصده زبينغيو بريجينيسكي بلفظ «الأصولية الإسلامية»، فهذه هي الأداة التي يجرى إعدادها لإدخال الأمم الإسلامية في تحالف مع حلف شمال الأطلسي ومن خلال المجلس الإسلامي لأوروبا ، الذي يديره سلام عزام، تم اتخاذ الخطوات الأولى لتحقيق ذلك تماما ، عن طريق المعهد الإسلامي لتقنية الدفاع .

وليس هذا هو جذر المشكلة ، فجماعة الإخوان المسلمون الحقيقية ليست ذلك الشيخ المتعصب وتابعه الذي لا يقل عنه تعصبا، وليست أولئك المُلل وآيات الله الذين يقودون البيئات التي يرتع فيها أولئك المجانين، وما الخميني والقذافي والجنرال زيا ما هم إلا دمى مزركشة.

إن الإخوان المسلمون الحقيقيون هم أولئك الذين لا تتلطخ أيديهم أبدا بأعمال القتل والحرق، بل هم المصرفيون ورجال المال السريون الذي يقفون خلف الستار، وأفراد العائلات العربية أو التركية أو الفارسية القديمة الذين تضعهم أنسابهم في مصاف النخبة الحاكمة، بالإضافة إلى مؤسسات أعمال واستخبارات سرية مرتبطة بطبقة النبلاء الأوربيين السود وبخاصة النخبة البريطانية الحاكمة.

وكذلك فإن الإخوان المسلمون هم المال ، فالإخوان المسلمون مجتمعين قد يتحكمون غالبا في عشرات المليارات من الدولارات على هيئة أصول سائلة قريبة، ويتحكمون في مليارات أخرى في عملياتهم التجارية اليومية، وفي كل شيء بدءًا من تجارة النفط والأعمال المصرفية وحتى ترويج المخدرات وتجارة الأسلحة المحرمة ، وتهريب الذهب والماس ومن خلال التحالف مع الإخوان المسلمين ، لا يقوم البريطانيون والأمريكان فقط بشراء إرهابيين مأجورين ، بل يصيرون شركاء في إمبراطورية مالية قوية وعالمية تمتد من حسابات بنوك سويسرا المتخمة بالمال ، حتى دبي والكويت وهونج كونج فلو احتاج بيرت لانس إلى بضع مئات الملايين من الدولارات لإخراج مصرفه من أزمته ؟ فلماذا لا يجرب الإخوان المسلمين .

هل يبحث اتحاد شركات في لندن عن شركاء يستثمرون بضع مليارات في مشروع تنقيب عن مواد خام في إفريقيا ؟ فليجرب الإخوان المسلمين هل تبحث إحدى تكتلات البيوت المصرفية في أن تبدأ جولة في الفرنك الفرنسي ؟ فلتجرب الإخوان المسلمين.

وتجد خطط الإخوان المسلمين صدى في الصحافة البريطانية والأمريكية

وعقب انقضاء اجتماع منظمة الأوبك في سبتمبر ١٩٨٠ في فيينا ، كتبت صحيفة واشنطن بوست:

«تعتمد قوة المملكة العربية السعودية على عدم وجود إيران أخرى في عالم النفط وقد أوضحت القلاقل التي وقعت في مكة حيث اقتحم مسلحون المسجد الحرام، أن «إيران» القادمة قد تكون هي المملكة العربية السعودية ذاتها « .

وازدهر تواجد الإخوان المسلمين قديما في المملكة العربية السعودية في ظل حماية فصيل واحد من العائلة المالكة ، وهو الزمرة المحيطة بالأمير عبد الله ، فقد تشكل الحرس الوطني من بقايا إخوان السعودية الذين كانوا القوة شبه العسكرية التي ساندت استيلاء الملك عبد العزيز مطلع هذا القرن على شبه الجزيرة العربية وحتى يومنا هذا، تمثل القبائل المختلفة في الصحراء السعودية - رغم أنها لم تعد تحظ بتأثيرها السابق - مجموعة من المافيا والمنشقين الذين يلتفون حول شخص الملك عبد الله.

ومع هذا فليس الملك هو الوحيد من رجالات الصفوة الذي يرعى الإخوان المسلمين حيث يصدر الرئيس السابق للمخابرات السعودية، كمال أدهم، وعائلة المستشار الملكي رشيد فرعون، وابنه رجل الأعمال غياث فرعون، التوجيهات للإخوان وكذلك فإن الأمير محمد بن فيصل ، الذي كان يشغل سابقًا منصب وزير الموارد المعدنية والمياه في المملكة أعلن خلال زيارته إلى نيويورك عام ١٩٨٠ أن الخميني وملل إيران يحدثون «نهضة إسلامية « في إيران.

ويعد داعمو الإخوان السعوديون من أقوى الرجال وأكثرهم ثراءً في العالم الإسلامي، إذ يتربع الأمير محمد على عرش إمبراطوريته الصغيرة الخاصة ، التي تشمل اتحاد المصارف الإسلامية في جدة، وفروعه المنتشرة في ست دول إسلامية أخرى على الأقل وقد رعى الأمير بالاشتراك مع الأرستقراطيين الأوربيين، محادثات بشأن تأسيس «نظام عالمي إسلامي» يعتمد على ما يعرف «بعملة الدينار الإسلامي « .

ولا شك أن كون الإخوان المسلمين قوة كبيرة – ذات قدرات متنامية يمكنها

تحقيق نبوءة زبينغيو بريجينيسكي «قوس الأزمة» - قد بات أمرا واضحا، غير أن الصدمة الحقيقية هو امتلاك الإخوان المسلمين لتلك السيطرة القوية على الأحداث في الولايات المتحدة التي هي بلد غير إسلامي .

الإخوان وأمريكا مصالح متبادلة

نصح رمزي كلارك وهو نائب عام الولايات المتحدة يازدي قائلا : «من المهم جدا ألا يهرب المستبدون ليحيوا في ثراء ورغد من العيش بينما تظل شعوبهم تتقلب بين ألوان من المعاناة .

إنني أحث الحكومة الجديدة لإيران على السعي لتحصيل التعويضات نظير الأفعال الإجرامية والجائرة التي ارتكبها الشاه السابق ، واسترداد الممتلكات التي سلبها الشاه وأسرته وشركاؤه بغير وجه حق من الشعب الإيراني » .

ولم يسرب خطاب كلارك هذا إلى الصحافة إلى ما بعد الاستيلاء على السفارة الأمريكية في نوفمبر وقد استخلص الدليل من ذلك على أن كلارك، وهو المبعوث الخاص ، قد حرض الإيرانيين للاستيلاء على السفارة والإصرار على عودة الشاه إلى إيران.

وفي غضون تلك الأيام وفي مستهل أكتوبر أجرى يازدي اتصالاً بصديقه القديم رامزي كلارك وبعد أيام قليلة وفي ١٢ أكتوبر، أرسل وزير العدل السابق خطابا وصف بأنه بالغ الأهمية إلى وزير الخارجية الإيراني وكان هذا الخطاب بخصوص الجهود الجارية المبذولة من جانب ديفيد روكفيلر و هنري كيسنجر للحصول على موافقة لدخول الشاه إلى الولايات المتحدة لتلقي العلاج.

وبعد أسبوع تقريبا أعلنت وزارة الخارجية أنها سوف تسمح للشاه المعزول بالقدوم إلى نيويورك لتلقي العلاج الذي يحتاجه ، وما كان لوزارة الخارجية أن تتخذ هذا القرار إلا تحت ضغط بالغ من كيسنجر وعائلة روكفيلر وأصحاب المصالح المرتبطين بهم وبذلك سمح للشاه بالقدوم إلى نيويورك رغم التوجيه الرسمي من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية والسفارة الأمريكية في طهران وغيرها من المصادر التي قالت إن دخوله إلى الولايات المتحدة سوف يتسبب في احتجاز الرهائن الأمريكيين.

وقد وردت حكاية في صحيفة « نيويورك تايمز» بتاريخ ١٨ نوفمبر نصها كالتالي :

«لقد اتخذ القرار رغم الحقيقة التي تقول إن السيد كارتر وكبار مستشاريه السياسيين قد عرفوا منذ شهور أن السماح بدخول الشاه سوف يعرض الأمريكيين الموجودين بالسفارة الأمريكية في طهران لمخاطر شديدة ، وقد أفاد أحد المعاونين بأن السيد كارتر تساءل في أحد الاجتماعات قائلا :

«عندما يضع الإيرانيون أيديهم على مواطنينا في طهران كرهائن، فبم تشيرون علي أن أفعله حينئذ؟»

وعقب وصول الشاه مباشرة إلى نيويورك في ٢٢ أكتوبر، بدأت إيران في التلويح بتهديدات بالغة الحدة ضد إدارة كارتر، بدأتها بالاحتجاجات التي نظمها عمال النفط لتصل إلى أشدها بالخطبة التي ألقاها آية الله الخميني بنفسه لعدة ساعات في ٢٩ أكتوبر .

لقد صرح الخميني آنئذ بأن الواجب على إيران «أن توصد أبوابها في وجه الغرب « ، ثم تابع في اهتياج قائلاً « يجب علينا أن نطهر بلادنا من تلك العقول المغرمة بالأمريكيين» !!

وأخيرا وفي ١ نوفمبر نادى الخميني على الطلاب الإيرانيين قائلاً لهم :

«فلتجعلوها بكل ما أوتيتم من قوة هجمات واسعة تنالون بها من الولايات المتحدة وإسرائيل ، عساها تجبر الولايات المتحدة هذه على إعادة الشاه الجائر المخلوع « .

ورغم تلك الدلائل المتضافرة لم يُتخذ تدبير احتياطي واحد لحماية السفارة ! فلقد سيطرت جموع الطلاب الإيرانيين على السفارة الأمريكية في إيران في ٤ نوفمبر وقبلها بثلاثة أيام عقد زبيغنيو بريجينيسكي اجتماعا مريبا في الجزائر مع وزير الخارجية الإيراني إبراهيم يازدي ووفقًا لمصادر مخابراتية فقد وضعت في هذا الاجتماع الثنائي التفاصيل النهائية المتعلقة بعملية الاستيلاء على السفارة وبعد عودته إلى إيران عمد يازدي مباشرة إلى الاجتماع مع القائم بأعمال السفارة الأمريكية «بروس لاينجين « وأثناء الساعات التي استغرقها الاستيلاء على السفارة ، كان يازدي ولاينجين مجتمعين داخل مكاتب وزارة الخارجية الإيرانية والآن ورغم كونه رهينة بالاسم كان بروس لاينجين لا يزال في اجتماع مع يازدي في المكاتب القديمة لوزارة الخارجية ، حيث يستطيع استخدام آلة التلكس وغيرها من وسائل الاتصال الأخرى هذا وقد أذيعت تقارير تفيد بأن لاينجين كان من المقربين لجماعة الإخوان المسلمين من وقت أن كان سفيرا للولايات المتحدة في دولة مالطا، وهي إحدى مقرات جماعة الإخوان المسلمين في المنطقة وبخاصة تلك الموجودة في ليبيا.

وفي الأيام التالية عين الرئيس كارتر «رامزي كلارك» مبعوًثا مطلق الصلاحية للبيت الأبيض إلى إيران وهو نفسه رامزي كلارك الذي كان يسير منذ أشهر قليلة ماضية تحت لافتات مكتوب عليها «الموت لأمريكا» في طهران !!

وباتخاذ الأمريكيين كرهائن شرعت إدارة كارتر بحسب المخطط الذي وضعته سلفًا في تنفيذ سيناريو إدارة الأزمة العالمية.

وكانت الخطوة الأولى في إطار هذا المخطط هي إعلان كارتر تجميد جميع الأصول المالية الإيرانية في الولايات المتحدة وبنوكها، بما في ذلك فروع تلك البنوك في الخارج وفي الحال غرقت الأسواق المالية العالمية في بحار من الذعر، وهو ما جعل كبار المودعين المتعاملين بالدولار في أوروبا الغربية والولايات المتحدة - وبخاصة البنوك المركزية لدول الأوبك – تهرع إلى التراجع عن أي تعهدات إضافية.

وقد أعلنت إدارة كارتر أنها تسعى لاستصدار قانون «الصلاحيات الاقتصادية في الحالات الدولية الطارئة»، وهو القرار الذي عُلم اتخاذه بالفعل قبل أسبوعين من أحداث الاستيلاء على السفارة.

وقد ذكر راندي كو، مسؤول الوكالة الفيدرالية لإدارة الطوارئ والمعين لدى وزارة الخزانة لمجلة «إجزيكاتيف إنتيليجنس ريفيو» ما يلي:

«إن الوكالة تشارك في التخطيط العام ... لقد أعدت الوكالة ما يلزم هذه الخطة الرامية إلى تجميد الأصول الإيرانية قبل أسبوعين من وضعها بالفعل، على أني قد قضيت الأسبوعين الماضيين منكبا على الهاتف في محاولة للتعتيم على الشائعات التي تقول بأننا قد أعددناها بالفعل» .

ويدل هذا الاعتراف على أن النخبة المالية الأنجلو أمريكية كانت على سابق علم بأن الأزمة الأمريكية الإيرانية سوف تندلع في نوفمبر، وهي لذلك قد اتخذت من قبل الإجراءات التي تضمن لها الحماية.

وكان من بين هؤلاء المصرفيين «ديفيد روكفيلر»، وهو الذي كان مطلبه الدائم بالسماح للشاه بالقدوم إلى الولايات المتحدة السبب الرئيسي في حدوث الأزمة في المقام الأول.

فأعطت المواجهة الأمريكية الإيرانية لإدارة كارتر الذريعة التي كان ينشدها لتوسيع التواجد العسكري في منطقة الشرق الأوسط والمحيط الهندي وفي غضون أيام من اختطاف الرهائن ، كان قد أرسل أسطولاً من حاملات الطائرات الحربية الأمريكية ونحو ثلاثين قطعة بحرية إلى الخليج؛ فتحقق ترسيخ التواجد البحري الأمريكي في المياه القريبة منه ؛ وزد على ذلك بدء المفاوضات بخصوص إنشاء قواعد عسكرية أمريكية في الدول الساحلية المطلة على المحيط الهندي مثل عمان والصومال وكينيا.

وبذلك أصبحت الخطط المحتملة لإيجاد موطئ قدم للقوات الأمريكية في مصر، مع تحصيل الدعم اللازم من إسرائيل أمرا قابلاً للتحقق وكذلك صارت المملكة العربية السعودية وغيرها من دول المنطقة في عرضة لضغوط كبيرة

للحاق بركب المجهود العسكري الأمريكي، وكذلك نال محور كامب ديفيد زخمًا جديدا كوسيلة لبسط نفوذ حلف الناتو على منطقة الشرق الأوسط.

هذا على أن تلك الإجراءات لم يكن المقصود منها الإيرانيون وربما كان للبنتاجون أن يأمر بشن ضربة عسكرية مباغتة على إيران، قد تتخذ شكل الاستيلاء على جزيرة «خرج « الإيرانية التي تحمل منها صادرات النفط ، أو تفجير حقول النفط الإيرانية أو فرض حصار بحري على الخليج الفارسي؛ أو حتى القيام بمحاولة يائسة لإنقاذ الرهائن غير أن أي واحدة من هذه لم تكن لتثني الخميني عن غايته.

وبدلاً من ذلك وبحسب آراء المحللين في ذاك الوقت كان الهدف الأساسي من أي إجراء عسكري أمريكي هو خلق حالة من الارتباك بالقرب من مصدر ثلثي إنتاج العالم من الإمدادات النفطية، بل وربما إثارة موجة جارفة من الإرهاب الأصولي على امتداد دول الخليج العربي على يد جماعة الإخوان المسلمين.

وفي نهاية أبريل تدهورت الأزمة الإيرانية إلى حد بلغ بها مشارف حرب عالمية ثالثة ومن هنا كانت عملية الإنقاذ العسكرية الأمريكية التي حدثت في إيران مجرد خدعة ليس إلا.

ولكنها كانت خدعة أخذت بناصية الولايات المتحدة لتجعلها على مقربة من دائرة محرقة نووية حرارية ولم يكن احتمال شن غارة جوية خافيا على أحد وكان كبار رجال وكالات المخابرات المختلفة على توقع بأن تحاول القوات المسلحة الأمريكية القيام بمهمة إنقاذ أو إجراء انتقامي .

و ذكرت مجلة «إجزيكاتيف إنتيليجنس ريفيو» في مقال لها كتب قبل ستة أيام على الأقل من غارة ٢٤ أبريل أن إدارة كارتر «قد شرعت في سلوك طريق المواجهة النووية الحرارية مع الاتحاد السوفيتي بسبب إيران على غرار أزمة الصواريخ الكوبية وهي المواجهة التي قدر لها أن تقع في الفترة ما بين أواخر أبريل و ١١ مايو، وذلك لغرض ابتزاز أوروبا الغربية واليابان لإرغامهما على الإذعان للأوامر السياسية الأنجلو أمريكية» .

وقد أخبر رجال الدولة الأوروبيين دون مواربة أن كارتر وبريجينيسكي يرتقبون رد فعل أوروبا على التدخل الإيراني كنوع من «الاختبار للحلف الأطلسي» ووفقًا لمصادر في باريس وبون، أوضحت أوروبا الغربية أن أي إجراء عسكري أحادي من قبل واشنطن لن تنحصر نتيجته في حدوث كارثة إستراتيجية فحسب بل إنه قد يؤدي إلى تدخل الاتحاد السوفيتي في إيران. وقد أجاب بريجينسكي على ذلك قائلا : «على أوروبا أن تسعى من الآن فصاعدا على منع الحرب العالمية الثالثة « بحسب ما ذكرته صحيفة ألمانيا الغربية «فرانكفورتر رونديسكو» .

هذا وقد بدا الاتحاد السوفيتي على نفس المستوى من الوضوح في تهديداته «إن واشنطن لا تريد تأجيج الصراع من جانبها مع طهران فحسب «، هكذا ذكرت صحيفة «برافدا» في عددها الصادر في ١١ أبريل وبالنظر إلى جميع جوانب المسألة نستطيع أن نخرج بحكم يؤكد على أن ما يجري إنما هو خدعة خطيرة تغامر بها الولايات المتحدة: لابتزاز إيران، ومعها حلفاء أمريكا نفسها الذين يعتمدون على الواردات النفطية من الخليج الفارسي ، إلى جانب التهديد بالتدخل العسكري» إن هذه الإستراتيجية بحسب ما تقول الصحيفة «قد حيكت لوضع أوروبا الغربية واليابان في وضع الشريك المضطر للدخول في لعبة صممت أصلاً لتقوية الوضع المترنح للإمبريالية الأمريكية في الشرق الأدنى والأوسط» وقد اختتمت الصحيفة بقولها «إن إمكانية الحرمان من النفط الإيراني ليس لها من كبير صدى، وبخاصة في طوكيو وبون وباريس « . وقبل تدخل الولايات المتحدة مباشرة، أعلن زبيغنيو بريجينسكي بنفسه أن الأتحاد السوفيتي يؤهب جيشه استعدادا لحدوث تدخل محتمل؛ وتابع قائلا : «هناك تقارير جديرة بالتصديق تشير إلى أن الاتحاد السوفيتي يعزز من قواته في المنطقة العسكرية بجنوب القوقاز على غرار ما يذكر بالاستعدادات التي اتخذها الاتحاد السوفيتي من قبل في شمال أفغانستان».

ومع ذلك ورغم الخطر المحدق من نشوب حرب عالمية ثالثة وجه الرئيس

كارتر في منتصف أبريل تحذيرا شديد اللهجة لأوروبا الغربية، وصرح قائلا :
«إنني أتوقع منهم الامتثال إلى العقوبات الاقتصادية والسياسية الموقعة على إيران « ، وإلا سوف يتضمن رد فعل الولايات المتحدة «الوسائل العسكرية» .
فطلبت الإدارة الأمريكية من أوروبا أن تتخلى عن التزامها بسياسة «الانفراجة الدولية « واللحاق بكارتر في مهمة «الجهاد» في الشرق الأوسط ، ولكن الإجابة كانت بالرفض .
وقبل عدة أيام فحسب من الغارة على إيران قدم وزير الخارجية «سيروس فانس» استقالته «إننا لم نشرع بعد في أي هجوم على إيران لقد كان لنا أن نشعل فتيل الحرب العالمية الثالثة « هكذا قال فانس لأحد الأصدقاء وانصياعا لنصائح قلة قليلة من إدارة كارتر ومن تبعوه من مؤيدي المفوضية الثلاثية مثل «جورج بول» و»أفيريل هاريمان»، تراجع فانس عن أمره بعد إقناعه بأن بريجينيسكي يميل إلى جانب الحرب.
وبعد ساعات قليلة تبين فشل الغارة وبينما طفق العالم يفيق من صدمته بما فعلته الولايات المتحدة وما كان منها من قصور أخذت الاتهامات تنهال عليها حين ذاع أن العملية برمتها من أولها إلى آخرها كان قد خطط لها بين كارتر وبريجينيسكي من ناحية وبين نظام الخميني من ناحية أخرى.
ووفقًا لمصادر استخباراتية فرنسية أن التفاصيل النهائية لغارة أبريل قد وضعت أثناء اجتماع عقد في باريس بين وزير الخارجية الإيراني «قطب زاده « و»مورفي « السكرتير الأول لسفارة الولايات المتحدة في فرنسا وفي هذا الصدد ، اتهمت الإذاعة العراقية المملوكة للدولة هجوم الولايات المتحدة بأنه كان مجرد مسرحية هزلية تم إخراجها بالتعاون بين واشنطن وطهران» .
وعندما سئل السكرتير الصحفي للبيت الأبيض «جودي بوويل» في اليوم التالي للغارة عما يذاع من أمر التنسيق المسبق لها بين نظام كارتر وقطب زاده ، لم يكن منه إلا أن نطق بتلك العبارة المتحجرة «لا تعليق» !!
هذا ولم يلق التفسير الذي قالت به إدارة كارتر لتبرير فشل الغارة وهو أن

السبب إنما كان التعطل المتزامن لثلاث من المروحيات الثماني المستخدمة فلم يصدق أحد هذا التفسير ، ومن المحتمل كذلك أن تكون الغارة قد جرى التخطيط لها جزئيا من جانب بريجينيسكي ومجلس الأمن القومي كنوع من الاختبار لرد الفعل السوفيتي على هذه الانتشار العسكري .

وإذا كان الحال كذلك يمكن تفسير الغارة الأمريكية على إيران بأنها كانت مجرد محاولة تجريبية لاختبار المذهب الإستراتيجي للولايات المتحدة - وهي التي اقترح أمرها أصلاً وزير الدفاع السابق «جيمس سكليسينجر» – لشن «حرب نووية محدودة « .

ومنذ الإعلان عما يسمى «بالمذهب الكارتري « في يناير ١٩٨٠ لم تخف الولايات المتحدة أنها تعتزم الدفاع عن مصالحها في الخليج الفارسي بالقوة في حال أن حصل اجتياح من الاتحاد السوفيتي من الشمال ولكن الاتحاد السوفيتي كما هو معروف لجميع المحللين كان يمتلك بفضل قربه وبرنامجه الحديث لتعزيز الأسلحة قوة اعتيادية طاغية في الشرق الأوسط تجعله في موضع متميز عن غيره. وبالنظر إلى هيمنة تلك القوة السوفيتية فإن موسكو إذا قررت التحرك تجاه إيران أو حتى دول الخليج العربي فإن الولايات المتحدة لن تتمكن بأي حال من أن ترد على ذلك ردا مناسبا - إلا بنشوب حرب نووية تكتيكية.

ومن المسلمات التي تشيع في أوساط المحللين أن حربا مثل هذه لم يكن في الاستطاعة احتواؤها لتقتصرفحسب على المستوى المحلي، بل كان من الممكن أن تتصاعد جدا بسرعة لتتحول إلى حرب نووية حرارية شاملة ولهذا السبب اعتبر كثير من السلطات العسكرية أن مذهب كارتر هذا ضربا من« الجنون « .

ورغم ذلك كان هذا المذهب هو المعلن رسميا كأساس للسياسة الأمريكية بحسب التوجيه الرئاسي رقم ٥٩ الصادر في أغسطس ١٩٨٠ ذلك وإن ما يتضح في ضوء الحقائق التي عرفت عن غارة ٢٤ أبريل هو أن إدارة كارتر حين ذهبت إلى إيران كانت تضع كل شيء في الحسبان إلا شيئا واحدا وهو تحرير الرهائن المحتجزين.

وكان وزير الخارجية الأمريكي «سيروس فانس» ونظيره البريطاني «لورد كارينجتون» يأملان في أن يكون بني صدر قادرا على تشكيل حكومة في إيران تستطيع أن تكون في النهاية حليفًا في جبهة الولايات المتحدة والناتو على أساس من الأصولية الإسلامية ولتحقيق ذلك سعى فانس وكارينجتون لإبرام صفقة مع إيران وهي تحرير رهائن الولايات المتحدة نظير إعادة تدفق الأسلحة والمساعدة الاقتصادية إلى بني صدر)والخميني كذلك(وفي مؤتمر صحفي في فبراير أعلن الرئيس كارتر أن الرهائن قد حرروا، ولذلك تسعى الولايات المتحدة سعيا دؤوبا لاستئناف علاقات «طبيعية» مع إيران بما فيها المساعدة العسكرية للنظام الحاكم.

لقد بدلت غارة ٢٤ أبريل كل ذلك لأن الإخفاق الأمريكي تسبب تلقائيا في التعجيل بالصعود المفاجئ لقوة المتطرفين وأى كان لينالها «بني صدر» لتشكيل حكومة فعالة وبوقوع تلك الأحداث قبل التصويت البرلماني الإيراني بأسابيع قليلة ، فإنها بذلك قد مهدت السبيل أمام حصول انتصار ساحق للحزب الجمهوري الإسلامي وملاليه في الاقتراعات التي جرت، وهو ما يعني بمفهوم المخالفة حدوث هزيمة نكراء للقوى اللادينية المؤيدة لبني صدر .

ونظرا لأن الخميني كان قد أعلن أن مسألة تقرير مصير الرهائن الأمريكيين سوف تكون من مسؤولية البرلمان صار بقاء الرهائن الأمريكيين في إيران أمرا محققًا على ضوء نتائج التصويت الحاصل .

وحتى أواخر ديسمبر ١٩٧٩ ، وتقريبا بعد عام واحد من الثورة الخمينية ومرور أكثر من سبعة أسابيع على الاستيلاء على السفارة الأمريكية كان الكابتن «سياوش سيتود يه» الملحق العسكري للسفارة الإيرانية في واشنطن يدير أعماله اليومية داخل المكاتب التابعة لمكتب الولايات المتحدة للبحوث البحرية.

هذا وقد كان سيتوديه وهو ممثل حكومة من المفترض نظريا أن الولايات المتحدة على شفير حرب معها، يعمل تحت الإشراف المباشر من مكتب

الولايات المتحدة للمخابرات البحرية وكذا مكتب الولايات المتحدة للبحوث البحرية، ويعاونه في ذلك فريق من ستة عشر فردا من الإرهابيين الإيرانيين ومهربي الأسلحة وفي هذا المرفق البالغ الحساسية- والواقع في ٨٠٠ شارع «نورث كوينسي» في مدينة «أرلنجتون» بولاية «فرجينيا» ، وهو الذي يقتصر الدخول إليه على الأفراد الحاصلين على تصاريح بالغة السرية- كان يعمل الكابتن سيتوديه ومعه الكابتن منصور وأدميرال إيراني وافد حديثًا وعشرات من العملاء العسكريين التابعين لجمهورية إيران الخمينية الإسلامية جنبا إلى جنب مع المخابرات البحرية الأمريكية بموافقة من مجلس الأمن القومي الذي ترأسه زبيغنيو بريجينيسكي.

لقد تجاوز التحالف القائم بين إدارة كارتر والنظام الخميني مرحلة المفاوضات وفي نهاية ديسمبر ١٩٧٩ ، أقيل سيتوديه من الوظائف التي يتقلدها في أمريكا، في أعقاب الافتضاح الواسع الذي نال من تواجده وأنشطته التي يزاولها هناك من قبل مؤسسة «نيو سوليداريتي إنترناشونال بريس سيرفيس» ومجلة «إجزيكاتيف إنتيليجنس ريفيو» ورغم صرف سيتوديه عن أمره رفض البنتاجون ووزارة الخارجية التعليق على أنشطته أو الدوافع التي سوغت له استخدام المكاتب التي توجد بالفعل داخل البنتاجون نفسه وقد سمح لسيتوديه بالبقاء في الولايات المتحدة ليعود على إثر ذلك إلى مكتبه الأصلي في السفارة الإيرانية في «ماساشوستس أفينيو»- وذلك رغم الأمر الرئاسي الصادر قبل شهر الذي يقضي بترحيل جميع الدبلوماسيين الإيرانيين انتقاما من الاستيلاء على سفارة الولايات المتحدة في طهران.

وقد أفادت التقارير بأن الوحدة الإيرانية التي تولى سيتوديه رئاستها كانت متورطة في تنسيق الأنشطة الخاصة بالطلاب الإيرانيين المرتبطين بالملحق العسكري الإيراني في أربعين كلية وجامعة أمريكية على أقل تقدير وقد تضمنت تلك الأنشطة تهريب الأسلحة والاتجار فيها وتوصيل الأسلحة إلى الوحدات الإرهابية المرسلة من إيران إلى الولايات المتحدة.

وفي نوفمبر ١٩٧٩ ، وقبل أن تنشر الأنباء عن أمر سيتوديه في الصحافة، أعلن آية الله «خلخالي» التابع لجماعة «فدائيو الإسلام)وهي تعتير إحدى فروع جماعة الإخوان المسلمين(أنه قد أرسل فرقًا للموت إلى الولايات المتحدة لاغتيال كبار الساسة الأمريكيين و»أعداء الثورة» ، فضلاً عن قائمة معينة من بقايا النظام الإيراني السابق.

ووفقًا لمصادر إيرانية، دخل حوالي ٣٠٠ فرد من الإرهابيين الإيرانيين المسلحين الذين تلقوا تدريبا عاليا إلى الولايات المتحدة بجوازات سفر مزيفة بتأشيرات مزورة حصلوا عليها باستخدام خاتم التأشيرات المسروق من سفارة الولايات المتحدة الأمريكية المحتلة في طهران ، وذلك في الفترة التي أعقبت الاستيلاء عليها وفي مقابلة صحفية مع جريدة «ليبيراسيون « في باريس تحدث خالخالي مفتخرا بأن الفرق التابعة له قد تلقت تدريبها في «الشرق الأوسط والولايات المتحدة نفسها» .

وفي أعقاب صدور أمر الترحيل من الرئيس كارتر في ١٢ ديسمبر، وبعد مرور أكثر من أسبوعين على صدور هذا الأمر لم يرحل واحد من الدبلوماسيين الإيرانيين البالغ عددهم ١٨٣ من الذين أمروا بمغادرة البلاد وكانت السفارة الإيرانية والقنصليات التابعة لها تعمل بشكل طبيعي ولم يحدث ذلك الأمر إلا عندما قطعت واشنطن العلاقات مع إيران بعد أربعة شهور!!

وبالنظر إلى تحالف إدارة كارتر مع نظام الخميني على جميع المستويات يبزغ سؤال ملح ألا وهو : من يا ترى المتحكم في «الطلاب» الذي احتجزوا الرهائن؟ وما طبيعتهم؟

وعندما تم الاستيلاء على سفارة الولايات المتحدة عرفت الجماعة التي وضعت يدها على السفارة باسم «طلاب على هدي الإمام «)والإمام بالطبع هو الخميني) وقيل إن قائد التنظيم كان طبيب أسنان اسمه «حبيب الله بيمان» الذي كان على صلة وثيقة بآية الله «خوئيني» ذلك الملا الغامض. ويعتبر هذا التنظيم الطلابي بصورة رسمية جزءًا من جماعة «فدائيو الإسلام»

التابعة لآية الله خلخالي، وهو إلى ذلك على ارتباط بميلشيات «حزب الله» وكان لحزب الله رهبة في إيران نظرا لما يعتمد عليه من التكتيكات الإجرامية واللجوء المتكرر للعنف وهو ما يجعله قوة ضاربة- أو نوعا من الأجهزة السرية - تعمل في خدمة العصابة المتطرفة التي تشكل الحزب الجمهوري الإسلامي. ووفقًا لمصادر مخابراتية إيرانية قضى قائد الطلاب الدكتور بيمان سنوات طويلة خارج إيران أثناء حكم الشاه، وبخاصة في أوروبا وأثناء هذا الوقت استخدم بيمان كعميل مأجور لدى الموساد، جهاز المخابرات الإسرائيلي .

ومن هنا كشفت تلك العلاقة عن إحدى أسرار آية الله الخميني لقد سرى الموساد في البنية القيادية لهذا النظام الإسلامي الأصولي سريان الدم في العروق. ويتضح مدى اتساع نطاق القوة التراكمية للإخوان المسلمين في الولايات المتحدة تحت ستار اتحاد الطلاب المسلمين من وجود جهاز حاسب آلي يبلغ ثمنه ٣ مليون دولار فيما يدعى مركز التوثيق الإسلامي في منطقة إنديانابولس وفي عامي ١٩٧٦ و ١٩٧٧ مرر الإخوان المسلمون ما يصل إلى ٣ ملايين دولار عبر الاتحاد لتمويل المشروع وذلك عن طريق يوسف ندا القيادي الإخواني المقيم في سويسرا.

وفي سبتمبر ١٩٧٥ ، وطبقًا لما ذكرته الوثائق، كان ندا حاضرا في اجتماع في توليدو، أوهايو، حيث تقابل هناك مع قيادات اتحاد الطلاب المسلمين، جمال بارزينجي ومحمد شمه وأبو السعود. ويؤكد محضر الاجتماع المنعقد للتخطيط لمركز التوثيق: « سيكون المشروع سريا تماما وإلا ستضع حكومات الشرق الأوسط الإخوان المسلمين في السجون» .

وتذكر وثيقة أخرى: « تم الاتفاق على أن المركز سيبدأ عمله بجمع كل البيانات المتاحة التي تخص حركة الإخوان المسلمين في مصر حيث تعد حركة الإخوان المسلمين الحركة الرائدة في العالم الإسلامي ، والتي تستحق انتباها فوريا في ظل المعلومات المتحيزة والمبتورة التي تنشر منذ عام ١٩٥٢ وفي هذا الصدد وصف أبو السعود، المُلقب «بالعبقري المالي» لاتحاد الإخوان

المسلمين، ذات مرة وظيفته في المنظمة بلفظ «التلاعب بالعملة» ويعني ذلك وضع تمويلات اتحاد الطلاب المسلمين عند مستوى محترم .

وفي ظل شركاته العديدة التي تمثل واجهة له، يعد اتحاد الطلاب المسلمين ممرا للأموال السرية التي تذهب إلى أنشطة سرية على سبيل المثال شغل أبو السعود منصب أمين خزينة شركة سلام الزراعية الذي يعد رئيسها صديقًا مقربا لإبراهيم يازدي وتقع الشركة التي تأسست عام ١٩٧٥ في هيومانزفيل ميسوري حاليا في مارشفيلد وهناك أدلة كثيرة توضح أن أبو السعود كان يصوغ الخطابات بأسماء أناس آخرين للسماح بنقل الأموال من حساب الشركة إلى حسابات شخصية لاستخدامها في العمليات الخاصة للإخوان المسلمين في أنحاء العالم ويتم نقل ملايين الدولارات بصفة دورية عن طريق حسابات اتحاد الطلاب المسلمين هنا وفي الخارج، وعن طريق مؤسسات سرية وبنوك سويسرية.

وفضلاً عما سبق كان أبو السعود ضالعا في استحواذ اتحاد الطلاب المسلمين على شركة صن سيستمز الواقعة في إيوركا إلينوي، والتي تتعامل في أنظمة ومكونات التسخين بالطاقة الشمسية.

ووقت الاستحواذ كانت صن سيستمز في انتظار الحصول على قرض يبلغ ٢٥٠ ألف دولار من الحكومة الفيدرالية.

كذلك ملايين الدولارات ومعظمها غير قابلة للتتبع وغير خاضعة للضرائب - تتدفق عبر حسابات جبهة اتحاد الطلاب المسلمين في كيانات مثل هيئة الكتب الإسلامية، في بلينفيلد، إنديانا، وسكوير ديل لوندري في سبرنغفيلد ميسوري، والهيئة الدولية لطباعة الرسوم المصورة في برنتوود ميريلاند، والجمعية الثقافية في إنديانابوليس والخدمات الإسلامية لاتحاد الطلاب المسلمين في تورنتو، كندا.

وتجد معظم هذه الأموال طريقها إلى حسابات سرية في أوروبا، وبخاصة في سويسرا ومن أهم ممرات غسيل الأموال شركة ميجال ووتش إس إيه

الواقعة في بلاس دي لاجار في بيين سويسرا.
وتوضح الوثائق الواردة من الشركة خلال فترة واحدة أن رئيس الشركة قام بتحويل أكثر من ٥٠ مليون دولار إلى أبو السعود الذي أعاد نقل المال إلى زوج ابنته الدكتور أحمد القاضي من اتحاد الطلاب المسلمين فالأموال جاءت من أعضاء سريين في الإخوان المسلمين في المملكة العربية السعودية وفي مصر.
ولا شك أن كل هذا يعد كافيا للمطالبة بتحقيق مجمع في روابط اتحاد الطلاب المسلمين بالجهات الأجنبية مثل الإخوان المسلمين وأنشطتها في الولايات المتحدة غير أنه لم يتم فتح مثل هذا التحقيق حتى الآن .

فيحظى اتحاد الطلاب المسلمين مثله مثل الإخوان في العالم العربي بأصدقاء في مناصب عليا في الولايات المتحدة ومن بين هؤلاء السيناتور الديمقراطي توماس إيجلتون من ميسوري، الذي اعتاد التدخل لجذب الخيوط مع دائرة الهجرة والجنسية لمنع ترحيل قيادات اتحاد الطلاب المسلمين وأبو السعود نفسه انتفع من خدمات السيناتور.
أما أهم الشخصيات التي اعتادت حماية الاتحاد فهو المحامي الأمريكي العام السابق، رامزي كلارك ومن المرجح أن كلارك لم يتخلَ مطلقًا عن لقب المبعوث الأمريكي الخاص إلى إيران منذ أن أرسله جيمي كارتر إلى طهران في نوفمبر عام ١٩٧٠ .
وفي صيف عام ١٩٨٠ وبعد أن أجبر الرئيس كارتر على قطع العلاقات الدبلوماسية مع إيران، ومنع المواطنين الأمريكيين من زيارتها، ذهب المحامي الأمريكي العام السابق رامزي كلارك إلى إيران مجددا.
وأثناء تواجده هناك اجتمع كلارك مع القادة الإيرانيين بما في ذلك أولئك المسؤولين مسؤولية مباشرة عن احتجاز رهائن أمريكيين وعند عودته إلى الولايات المتحدة لم يتم إلقاء القبض عليه لمخالفته قرار حظر السفر الصادر

عن الرئيس ولم تتم محاكمته.

وفي شهر فبراير أعلن فورير - وهو قائد سابق في ميليشيا ت هاجانا التابعة لإسرائيل- عن رحلة إلى إيران ضمن وفد يضم ١٣ أمريكيا لإجراء ما أطلق عليه «حوار المصالحة « مع الإرهابيين الذين يسيطرون على السفارة الأمريكية وكما اتضح بعد ذلك كان فورير متورطًا مع المتعاطفين مع الخميني هنا في الولايات المتحدة وطبقًا لما ذكرته زوجته بأن « فورير قد درّب بعض الطلاب الإرهابيين الذين قاموا بالاستيلاء على السفارة في نوفمبر عام ١٩٧٩ وقد كانوا أصدقاءه « .

ويرجع تورط فورير في الإرهاب إلى منتصف السبعينات ، عندما كان منسق اللجنة الأمريكية للحقوق الإيرانية بالاشتراك مع بروفيسور جامعة كينساس دون براونشتاين لقد كان فورير ناشطًا فيما مضى في حركة الحقوق المدنية وعمل مع وزارة العدل في «الوساطة» أثناء أعمال الشغب وغيرها من المشكلات ففي عام ١٩٧٧ ذهب فورير وبراون ونانسي هيرميتشا من هيوستن تكساس إلى إيران بحثًا عن مجموعة من الكتاب الإيرانيين المنشقين الذين زعم اختفاؤهم والذين صارت مشكلتهم قضية شهيرة في منظمة العفو الدولية.

وعقب مغادرة إيران – دون ظهور «الكُتاب» - ذهبت مجموعة إلى باريس، حيث تواصلوا مع أبو الحسن بني صدر وصادق قطب زاده ، وكلا الرجلين كان ضمن الخلايا السرية المناهضة للشاه.

وبعد إقامة علاقة فاعلة مع الخلايا السرية الإيرانية، قام فورير برحلات عديدة إلى غرب أوروبا بصحبة ممثلي منظمة العفو الدولية والجمعية الدولية للمحلفين الديمقراطيين كما أقام جسور اتصال مع كلا من رامزي كلارك ورتشارد فولك والشبكات الإرهابية في أوروبا بما في ذلك «الجيش الأحمر» وعصابة بادر ماينهوف وعند عودته إلى الولايات المتحدة صار فورير مستشارا لاتحاد الطلاب المسلمين والاتحاد الكونفيدرالي للطلاب

الإيرانيين وكلا المجموعتين من المناهضين للشاه. وبعد ذلك قام فورير بالتدريس للطلاب الذين استطاعوا بعد سنوات الاستيلاء على السفارة الأمريكية وعقب احتجاز الرهائن مباشرة عاد فورير - بدعوة من طلابه - إلى إيران مجددا في ٥ ديسمبر ١٩٧٩ ، حيث التقى بالحرس الثوري في طهران كما نظم فورير، بصحبة وزير الخارجية قطب زاده رحلة إلى إيران لزيارة القس ويليام سلوان كوفين من جماعة «رجال الدين والشعب المعنيين» والقس ويليام هوارد من مجلس الكنائس العالمي والأسقف توماس جامبلتون من ديترويت وجميعهم كانوا من المؤيدين للثوار منذ عام ١٩٧٧ .

وعقب ذلك وفي ١٧ يناير، نظم فورير - بناء على طلب طلابه مجددا - رحلة أخرى إلى إيران، لكي تشمل هذه المرة وفدا مكونا من خمسين شخصا وتم اختيار الوفد – وفقًا للتوجيهات الإيرانية الدقيقة – بحيث يشمل ممثلين للجماعات الأمريكية الراديكالية والمتطرفة، ومن بينها تحالف حركة ديترويت والحركة الأمريكية الإرهابية، وحركة القبعات البنية، وحركة عدم الانجراف، ومختلف المجموعات الراديكالية الهندية السوداء وقد حاول العديد من تلك المنظمات الأمريكية السوداء من قبل زيارة الشرق الأوسط بشكل مستقل للاتصال بمنظمة التحرير الفلسطينية بعد استقالة أندرو يونغ في أغسطس عام ١٩٧٩ وخلال الفترة ذاتها كان باهرام ناهيديان في إيران أيضا.

لكن، في كل خطوة طوال هذا المشوار حظيت أنشطة فورير بالتعاون والإقرار الكامل من وزارة الخارجية.

عصر مظلم جديد

بعد شهور قليلة من وصول الخميني إلى سدة الحكم تلقى العالم صدمة قاسية بالاكتشاف الرهيب أن حكومة بول بوت التي ترعاها الحكومة الصينية قتلت قرابة نصف سكان كمبوديا وفي ظل المراقبة المتأنية لآلاف المستشارين الصينيين الشيوعيين شرع نظام بول بوت ولينج ساري في التعذيب والقتل المنتظم لأكثر من ٣ ملايين رجل وامرأة وطفل من بين سكان كمبوديا البالغ عددهم ٩ ملايين نسمة وذلك في فترة لا تتجاوز أربعة أعوام.

لقد وجد المراقبون الذين وصلوا إلى كمبوديا عقب الإطاحة الرحيمة بسفاحي بول بوت مقابر جماعية وأكواما ضخمة من العظام ومعسكرات أسرى كان قاطنوها يُستخدمون أولاً في الزراعة كثيفة العمالة ثم صاروا يساقون إلى القتل الجماعي بعد ذلك.

صارت عاصمة كمبوديا قابعة وسط الركام وبدت أقرب إلى مدينة الأشباح حيث اصطفت السيارات المحترقة في الشوارع ونما العشب في الشوارع وأخذت الحيوانات تتجول وسط الأنقاض والحطام وتعرضت المكتبة العامة للنهب وتحولت كل المصانع إلى أجزاء مفككة وتعرض البنك للتفجير واحترقت عملة الدولة ولا شك أن كراهية نظام بول بوت للتكنولوجيا بكل أشكالها كانت عظيمة لدرجة أنه حتى أدوات المائدة لم تسلم من الدمار.

في مقابلة شخصية مع صحيفة لوموند الفرنسية في ديسمبر عام ١٩٧٩ أعلن الرئيس الإيراني أبو الحسن بني صدر أن سياسة حكومته تقتضي تفريغ المدن الإيرانية من السكان وذكر أبو الحسن «أن طهران مدينة ضخمة تستوعب بمفردها نصف الاستهلاك الوطني، وتمثل عبئًا بالغا على ميزانية الدولة».
«سنعمل على تفريغ طهران بإنشاء وحدات إنتاج صناعية وزراعية في الأقاليم».
و سئل بني صدر عما إن كان يميل إلى تطبيق النموذج الكمبودي على إيران فأجاب : «نعم لكن دون استخدام البنادق بالإيمان والإقناع « .
وفي قرابة عامين من حكم الخميني بدأ تحويل إيران إلى النموذج الكمبودي فحكم «الإيمان والإقناع» هو حكم ٢٠٠ ألف من الملالي الذين يبسطون سيطرتهم على كل مجال من مجالات الحياة اليومية في إيران.
في كمبوديا نفذ الحرس الصيني وحرس الخمير الحُمر إبادتهم الجماعية بإخبار ضحاياهم بأنه « يجب القيام بذلك فهذه تعليمات أنغكار « .
وفي إيران يقول الملالي إن ذلك مسطر في القرآن أو أن الله أو الإمام يريد منا ذلك وفي كمبوديا، لا يظهر أنغكار في الصورة أما في إيران فيظهر وجه الخميني غير أن التأثير واحد في المكانين وهو التنفيذ القسري لسياسة التفكك الجماعي .
و كما هو الحال في كمبوديا تعرض التراث الثقافي للأمة الإيرانية لهجوم وحشي حيث قامت فرقة من الملالي المتعصبين الذين يعتقدون أن من المنوط بهم تدمير أي بقايا للحضارة الإيرانية قبل الإسلام، بالتجول في أنحاء البلاد وبأيديهم مطارق ثقيلة، وأخذوا يهاجمون آثار الثقافات القديمة في إيران واحدا تلو الآخر، محطمين كنوزا لا يمكن تعويضها ومدمرين مواقع أثرية لا تقدر بثمن، ذهبت الآن في غياهب النسيان.
لقد تحولت الإذاعة والتلفزيون الإيراني حاليا إلى ما يطلق عليه الإيرانيون «ملا فيزيون»، ففي أي ساعة من ليل أو نهار لا يعرض التلفزيون شيئًا سوى منظر الملا الملتحي المُعمم الذي يتلو بعض الأدعية أو يقرأ من القرآن

وحتى ما يندرج تحت بند الأخبار فيقرؤه مذيعون من الملالي ولا يسمح بأي ترفيه من أفلام أو نوادي ليلية أو قاعات رقص وكذلك حظرت الخمور على الرغم من توفر الأفيون بكثرة !!

وفي مطلع الثورة، حرم الخميني عزف كل أنواع الموسيقى واختفت كل أنواع الموسيقى سواء موسيقى الروك آند رول أو الكلاسيكيات الموسيقية .

وفي صيف ١٩٨٢ أعلن أن المسلمين ليسوا في حاجة إلى الأثاث وفي غضون أسبوع أغلقت كل متاجر بيع الأثاث ومصانع تصنيع الأثاث !! وأدت قرارات مماثلة إلى القضاء على كل باعة الزهور ومتاجر بيع العطور والعديد من متاجر الثياب ومجالات أخرى من البضائع الاستهلاكية .

وبصورة تراكمية أدت هذه التدابير إلى زيادة ملحوظة في نسب البطالة والتضخم وانخفاض حاد في استهلاك المواد الأساسية والكماليات على حد سواء.

فيذكر أحد المسافرين إلى إيران عام ١٩٨٠ قائلا : « رأيت إغلاق مشروع تلو الآخر وهم يبدون مثل جثث ضخمة تلوح في الأفق والجميع متعطلون عن العمل» .

كان الصلب عصب التحول الإيراني إلى دولة صناعية إذ كانت إنشاءات الصلب في آريامهر في أصفهان هي الموقع الصناعي الرائد في البلاد وفي عام ١٩٧٨ كانت آريامهر تنتج بالفعل.١٩ مليون طن من الصلب سنويا وكان من المقدر أن تنتج ٨ ملايين طن بحلول عام ١٩٨٥ ، وهو ما يجعلها واحدة من أكبر مصانع الصلب في العالم كما بدأت الشركة الإيرانية الوطنية للصلب، وهي الشركة الأم إنشاء العديد من المنشآت الأخرى وكانت بعض مصانعها تستخدم معدات اختزال الغاز التي تمثل تقنيات متطورة ولولا مجيء الثورة الإيرانية وتدميرها لكل شيء كان عام ١٩٨٣ سيشهد بناء مصانع جديدة في أهواز وبندر عباس وأصفهان وغيرها من المدن وهو ما من شأنه أن يمنح إيران قدرة تتجاوز ١٥ مليون طن سنويا في مجال إنتاج الصلب.

وفي غضون ستة أشهر فقط عكست ثورة الخميني ذلك الاتجاه الذي كان

يسعى جاهدا لإخراج إيران من العصور الوسطى .

وبإيجاز يمكن القول أن نظام الخميني نجح في تدمير كل ما بناه النظام السابق في مجال الصناعة، حيث يقدر الإنتاج الصناعي حاليا بقرابة ٦١ ٪ من مستواه قبل الثورة، وتقبع القطاعات الإنتاجية الكبرى كالصلب والتعدين وتصنيع الأجهزة الصغيرة بلا حراك .

قدرت الإحصاءات الخاصة بمعدلات البطالة في إيران بقرابة ٤ ملايين نسمة أو أكثر ويمكن للزائر في المدن رؤية المئات من الرجال ذوي البنية القوية)والمتعلمين غالبا(يتسكعون دون عمل في الطرقات وتحول العديد من سكان المدن إلى إدمان الأفيون، ويرجع ذلك جزئيا إلى حظر النظام الإسلامي للخمور، مع تشجيع المزارعين في الوقت ذاته على زراعة الأفيون الذي يدر ربحا أعلى في السوق المحلية والأجنبية. وذكرت صحيفة واشنطن بوست أن هناك ما لا يقل عن ٢ مليون مدمن للأفيون في إيران ونصفهم من المتعطلين وأن هذا العدد شهد زيادة كبيرة منذ الثورة.

ولعل أكثر المخاطر التي تتعرض لها إيران نتيجة تأثيره على مستقبل الدولة هو تراجع نظام التعليم الإيراني على يد ملالي العصور الوسطى ففي يونيو عام ١٩٨٠ تعهد مظفر برتوماه مستشار الرئيس الإيراني بني صدر في حديثه أمام اللقاء السنوي لاتحاد الطلاب المسلمين في أكسفورد، أوهايو بأن يزيل من الجامعات الإيرانية « كل الخونة» ، ثم واصل حديثه قائلا : «ثم ننتقل لتطهير المدارس الثانوية والابتدائية» .

ولقد تمعقب الثورة إغلاق جميع الجامعات الإيرانية لأجل غير مسمى إلى حين تطهيرها من الميول الغربية وجعلها «أكثر إسلامية « وصرح نائب وزير التعليم محمد جواد راجالين أن الجامعات قد تظل مغلقة لمدة عامين ، في حين ذكر آخرون أن الفترة ربما تمتد لخمسة أعوام وتم تشكيل «لجان خاصة « لطرد الطلاب والأساتذة الذين لا يملكون الميول الإسلامية الكافية ، ومن ثم تعرض العديد من أساتذة جامعة طهران العريقة للطرد .

واستكمالاً لما سبق فُرض منهج إسلامي على كل الجامعات والمدارس بهدف «حماية شباب إيران من الضلال والفساد» وصمم المنهج خصيصا لإنتاج جيل جديد من الإيرانيين ذوي المبادئ الراسخة المناهضة للعلوم والتكنولوجيا وأصحاب النظرة الأصولية للعالم ، وأعيدت كتابة كل كتب التاريخ لحذف كل الإشارات إلى إنجازات العصر البهلوي وعصر الشاه وبدلاً من دراسة الأدب والتاريخ، تعلم أطفال المدارس كيف يرددون بلا عقل أناشيد مثل « خميني خميني أنت نور من الله» .

فقد أعدم العديد من الإيرانيين على سبيل المثال لأنهم لم يتخلصوا من منفضة السجائر الموجودة في مكاتبهم التي تحمل رموز نظام الشاه .

ويخضع ما تبقى من جيش إيران خضوعا تاما للإخوان المسلمين ففي ظل ما كانت تمتلكه من تقنيات متطورة كانت القوات المسلحة ساحة تدريب أنتجت المهندسين والعلماء والمحترفين بالإضافة إلى الجنود مع سعي جيد لامتلاك التكنولوجيا الحديثة كما كانت كذلك معقل كراهية الخميني ، حيث لجأ النظام الجديد إلى سياسة قاسية لإبادة فيلق الضباط بعمليات إعدام وتسريح جماعي وقد نقل العديد من ضباط الجيش إلى فرق الإطفاء أو تعرضوا للاغتيال في مكاتبهم ، وتعرض عدد أكبر للسجن وأجبر الباقون على الفرار من البلاد.

وتولى تدمير القوات المسلحة عصبة صغيرة ممن تحكموا في)السافاك(في الأيام التي تلت الثورة، ومن بينهم إبراهيم يزدي وعباس لاغوتي والأخوان تشامران والجنرال غاراباغي والجنرال فردوست ونجحت هذه الزمرة عن طريق الانتقالات والصرف من الخدمة والتغييرات في القيادات في إنهاك القوات المسلحة لدرجة أنه لم تعد لها قيادة وأجبرت عمليات الإعدام التي كانت تتلو اكتشافات «المؤامرات» المزعومة باقي الضباط على التزام الصمت.

ووفقًا لما يراه ريتشارد فولك الأستاذ بجامعة برينستون يعد تحول إيران إلى دولة صناعية «قتلاً عرقيا» في حين يستحق قيام الشيعة الطائفيين المتعصبين

بجلد أنفسهم بالسياط في الأعياد الدينية الثناء بوصفه عملاً «أصيلا » وفي الواقع يمثل جلد النفس بالسياط نوعا من ازدراء النفس وهو ما يؤدي بأمة إلى أن تتحول إلى «شهداء» ولا شك أن مصطلح «القتل العرقي » ما هو إلا خدعة إذا تمت صياغته لتبرير تدمير أمة وفقًا لمصالح أخرى وفيما يخص المصالح البريطانية التي أوصلت الخميني إلى الحكم فإن إيران تتهيأ لتكون النموذج الذي يقضي على فكرة إخراج الأمم المتخلفة من تخلفها البائس إلى العالم الصناعي المتحضر.

ففي حين بدأ معهد آسبن وشريعتي يثيران القلاقل حول الشاه، بدأ في عام ١٩٧٧ أعضاء نادي روما من أمثال بيتشي وجاك فريموند وغيرهم تركيز جهود الإخوان المسلمين في غرب أوروبا حول نسخة مصطنعة جديدة من الإسلام لا تسمح بأي قدر من النمو وعقدت أولى جلسات التخطيط لهذا المشروع، الذي حمل اسم «الإسلام والغرب» في جامعة كامبريدج في إنجلترا. وفي ظل توجيهات بيتشي ولورد كارادون وقائد الإخوان المسلمين معروف الدواليبي، قام «مشروع الإسلام والغرب « بوضع الإطار العام للسياسة المرتبطة باستخدام العلوم والتكنولوجيا في هدم الإسلام ونشر هذا الإطار العام سنة ١٩٧٩ ، وحظي بدعم الاتحاد الدولي لمعاهد الدراسات المتقدمة الذي يرأسه عضو نادي روما والمستشار العلمي لحلف شمال الأطلسي أليكساندر كينج. وأعلن مشروع الإسلام والغرب:

«ينبغي لنا العودة إلى المفهوم الأكثر روحانية للحياة ... فالدرس الأول الذي نتعلمه من العلوم الإسلامية هو إصرارها على شعار الاتزان المستقر الذي لا يدمر الترتيب الطبيعي للبيئة التي يعتمد عليها في نهاية المطاف البقاء الجماعي لإنسان» وُاستخدمت هذه الجدلية لمهاجمة العلوم والتطور التكنولوجي الغربي في أوروبا وأمريكا الشمالية.

العنصر السوفيتي: كيم فيلبي

لعب جهاز المخابرات البريطانية دورا أساسيا في التنسيق لثورة الخميني مع الاعتماد على موارد المخابرات الأمريكية والإسرائيلية بل والمخابرات الروسية أيضا.
فالدور الذي لعبه كيم فيلبي بوصفه عميلاً «ثلاثيا» فهو ضابط مخابرات بريطانية يعمل متخفيا «كعميل سوفيتي مزدوج .
فقد تم استخدام «سلاح الأصولية الإسلامية» لزعزعة الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط و خلق منطقة من الأزمات و الاضطرابات فيما بينها لهدف زعزعة الاستقرار في الاتحاد السوفييتي في نهاية المطاف فأدوار مثيرة لعبها كيم فيلبي و لورانس في دعم الأصولية الإسلامية التي تلت سقوط الخلافة العثمانية.
حيث ركز فيلبي أبحاثه ورسائله قبل التخرج على الدين وفي أحد أبحاثه التي أجراها في شبابه، كتب أن الدين :
«يعد الأعظم بين كل الاتفاقات فهو عالمي للغاية وهو جزء أساسي للغاية من النظام البشري، وهو بالغ القوة في مقاومته لكل أشكال المعارضة». وفي عمل آخر منفرد، قارن فيلبي بين تأثير الفيلسوف أرسطو وبين تأثير الأصوليين الدينيين، وتوصل إلى أن الدين هو الواقع «أكثر تأثيرا بكثير» .
وتطور لاحقًا هذا الميول لدى سان جون فيلبي الشاب في التأكيد على الدور الكهنوتي في عمليات المخابرات السياسية إلى مبدأ تشغيل مركزي للمخابرات البريطانية، على يد رئيسها الشهير المؤرخ أرنولد جوزيف توينبي.

خلال الحرب العالمية الأولى وفترة معاهدة فيرساي، شغل توينبي منصب رئيس المخابرات البريطانية في دول البلقان والشرق الأو سط وخلال الحرب العالمية الثانية تولى منصب قائد الخدمات الاستخباراتية المجمعة لكنيسة وينستون .

وكان أرنولد توينبي، المشرف المباشر على سان جون فيلبي في المخابرات، واحدا من أبرز المروجين للمبدأ القائل بأنه «على مدار عصور التاريخ الطويلة كانت الأيدلوجية الدينية والسلطة الكهنوتية والإحساس الديني بهوية الفرد من القوى التاريخية التي هي أقوى بكثير من أنماط الهوية القومية والسلطة القومية، السائدة حاليا» .

ذكر توينبي أكثر من مرة أنه إن كان المرء بصدد السيطرة على نظام عالمي إمبريالي مستقر ودائم، يجب على المرء هندسة أعمال المخابرات والشبكات السرية القادرة على فرض سلطة كهنوتية وإحساسا دينيا بالهوية على الشعوب ، التي تحكمها حاليا سلطات علمانية وإحساس قومي بالهوية.

وفي عامه الأخير في كامبريدج في ١٩٠٧ وجد فيلبي طريقه إلى الصفوة العميقة من محاربي نظرية المعرفة في المخابرات البريطانية وكان «الحارس والمرشد» الخاص به سنة تخرجه هو براون خليفة سير ريتشارد بيرتون، مهندس «الثورة» الفارسية عام ١٩٠٥ ، والخبير الأول في المائدة المستديرة البريطانية بشأن الصوفية الإسلامية وبلاد الفرس. وجنبا إلى جنب مع ويلفريد س بلانت، كان براون الراعي الرئيسي للجد الأكبر لما عرف بعد ذلك بالإخوان المسلمين، الطائفي الماسوني الحر المتبع للطقوس الاسكتلندية والمنظم الإسلامي العام جمال الدين الأفغاني.

ومن خلال عمله المكثف مع براون عام ١٩٠٧ ، تعلم فيلبي أسرار الاستخدام الاستراتيجي البريطاني للطوائف الراديكالية القومية والدينية المختلقة كما صقل فيلبي معرفته باللغات الفارسية والهندوسية وبدأ في تعلم اللغة الأردية وخلال مسيرته الوظيفية، صار يتحدث هذه اللغات بطلاقة بالإضافة

إلى العربية والتركية والعديد من اللهجات المحلية.

وشهدت سنوات الحرب العالمية تطبيق هذه الاستراتيجية في صيغتها الجوهرية، على يد المكتب العربي الجديد للمخابرات البريطانية في القاهرة، الذي تأسس تحت قيادة د. ج. هوغارث، من متحف أشميلون التابع لجامعة أكسفورد. وكان أبرز العاملين في المكتب العربي حينئذ هو ت . إ. لورنس «لورنس العرب »، الذي انهمك في العمل في منطقة الحجاز غرب شبه الجزيرة العربية مع الشريف الحسين في «الثورة العربية .»

واشتملت الاستراتيجية على نقل كميات ضخمة من الذهب البريطاني إلى الجيوش القبلية العربية في الحجاز، لتشجيع قيام حركة استقلال عربية تهدف إلى الانفصال عن الإمبراطورية العثمانية.

سافر فيلبي الأب والابن سويا إلى الشرق الأوسط. ومنذ عام ١٩٥٥ وحتى سبتمبر ١٩٦٠ ، أوضح سان جون فيلبي لابنه كيم كل الخيوط وبخاصة تعريفه على شبكات الإخوان المسلمين البريطانية في العالم العربي وعلى المجالات الاستخباراتية الكبيرة التي تعاونت فيها المخابرات البريطانية والسوفيتية لدعم الحركات «اليسارية « والشيوعية و بهذا صار كيم فيلبي صديقًا حميما للعديد من الأحزاب الشيوعية العربية مثل حزب توده الإيراني ، والحركات اليسارية والناصرية اللبنانية وفصيل ميشيل عفلق حزب البعث العربي الاشتراكي وفي كل من هذه الحركات كان للمخابرات البريطانية تاريخ طويل من التوغل، بل والسيطرة الكلية الفعالة.

و منذ عام ١٩١٨ حتى موته بعد ذلك بأربعين عاما كان سان جون فيلبي قائد عمليات المخابرات البريطانية في المملكة العربية السعودية وفي البداية غاص فيلبي في أسرار السياسة القبلية في شبه الجزيرة العربية وفي فترة وجيزة تلت تكليفه في العالم العربي استطاع فيلبي الإلمام بكل شاردة وواردة في شبه الجزيرة العربية. وعند وفاته صار يعرف بأفضل مقتف للأثر في رمال الصحراء وكُتب على شاهد قبره: «أعظم مكتشفي شبه الجزيرة العربية» .

وفي سنواته الأولى في شبه الجزيرة العربية درس بعناية أقوى الحركات العربية، وهي الطائفة الوهابية للإسلام الأصولي والتي رأسها حينئذ عبد العزيز بن سعود، المؤسس اللاحق للمملكة العربية السعودية في العشرينات من القرن العشرين ولمدة ثلاثين عاما ظل فيلبي همزة الوصل بين لندن والملك سعود في البداية سعى فيلبي للتوفيق بين أهداف أسرة سعود في شرق الجزيرة العربية وحركة الحجاز الراسخة بالفعل والتي تتبع العشيرة الهاشمية لشريف مكة حسين ، الذي كان وقتئذ عميلاً بالأجر للمكتب العربي ومع هذا تزايد جدال فيلبي في أن على لندن أن تلقي بثقلها لدعم بن سعود. وفي نهاية المطاف جاءت الانتصارات العسكرية السعودية في وسط شبه الجزيرة لتثبت أنه كان على حق.

لقد اعتمدت القوة العسكرية للأسرة السعودية على الحركة الأصولية الصحراوية التطهيرية التي تدعى الإخوان حيث صارت قوات الإخوان المكونة من القادة القبليين المنظمين في ميليشيات عشائرية والغيورين في إيمانهم الإسلامي، سوط الجلاد في شبه الجزيرة العربية، مستخدمة في ذلك الأسلحة البريطانية وبعد ذلك بسنوات وقع نزاع بين الملك سعود ملك المملكة العربية السعودية وبين الإخوان، وأجبرهم على تسريح قواتهم في فترة الثلاثينات. ومع هذا يعتقد الكثيرون أن الإخوان بعد التسريح استمروا أحد الأصول السرية للمخابرات البريطانية في المملكة العربية السعودية، وهم محتفظون بهيكلهم حتى وقت قريب كما يعتقد كذلك أن الحرس الوطني السعودي اليوم وهو صفوة القوات كان تحت قيادة الأمير عبد الله بن عبد العزيز المناصر للإخوان المسلمين، ويتكون بصفة أساسية من المجموعة الأساسية التي شكلت الإخوان في فترة الثلاثينات.

في مارس عام ١٩١٩ تم تعيين فيلبي في لجنة الإدارات الشرقية ذات الأهمية البالغة التي أسسها لورد كيرزون، وفي مطلع عام ١٩٢١ حالف فيلبي ولورنس النجاح في تشكيل إدارة مستقلة للشرق الأوسط في مكتب شؤون

المستعمرات واستمر فيلبي المتورط حينئذ في صفقات التعاون البريطاني الصهيوني والتقلبات المختلفة في معركة لندن ضد الفرنسيين والاتحاد السوفيتي في الشرق الأوسط يعيث فسادا في أنحاء الجزيرة العربية ويعيش حياة فاجرة متقمصا العادات الإسلامية) بما في ذلك تعدد الزوجات (وادعى في النهاية اعتناقه للإسلام وفي هذه الفترة ومنذ نهاية الحرب العالمية الأولى حتى بداية الحرب العالمية الثانية لم يقع حدث واحد مهم في المملكة العربية السعودية بدون معرفة فيلبي بل وموافقته غالبا على سبيل المثال تأمين حصول شركة ستاندرد أويل من كاليفورنيا على عقد التنقيب عن النفط في المملكة العربية السعودية ، والذي أدى بعد ذلك إلى تأسيس الشركة العربية الأمريكية للنفط)أرامكو(، لم يكن ليتحقق لولا نفوذ فيلبي الشخصي في البلاط الملكي السعودي.

صلات فيلبي في الاتحاد السوفيتي عملت من خلال قنوات أخرى أكبر أقدم وأكثر دقة فبوصفه عضوا بارزا في «مجلس المستشرقين» حظي فيلبي بصلات وثيقة مع كبار الأساتذة السوفييت، المتخصصين في الإسلام والشرق والعالم العربي والهند وكان مجلس المستشرقين الذي ينعقد كل بضع سنوات في عاصمة مختلفة من عواصم العالم حركة تأسست في الثمانيات من القرن التاسع عشر واستمرت طوال القرن العشرين كمشروع مشترك بين المخابرات البريطانية واليسوعيين.

ولاحقًا قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها كان من بين أساتذة ورعاة فيلبي مونسينييه جونزاج ريكمانز وهو قس يسوعي من جامعة لوفين في بلجيكا كان ريكمانز من منارات حركة المستشرقين، ومؤلف «لو ميوسيون أوف لوفين) le Museon of louvain (وكان اجتماع فيلبي مع جاك، ابن ريكمانز، رمزا مثاليا للزواج الاستراتيجي البريطاني- اليسوعي في الشرق الأوسط، والثلاثي الذي جاب سويا أنحاء المملكة العربية السعودية.

وكان مما يسعى فيلبي وعائلة ريكمانز لإثباته في تلك الفترة هو وجود

حركات جاهلية في شبه الجزيرة العربية حيث كان فيلبي وريكمانز يبحثان عن طريق استكشاف المواقع الأثرية وتدوين ملاحظات كثيرة للغاية، عن «تحف» مادية يمكن أن تمثل قاعدة لقيام حركة جديدة مناهضة للإسلام، ترتبط بالآلهة القبلية القديمة مثل «اللات» التي سادت عبادتها شبه الجزيرة العربية قبل مجيء النبي محمد لقد كانت مثل هذه الآلهة هي التي غذت الحركات الصوفية والعشائر المناهضة للإسلام في فترة فيلبي.

الاخوان وإسرائيل..
المصلحة فوق العقيدة !

أكدت دراسة صدرت عن مركز المصري للدراسات والمعلومات أن وصول الإسلاميين إلى السلطة في مصر لم يكن مفاجئًا للحكومة الإسرائيلية و أنه منذ اندلاع الثورة في مصر كان واضحًا لدى الحكومة الإسرائيلية أن التغيرات السياسية في القاهرة ستؤدي إلى صعود الإسلاميين إلى السلطة ، بقيادة جماعة الإخوان المسلمين ، وهو ما كانت تشعر معه إسرائيل بخطر كبير، حيث تصنف إسرائيل هذه الجماعات بأنها متطرفة ، وتشكل خطورة عليها كونها لا تعترف بحقها في الوجود.

وأوضحت الدراسة أن أيديولوجية التيارات الإسلامية، وخاصة جماعة الإخوان المسلمين، ترى في إسرائيل عدوًا، اغتصب أرضًا، يعتبرونها وقفًا إسلاميًا - وأقام عليها دولته- التي يجب محوها من الوجود، وتؤمن هذه الأيديولوجية بحتمية زوال «الكيان الصهيوني»، من الوجود بوعد قرآني.

وكان صعود الإخوان المسلمين للسُلطة في مصر اختبارًا لتمسك كل طرف بأيديولوجيته أمام الآخر، من عدمه، ويبقى أمام الطرفين الخيار بين الأيديولوجية، التي تعني قضاء طرف منهما (إسرائيل والإخوان) على الآخر، أو المصلحة، التي تعني تعايش كلا الطرفين مع بعضهما البعض، وتقديم المصالح المشتركة أو حتى مصالح كل طرف على حده، على أي اعتبارات أيديولوجية.

فتعتمد أيديولوجية الإخوان المسلمين، على النظر للصراع العربي- الإسرائيلي، على أنه صراع ديني، بين مُسلمين ويهود، وقضية فلسطين (قلب الصراع العربي- الإسرائيلي) عند حسن البنا هي «قضية الإسلام وأهله»، و«يتوقف عليها عز الإسلام أو خذلانه».

وتقوم أيديولوجية الإخوان نحو فلسطين والصراع العربي- الإسرائيلي على أن أرض فلسطين «وقف إسلامي على جميع أجيال المسلمين في ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم إلى يوم القيامة لا يجوز لأحد كائناً من كان أن يفرط أو يتنازل ولو عن جزء صغير منها، فهي ليست ملكاً للفلسطينيين العرب بل هي ملك للمسلمين جميعاً ، فعلى المسلمين في كل مكان أن يساهموا عملياً في تقديم المال والدم للدفاع عنها».

من الحذر إلى التفاؤل

عندما وقعت إسرائيل معاهدة السلام مع مصر كانت تطمح إلى تطبيع العلاقات بين الشعبين المصري والإسرائيلي، ورغم إن تطبيع العلاقات كان أحد أهم البنود التي تضمنتها المعاهدة إلا إن الطرف الإسرائيلي لا زال يرى إن «جزءًا بسيطًا فقط من هذه الاتفاقيات تم تحقيقه وأن السلام مع مصر كان سلام بارد .

فتعاملت إسرائيل منذ اندلاع الثورة مع الأحداث في مصر بحذر وقلق شديدين ، منطلقة من أيديولوجية نظامها، الذي يرى في الجماعات الإسلامية عدوًا يعمل من أجل القضاء عليها، إلا إنها وفي ١ فبراير، قررت إدخال طرف آخر في المعادلة، فلم تعد الالتزام بالاتفاقية حكرًا على طرفين فقط هما مصر وإسرائيل ، وإنما عملت إسرائيل على إشراك المجتمع الدولي في الأمر، حينما طالب نتنياهو المجتمع الدولي بإلزام أي نظام يأتي في مصر بالالتزام بمعاهدة السلام. بعد ست شهور فقط من تنحي حسني مبارك، تغير الخطاب الإسرائيلي تجاه مصر، وخاصة فيما يتعلق بالمعاهدة، مبتعدًا عن الأيديولوجيا، فمن الصمت الحذر والتصريحات الحذرة عن أهمية الحفاظ على معاهدة السلام، ثم استدعاء المجتمع الدولي ليكون شريكًا في الحفاظ على المعاهدة، إلى الحديث صراحة عن عدم وجود حاجة لتغيير المعاهدة، وإبداء الانزعاج من الوضع

الأمني في سيناء، وهو التغير الذي ارتبط بتحول المعادلة إلى معادلة ثلاثية مصرية- إسرائيلية- أمريكية، بعد تدخل الولايات المتحدة بشكل مباشر.

ففي ١٨ أغسطس ٢٠١١، وقعت «هجمات إيلات»، والتي أسفرت عن مقتل ٦ إسرائيليين، والتي اعتبرها نتنياهو في بيان صدر عن مكتبه في ذلك الوقت بأنها «اعتداء على سيادة إسرائيل»، ثم صرح بعدها بعشر أيام، في ٢٨ أغسطس ٢٠١١ بأنه «لا يوجد حاجة لتغيير المعاهدة»، وذلك في ظل الحديث حول ضعف القبضة الأمنية المصرية على سيناء، وفي ٢٩ أغسطس، قال نتنياهو: «إن وضع صحراء سيناء المصرية يشكل تهديدًا مقلقًا للغاية لإسرائيل» ، وأعرب عن أمله في أن « تفهم كل الجهات في مصر أهمية الحفاظ على السلام، وأعتقد أن هذه الرسالة وصلت بوضوح شديد إلى المصريين من قبل الولايات المتحدة».

وبانتهاء الانتخابات البرلمانية، وصل الإخوان المسلمون لأول مرة في تاريخهم إلى السلطة في مصر، بعد أن أصبحوا يمثلون الأغلبية في مجلس الشعب علق نتنياهو، في ٤ ديسمبر ٢٠١١ على تقدم الإسلاميين في الانتخابات، واضعًا المعاهدة نصب عينيه، قائلًا: «نأمل أن تعترف أي حكومة قادمة في مصر بأهمية الحفاظ على معاهدة السلام مع إسرائيل كما هي، وكأساس للأمن الإقليمي والاستقرار الاقتصادي».

كانت ثمة تخوفات من الجانب الإسرائيلي من وصول الإخوان المسلمون للسلطة خشية إلغاء المعاهدة، إلا أنه وبعد وصول الإخوان لسدة الحكم في مصر، لم يطالبوا حتى الآن بشكل رسمي بتعديل الاتفاقية، ويرجع نائب رئيس الوزراء الإسرائيلي، دان مريدور ذلك، إلى هناك «مصلحة مشتركة تتمثل بمعاهدة السلام، وهناك رؤية موضوعية لدى الإخوان المسلمين في مصر تدرك مدى أهمية هذه المعاهدة لخدمة مصالحهم».

تراجع أيدولوجيا الإخوان مقابل المصلحة

مثّل موقف جماعة الإخوان المسلمون بعد الثورة تراجعًا أيديولوجيًا وسياسيًا فيما يتعلق بإسرائيل، فالإخوان الذين يرون في إسرائيل عدوًا دينيًا، ويرون في الإسرائيليين «قتلة أنبياء وأحفاد قردة وخنازير»، واللذين ظلوا طوال تاريخهم يطالبون بطرد السفير الإسرائيلي من القاهرة، وسحب السفير المصري من تل أبيب، وبإلغاء المعاهدة، وبتحرير فلسطين من البحر إلى النهر، أصبحت لهم مواقف أخرى، في مصر ما بعد الثورة.

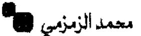
على عكس الخطاب الإسرائيلي، الذي بدا متصاعدًا، حيث بدأ حذرًا للغاية ثم سرعان ما اكتسب ثقة أكبر، خاصة فيما يتعلق بالتزام مصر بالمعاهدة، بدأ الخطاب الإخواني، ذو الأيديولوجية المعادية لـ«الكيان الصهيوني»، متراجعًا بشكل كبير، عما كان عليه قبل الثورة، بل واستمر هذا الخطاب في التراجع.

فقد أصبحت الجماعة تتحدث عن احترام الاتفاقيات والمعاهدات الدولية ، بما فيها معاهدة السلام المصرية- الإسرائيلية، ومنذ أن أعلن الدكتور محمد مرسي ترشحه، احترامه للمعاهدات بما فيها ما تم توقيعه مع إسرائيل ، قائلًا إن اختيار المصريين له يجعله معبرًا عن الدولة المصرية وملتزمًا بالاتفاقيات.

ومنذ انتخاب الرئيس مرسي حتى الآن لم يخرج مسؤول مصري واحد يطالب بتعديل معاهدة السلام المصرية- الإسرائيلية، سوى مستشاره للشؤون العربية،

الدكتور محمد عصمت سيف الدولة، الذي قال قبل أن يستقيل إن تعديل المعاهدة ‹‹مسألة وقت فقط››، وأن التعديل ضروري لاستعادة السيطرة المصرية الكاملة على سيناء، وقال: ‹‹هذا الأمر لا يمكن أن يستمر في ظل النظام المصري الجديد، لاسيما أن الاتفاقية تحفظ الأمن القومي الإسرائيلي، أكثر مما تحافظ على الأمن القومي المصري، بشكل يعتبر انتهاكا صريحا للسيادة المصرية ولا يمكن لهذا أن يستمر››، إلا أن الرئاسة، عبر متحدثها الرسمي، سارعت إلى التأكيد على إنه ‹‹لا يوجد حاجة لتعديل كامب ديفيد›› .

ويبدو إن الحرص المصري على العلاقات مع الولايات المتحدة يعد سببًا رئيسًا في التراجع السريع للإخوان عن مواقفهم قبل وصولهم للحكم، بل وتبرؤهم منها، كما حدث في تصريحات الرئيس مرسي مؤخرًا، فرغبة جماعة الإخوان ونظام الحكم الجديد في مصر، المعلنة، في توطيد العلاقة مع الولايات المتحدة الأمريكية، وهو ما يلزمهما بإرسال رسائل طمأنة لواشنطن، تلعب دور كبير في إعلان الالتزام بالمعاهدة، وعدم التقدم بطلب، بشكل علني على الأقل، حتى الآن، لتعديل الاتفاقية.



واشنطن أخطر على إسرائيل من إيران والإخوان المسلمين

حذّر خبراء في تل ابيب من سياسة واشنطن الاخيرة، مشيرين الى أن تعيين وزير الدفاع الاميركي الجديد تشاك هيغال، ومطالبة السيناتور الجمهوري راند بول بتقليص مساعدات بلاده لاسرائيل، يجعلان الولايات المتحدة اخطر على اسرائيل من ايران وحماس، وكذلك من هيمنة الاخوان على الحكم في مصر. رأت دوائر سياسية في تل ابيب أن الولايات المتحدة اضحت أخطر على اسرائيل من التهديد الايراني أو التيارات الاسلامية، التي افرزتها رياح الربيع العربي في منطقة الشرق الاوسط، وعزت الدوائر الاسرائيلية هذا الانطباع الى قرار الرئيس الأميركي الاخير، الرامي الى تعيين تشاك هيغال وزيراً للدفاع ، خلفاً للوزير السابق ليون بانيتا، فضلاً عن الدعوات التي انطلقت مؤخراً من واشنطن، لتطالب بتقليص مساعدات الولايات المتحدة للحكومة الاسرائيلية. ووفقاً لتقرير نشرته صحيفة هاآرتس العبرية، تعيش اسرائيل حالة من التردي غير المسبوق، وبدت ظروفها الاقتصادية والأمنية أسوأ من أي وقت مضى، فلا تمتلك اسرائيل بحسب الصحيفة العبرية جيشاً يناظر جيوش المنطقة، وإنما قوة شرطية محدودة ربما هي الاصغر في العالم، تتمكن بالكاد من الحفاظ على الأمن أو حتى الهدوء.

أمام تلك المعطيات يقف اللوبي اليهودي في نيويورك حائط صد امام الادارات الاميركية المتعاقبة بحجة الدفاع عن اسرائيل، كما يقدم هذا اللوبي كافة احتياجات تل ابيب، خاصة في حالات الطوارئ والأزمات، ويضاف الى هذا اللوبي ما يُعرف بـ «لجنة الطوارئ من اجل اسرائيل»، إذ تعي هذه اللجنة أن اسرائيل بحاجة دائمة للمساعدات في وقت الطوارئ.

بالاضافة الى ذلك تدعمها طائفة كبيرة من الانجيليين في الولايات المتحدة بنفس طريقة اللوبي اليهودي والتنظيمات الأخرى، الموالية للدولة العبرية في واشنطن، ويبدي الكتاب والصحافيون المحسوبون على تلك الجماعات قلقاً بالغاً من قرار الرئيس الاميركي باراك اوباما، تعيين السيناتور الجمهوري السابق تشاك هيغال وزيراً للدفاع خلفاً للوزير السابق ليون بانيتا.

الرئيس الاميركي لم يكترث بقلق اسرائيل والتنظيمات التابعة لها من تعيين هيغال وزيراً للدفاع، خاصة أنه يعلم مسبقاً مواقف وزيره الجديد من قضايا ذات صلة باسرائيل، يأتي في طليعتها اعتراضه على تفعيل الخيار العسكري الاميركي ضد ايران، ودعوته الرئيس الاسبق جورج بوش الى الوقف الفوري لإطلاق النار بين لبنان وإسرائيل عام ٢٠٠٦، معتبراً ان هجوم اسرائيل على اللبنانيين يعد عنفاً ممنهجاً.

وترى اسرائيل بحسب عدد ليس بالقليل من دوائرها السياسية والأمنية، أن البرنامج النووي الايراني، حماس، وسيطرة جماعة الإخوان المسلمين على اكبر دولة في المنطقة، ستكون اقل خطراً على اسرائيل من تعيين هيغال وزيراً للدفاع الاميركي، فبعد أن كانت الولايات المتحدة مسؤولة عن تحييد الانظمة والتنظيمات المعادية للدولة العبرية، اضحت تعتمد في مؤسستها العسكرية على جنرال معادٍ لاسرائيل، وحليف ضمني لعدد ليس بالقليل من الجبهات المناوئة لتل ابيب في منطقة الشرق الاوسط.

اذا كان ذلك هو الحال بالنسبة لباراك اوباما وحزبه الديمقراطي، فالحزب الجمهوري لا يختلف كثيراً في تحوله السياسي من اسرائيل، ولعل ذلك كان

واضحاً بحسب موقع «نعناع» العبري، حينما طالب السيناتور الجمهوري الاميركي «راند بول» خلال زيارته الاخيرة لإسرائيل بتقليص مساعدات بلاده لتل ابيب.

وكان بول قال في سياق مؤتمر صحافي عقده في القدس: «ينبغي تقليص المساعدات الاميركية لاسرائيل، فلم يعد باستطاعة الولايات المتحدة تحمل اعباء مساعداتها الخارجية بما في ذلك اسرائيل، خاصة في ظل الازمة الاقتصادية التي تعانيها مرافقها، كما أن بلادنا لم تعد تمتلك اموالاً لدعم علاقتها باسرائيل».

ورغم تأكيد بول أنه لا يمثل بتصريحاته سوى دائرة ضيقة للغاية في مجلس النواب، وأن الكونغرس لن يسمح بتمرير قرار كالذي يدعو اليه، خاصة حيال اسرائيل، إلا أن المحلل السياسي «تسيبي بارئيل» اكد أن التحول السياسي الاميركي حيال تل ابيب غير مسبوق، فلم يتمكن أي سياسي اميركي من اعلان مجرد تحفظه على دعم اسرائيل باستثناء شخصيات قليلة.

وعلى اية حال اوضح بارئيل في مقال بصحيفة هاآرتس، أنه حتى اذا كان هيغال معادياً لاسرائيل، رغم أنه نفى ذلك في اول مؤتمر صحافي بعد توليه حقيبة الدفاع، إلا أن استراتيجية الولايات المتحدة ستظل موالية لإسرائيل، ولن تتردد في الحفاظ على أمنها، او الدفاع عن نفسها.

تطبيع بين إسرائيل والإخوان

على خلفية الرضا الأمريكي عن جماعة الإخوان المسلمين نشر موقع «إفشر لاحشوف» الإسرائيلي مقالا للخبير الاستراتيجي نمرود هورفيتش تحت عنوان (واشنطن والإخوان المسلمين وإسرائيل) جاء فيه :أن الأشهر الماضية شهدت تقارب بين واشنطن والإخوان المسلمين خاصة بعد إعلان وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون صراحة أن الإدارة الأمريكية تمسكت بالأسلوب الذي اتخذته في الخمس أو الست سنوات الماضية .

وتستمر في لقاء ممثلون عن الإخوان المسلمين ولكن من الواضح للجميع أنها أصبحت عالية المستوى نظرا للإعلان عن استمرار تلك اللقاءات ولكن الآن علنا وعلى الملئ .

وأشار هورفيتش إلى أن الولايات المتحدة تعتبر الإخوان المسلمين عنصر فعال وقوى في السياسة المصرية ولذلك ترى أنه في ضوء المصالح الأمريكية في مصر أنه لا مفر من إقامة علاقات مع الجماعات الإسلامية .

واستطرد هورفيتش في سرد المبررات الأمريكية في رضائها عن الإخوان المسلمين قائلا :» إن الإدارة الأمريكية ترى أن الظروف السياسية في مصر قد تغيرت ولذا يتوجب عليها إقامة علاقات من الأحزاب الإسلامية بسلام والتعامل بدون عنف .

وعن إمكانية إقامة علاقات بين إسرائيل والإخوان المسلمين أوضح هورفيتش أنه بالرغم من المعارضة المبدئية لجماعة الإخوان المسلمين وما تشكله من خطر على وجود دولة إسرائيل إلا أن هذا الموقف ليس شائعا بالضرورة بين كل أعضاء الجماعة حيث يوجد بين أوساطها تيارات وأشخاص معتدلين .

وتابع هورفيتش موضحا أن العناصر البرجماتية في مصر تتأمل جيدا سياسة إسرائيل وترد عليها وبالتالي في حال تولي الإخوان سدة الحكم بإمكانهم إقناع المصريين بأنه يجب القبول بكيان دولة إسرائيل ، وذلك يتعلق بقدر كبير بتنفيذ الخطوات المطلوبة لإقامة دولة فلسطينية .

وختم الكاتب تحليله بالقول إن العلاقات بين إسرائيل ومصر والإخوان ليست قدرية وإنما تتأثر بالسياسة الإسرائيلية طالما أن إسرائيل ستبدأ في رؤية مسيرة السلام كذخرا استراتيجيا في مقدمة أولوياتها وإظهار استعدادها الحقيقي لانهاء الصراع العربي الإسرائيلي بالتالي ستنجح في إقامة علاقات مع الحركات الإسلامية بما فيها جماعة الإخوان المسلمين التي تولت مقاليد الأمور في مصر

إسرائيل تشارك في البرنامج النووي الإيراني !!

رغم الحملة الإعلامية الشرسة التي يشنها «بنيامين نتنياهو وحكومته في تلك الآونة ضد إيران إلا أن الإسرائيليين لا يولون لهذه الضجة أي اهتمام بل والمفاجأة التي تدعو للدهشة أنهم يشاركون بأنفسهم في تمويل بناء المنشئات النووية الإيرانية وفي هذا الخصوص كتب المحلل الاستراتيجي «يجئال ليبتر» بالمركز الأورشاليمي للدراسات السياسية والاستراتيجية يقول :» رغم الجهود الحثيثة التي يبذلها نتنياهو وحكومته المتطرفة في محاولة حشد تأييد العالم لتوجية ضربة عسكرية لإيران بحجة المحافظة على أمن إسرائيل ، إلا أن الإسرائيليين أنفسهم لا يعتبرون إيران من الأساس خطر يهدد وجودهم».

وكشف « يجئال « عن مشاركة الإسرائيليين بأموالهم في تمويل النووي الإيراني من خلال الاستثمار في كبرى الشركات الاستثمارية أمثال شركة سيمنز التي تعتبر أحد العناصر الفعالة على مستوى العالم في مجال الإلكترونيات والكهرباء ، وشركة الكاتيل ALCATEL الفرنسية المتخصصة في الأجهزة المحمولة ، التي بدورها تساعد إيران على تطوير برنامجها النووي.

إسرائيليون من أجل إيران تحت هذا العنوان « إسرائيليون من أجل إيران « أوضح « يوسي ميلمان «كبير المعلقين الاستراتيجيين بصحيفة « هاآرتس « أن الإسرائيليون الذين يستثمرون أموالهم في شركة سيمنز وغيرها من الشركات

التي تتعامل مع نظام آية الله الإيراني تدعم حكم الرئيس الإيراني محمود احمدي نجاد عن طريق ببيع معدات تنصت متطورة ، تستخدمها المخابرات والأمن الإيرانية لملاحقة ومتابعة مكالمات هاتفية لمعارضي النظام.

وأضاف «ميلمان «إن الشركات التي تقيم علاقات تجارية وثيقة مع إيران تتمتع أيضا بمبيعات كبرى في السوق الإسرائيلية.

وتابع المعلق الإستراتيجي بالقول إن الازدواجية والمزايدة من جانب إسرائيل بارزتان على نحو خاص حاليا في ضوء إعلان حكومة بنيامين نتنياهو بان إيران النووية هي تهديد وجودي على إسرائيل ويجب صدها بأي ثمن ، خاصة بعد أن كشفت ايران للوكالة الدولية للطاقة الذرية أن لديها محطة ثانية لتخصيب اليورانيوم تحت الإنشاء .

وفي محاولة فاشلة لمنع الإسرائيليين من المساهمة في تمويل البرنامج الإيراني ، أشارت « هاآرتس « إلى أن حكومة نتنياهو قامت في إبرايل ٢٠٠٨ بسن قانون يحظر الاستثمار في اتحادات تُقيم علاقات تجارية مع ايران ولكن لم تتخذ إسرائيل حتى الآن أي خطوة لتطبيق القانون.

وبدوره عقب ديوان رئيس الحكومة على ما نشرته الصحيفة في هذا الصدد بالقول : «نحن نتوقع من الاتحادات ومن الشركات أن تكون مطلعة على نص القانون وتنفذه».

وأوضحت الصحيفة أنه حتى في هذا البيان لا يوجد أي تلميح عن نية ديوان رئيس الوزراء عمل شيء لفرض القانون، على الإطلاق، وان كان مصدر في الديوان وعد بان يبدأ مجلس الأمن القومي وسلطة تبييض الأموال بإعطاء الرأي في الموضوع.

وجدير بالذكر أن قانون حظر الاستثمار ينذر بعقوبة بالسجن لمدة عامل لكل من يتعامل أو يساهم في بناء المنشئات الإيرانية النووية من قريب أو من بعيد .

مساعدات عسكرية اسرائيلية لإيران

واللافت للنظر أن الإسرائيليون لم يكتفوا بتمويل البرنامج الإيراني بل أيضا في تزويد مواقع إيران النووية بأنظمة حماية رادارية ، وفي هذا الصدد كشفت صحيفة «معاريف» النقاب عما قدمته إسرائيل من مساعدات عسكرية لإيران في بناء منشآتها النووية ، حيث نقلت عن شهادة قدمها «موطي بلوخ» أحد الخبراء الإسرائيليين الذين أشرفوا على بناء المفاعلات النووية الإيرانية وتابعوا نشاطها منذ نحو ثلاثة عقود قوله :» لم يخطر على بالى آنذاك أن مفاعل «بوشهر « سيكون من أخطر المفاعلات النووية التي تهدد أمن العالم».

وأضاف بلوخ قائلا: « أن الأنباء التي تتحدث عن تحويل المنشآت التي قام ببنائها لا تذهله, لأنه شعر في حينه أن الجانب الإيراني يعد تلك القواعد والمنشآت لنشاط من نوع آخر»!!

العلاقة بالشيعة بدأها البنا ويستكملها مرسي

قديما وقف حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين أمام الجميع ليقول: «لا فرق بين السنة والشيعة، فديننا واحد، وإلهنا واحد، ورسولنا واحد، وقبلتنا واحدة، وسنتنا واحدة » ومنذ سنوات قليلة وقف مرشد الإخوان الأسبق مهدى عاكف ليصرخ مفاجئا الجميع: «جماعة الإخوان على استعداد لإرسال ١٠ آلاف مجاهد للحرب بجوار حزب الله !!

من بين تفاصيل تلك السنوات الطويلة يمكنك أن تستخلص ما يعينك على فهم طبيعة العلاقة بين الإخوان المسلمين الجماعة الدينية السنية وبين الشيعة وإيران .

من كل هذا الاحتفاء الإخوانى الذى طغى على سنوات مبارك بحركات المقاومة الشيعية مثل حزب الله، والدعم الإيرانى لحركة حماس يمكنك أن تفهم وأن تدرك أن ما يبدو على الساحة الآن من تقارب بين الإخوان وطهران، أو بين مصر تحت حكم الإخوان وإيران التى ظل الاتصال بها من المحرمات المصرية ليس مجرد صدفة أو أمرا وليد لحظة سياسية راهنة، بل هو نتاج لقناعات فكرية واتصالات سياسية عمرها يساوى عمر جماعة الإخوان المسلمين نفسها. فقد انعكست آراء مؤسس الإخوان حسن البنا فى الشيعة على موقف جماعته التى أسسها، وعلى عكس باقى التيارات الدينية السنية والسلفية

على وجه الخصوص ترك البنا الباب مواربا، وكان من دعاة التقريب بين السنة والشيعة، وهو ما تجلى فى أوج صوره فى تأييد جماعة الإخوان للثورة الإسلامية فى إيران ضد الشاه رضا بهلوى وتصوير زعيمها آية الله الخومينى كولى من أولياء هذا الزمان.

من هنا بدأ الفراق والخلاف التاريخى بين الإخوان والسلفيين، وبالأخص الدعوة السلفية، فما بين تأييد تام للثورة وتحذير تام منها، بل رفض لها جاء منحنى العلاقة من الثورة الإيرانية ما بين طرفى الإسلام السياسى، فالجماعة تبشر بالثورة الإسلامية والدعوة تحذر منها وتنظر لها كبدعة من بدع هذا الزمان، فالموقف العقدى ينعكس على الآراء فالجماعة ترى الشيعة مذهبا خامسا من مذاهب الإسلام، وأن «الفرق بين الشيعى والسنى كالفرق بين المالكى والحنبلى»، أما الدعوة فهى ترى الشيعة دينا آخر غير دين الإسلام، ومازالت ترى ذلك حتى الآن حسبما يصرح قياداتها، وعلى رأسهم قيادات حزب النور الذراع السياسية للدعوة السلفية، وياسر برهامى نائب رئيس الدعوة.

وكمن الخلاف وبطن ، لكنه عاد مرة أخرى مع حرب يوليو ٢٠٠٨ على لبنان، فما بين التأييد التام لحزب الله فى حربه ضد إسرائيل و«نصر الله يا حبيب دمر دمر تل أبيب» والهتاف باسم أمينه العام السيد حسن نصر الله، وبين تحذير من «حصان طروادة» افتتن به المسلمون فى إشارة لحزب الله كما وصفه الشيخ محمد إسماعيل المقدم فى خطبة شهيرة له أثناء الحرب، وربما زاد من موقفه أن قال إنه لا فرق بين الشيعة وإسرائيل، فالاثنان خطر على الإسلام. ربما ما لم تشهده أجيال من خلاف حول الشيعة قدر لها أن تشاهده اليوم، فعقب توقيع وزير السياحة المصرى هشام زعزوع لاتفاقية السياحة بين مصر وإيران ثارت الأزمات، وتكرر ما حدث فى سبعينيات القرن المنصرم، فالسلفيون يطوفون البلاد تحذيرا من المد الشيعى الآتى على طائرة السياح الشيعة الإيرانيين، الأمر الذى اعتبره الإخوان مبالغات لا مبرر لها، هذا الموقف

الذى أكده الرئيس محمد مرسى خلال لقائه بعلماء من الهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح، حيث قال إن مصر سنية، وإنه لن يسمح بمد شيعى فى البلاد.

يعد حسن البنا، مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، أول من وضع حجر الأساس لـ«تقارب إخوانى - شيعى» فى عام ١٩٤٧ سعيا منه فى التقريب بين المسلمين من السنة والشيعة، فـ«الإمام» بحسب ما يصفه أبناء جماعة الإخوان المسلمين، أسس لهذه العلاقة التى باتت وجهها الحقيقى يظهر للجميع حاليا بعد سنوات من رحيله عبر مقولته الشهيرة التى قالها حين زار وفد إيرانى شيعى مقر المركز العام لجماعة الإخوان المسلمين وضم الفقيه الشيعى «محمد تقى القمى»، قال: «اعلموا أن أهل السنّة والشيعة مسلمون تجمعهم كلمة لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه، وهذا أصل العقيدة، والسنّة والشيعة فيه سواء وعلى التقاء، أما الخلاف بينهما فهو فى أمور من الممكن التقريب فيها بينهما .

تفسر هذه الكلمات التى يذكر فيها «البنا» أن الخلاف بين السنة والشيعة أمر يسير، ويسهل التقريب بينهم حقيقة العلاقة التى أسسها فى الأربعينيات حين كان عضواً مع عدد من شيوخ الأزهر الشريف، فيما عرف فى تلك الأثناء بـ«دار التقريب بين المذاهب» التى شارك فيها شيوخا من الأزهر، وحسن البنا والفقيه الشيعى «محمد تقى القمى»، ويكفى قول حسن البنا لأعضاء الإخوان حين سألوه عن الفرق بين الشيعة والسنة عند زيارة أحد أئمة الشيعة إلى المركز العام أن «ديننا واحد وإلهنا واحد ورسولنا واحد وقبلتنا واحدة وسنتنا واحدة!».

فالتعاون قديم بين جماعة الإخوان المسلمين وإيران «الشيعية»، وضع أساسه حسن البنا» حين شارك فى «دار التقريب بين المذاهب الدينية» فى ١٩٤٧ وضمت شيوخا من الأزهر الشريف، ومحمد تقى القمى، وهذه الدار ما زالت موجودة حتى الآن، وضمت الإخوان المسلمين والشيعة وشيوخ من الأزهر الشريف.

فن دار التقريب التى شارك فيها حسن البنا تم الإقبال عليها نتيجة الجهل بعقيدة الشيعة، والجهل بالأمور الكفرية فى عقائد الشيعة، وعلى رأسها سب الصحابة والتطاول على زوجة الرسول السيدة «عائشة»، مؤكداً أن مؤسس جماعة الإخوان المسلمين انخدع فى الشيعة وزعم أنه لا خلاف بين السنة والشيعة، وبمساعدته استطاع «القمى» أن يميل علماء الأزهر إلى هذه الدار، مضيفاً: الإخوان لا يفرقون بين السنة والشيعة، لأنهم يظنون أن الخلاف بين السنة والشيعة «فقهى»، وهو خلاف «عقدى» فى المقام الأول.

فالدكتور يوسف القرضاوى عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف كان أحد الرموز الإخوانية التى سعت للتقريب بين السنة والشيعة، ولكنه تراجع عن سعيه للتقريب، بعد سعى إيران لنشر المذهب الشيعى فى الكثير من بلدان السنة، وهدد «القرضاوى» بالانسحاب من جهود «التقريب بين المذاهب» إذا استمر الطرف الشيعى فى ممارساته، ولم يتراجع عنها، لافتا إلى تصريحات قيادات جماعة الإخوان المسلمين، وعلى رأسهم مهدى عاكف، حول التقارب مع إيران والشيعة وتصريحات كمال الهلباوى المتحدث السابق باسم الإخوان فى الخارج.

فيما يؤكد عمر غازى، الباحث بمركز الدين والسياسة للدراسات، أن جماعة الإخوان المسلمين منذ تأسيسها على يد حسن البنا لا تحمل موقفا متحفظا تجاه الشيعة الإثنى عشرية ولا غيرها من الطوائف الإسلامية مثلما هو الحال عند نظرائهم فى التيار السلفى، ويعود ذلك لحرص البنا على تقديم جماعته كحركة شمولية موجهة لعامة المسلمين دون تمييز طائفى، فهو يرى أن دعوة الإخوان المسلمين دعوة عامة لا تنتسب إلى طائفة خاصة، ولا تنحاز إلى رأى عرف عند الناس بلون خاص ومستلزمات وتوابع خاصة، وهى تتوجه إلى صميم الدين ولبه، وتود أن تتوحد وجهة الأنظار والهمم حتى يكون العمل أجدى والإنتاج أعظم وأكبر.

وأوضح «غازى» أن حسن البنا كتب مقالا فى أواسط الثلاثينيات فى مجلة

الإخوان يوضح فيه فكرته رسم فيها مربعا كبيرا كتب على حوافه الأربعة من الداخل «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، ورسم فى هذا المربع مربعا صغيرا، وكتب يقول إن إخواننا الذين ينتقدوننا يحصرون دعوتهم فى حدود المربع الصغير الذى يقع فى مركز الدائرة، وهم بذلك يقصرونها على الدين اكتمل فيهم، كل ما يرون أنه العقيدة الصحيحة وهذا عدد ضئيل، أما نحن فنتوجه بالدعوة إلى كل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله مهما كان مقصرا فيما سوى ذلك من تعاليم الإسلام وأفكاره، وكل ما نطالبه به أن يرتبط معنا برباط الأخوة الإسلامية للعمل على استعادة مجد الإسلام.

وأشار الباحث بمركز الدين والسياسة للدراسات إلى أنه فى المؤتمر الذى عقد بدار المركز العام بمناسبة مرور عشرين عاما على قيام تشكيل جماعة الإخوان، تعهد حسن البنا بمسالمة جميع الطوائف والملل، مؤكدا أن جماعة الإخوان ليست حركة طائفية موجهة ضد عقيدة من العقائد أو دين من الأديان أو طائفة من الطوائف، موضحا أن دعوة البنا للتقريب بين الطوائف منذ عهد الشيخ حسن البنا من الأمور التى ميزت جماعة الإخوان المسلمين عن غيرها من الحركات الإسلامية، ولذا كان من الطبيعى جدا أن يكون الإخوان فى طليعة من استقبلوا الثورة الإيرانية بترحاب كبير ارتقى فى بعض المواقف إلى مرتبة تصدير الثورة الإيرانية والترويج لها وتسويقها، بل التبشير بها.

وأكد الباحث بمركز الدين والسياسة للدراسات أن جماعة الإخوان تحرص على عدم التعاطى مع الخلافات المذهبية وجعل القضية الفلسطينية وتحرير القدس محورا للالتقاء وتسليط الضوء على العدو المشترك وهو إسرائيل، مضيفا: على درب البنا سارت الجماعة ومرشدوها المتعاقبون فكانت الدعوة للتقارب حاضرة على الدوام، وسارع الإخوان إلى إرسال وفد إلى طهران عقب وصول الخمينى عام ١٩٧٩م يمثل قيادة التنظيم العالمى للإخوان المسلمين، وترددت أقاويل وقتها بأن الوفد الإخوانى طرح على الخمينى مبايعته خليفة للمسلمين إن قبل ببيان يصدره يقول «بأن الخلاف على الإمامة فى زمن

الصحابة مسألة سياسية وليست إيمانية»، ولكن الخمينى وعدهم بالإجابة، ولكن دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية أغلق الطريق عندما نص على أن المذهب الجعفرى هو المذهب الرسمى الوحيد وأن الولى الفقيه نائبا عن الإمام الغائب، ورغم ذلك لم يتوان الإخوان فى مصر بخلاف الفرع السورى عن التعاطف مع نظام ولاية الفقيه فى إيران، فقاموا بحشد المظاهرات ضد استضافة الرئيس الراحل أنور السادات لشاه إيران، وانحازوا إلى إيران فى حربها ضد العراق، وفى إحدى حواراته الصحفية عام ١٩٨٤ قال المرشد العام للجماعة عمر التلمسانى:

«لا أعرف أحداً من الإخوان المسلمين فى العالم يهاجم إيران». وأضاف غازى: فى عام ١٩٨٩م نعى المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين حامد أبوالنصر الخمينى بقوله: الإخوان المسلمون يحتسبون عند الله فقيد الإسلام الإمام الخمينى، القائد الذى فجر الثورة الإسلامية ضد الطغاة، وفى المقابل قامت إيران فى عهد المرشد على الخامنئى بتدريس نظريات سيد قطب فى مدارس الإعداد العقائدى لـ«الحرس الثورى الايرانى»، بل إن خامنئى قام بنفسه بترجمة كتابين لـ«سيد قطب» إلى اللغة الفارسية عام ١٩٧٩ فى الوقت الذى كانت فيه الثورة توشك أن تضع أوزارها.

فيما أكد الشيخ ناصر رضوان، مؤسس ائتلاف» أحفاد الصحابة وآل البيت»، عضو لجنة الدعوة السلفية للتصدى للمد الشيعى، إن من أوجه الاتفاق بين فرقتى الشيعة والإخوان أنهما يفتقران إلى العلم الشرعى والجهل الذى يصل بأن تضل الشيعة وتكفر الصحابة وأمهات المؤمنين، رضى الله عنهم، ثم رغم ذلك ولجهل الثانية تعاهدها ولا ترى غضاضة من معاهدتها.

وأضاف «رضوان» أن الشيعة عندهم مرشد والإخوان لديهم مرشد، وكلا الفرقتين تطيع مرشدها طاعة عمياء، له بيعة وسمع وطاعة، قائلاً: «الشيعة والإخوان كل منهما لديه أحلام توسعية بالسيطرة على العالم لصالح فرقتها وليس لصالح الإسلام، تؤصل فى أدبيات كلا الفرقتين، والشيعة والإخوان

لديهما من نصوص وكتب مفكريهم ما تستغنى به الشيعة عن القرآن والسنة فتتهم الشيعة القرآن الكريم بالتحريف وبتكفير حاملى السنة من الصحابة والتابعين، ويصل بالإخوان أن تستبدل بالقرآن والسنة آراء مفكرى وعلماء الإخوان بحجة التأويل وعبارة أن القرآن حمال ذو أوجه فلا يقبلون إلا بتفسير علمائهم».

وتكشف تصريحات قيادات جماعة الإخوان المسلمين وحزب الحرية والعدالة قوة العلاقة بين الإخوان ودولة إيران الشيعية، فبدءا من حسن البنا، مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، حتى الدكتور محمد بديع، المرشد العام الحالى، تظهر قوة هذه العلاقة ومساندة الإخوان مواقف الشيعة

- مهدى عاكف.. المرشد السابق للإخوان :

مبدأ الإخوان المسلمين يقول كلنا مسلمون وكلنا لنا رب واحد ورسول واحد، ولنا قبلة واحدة، هذه المذاهب من سنة وشيعة نسيج واحد من الأمة، والذين يثيرون الخلافات بين السنة والشيعة لا يعرفون منهج الإخوان فى التقريب بين المذاهب، فالشيعة والسنة أمة واحدة، قبلتها ودينها وصلاتها وحجها لمكان واحد، والمذاهب السنية والشيعية كلها مذاهب تؤدى إلى الجنة»، و«وثقافة الإسلام الصحيحة تربي المسلم على الفهم الصحيح لدينه، فلا يفرق بين مسلم وآخر يؤمن بأنه لا إله إلا الله محمد رسول الله، السنة والشيعة عاشوا أكثر من ألف سنة، ولم يكن بينهم خلاف، وأن هناك بعض المجالات قد ظهرت منذ عدة عقود للتقريب بين المذهبين، تحرك بها علماء الأزهر الكبار، ومعهم الإمام الشهيد حسن البنا».

- محمد بديع.. المرشد العام للإخوان :

«الأزهر أنشئ من أجل نشر المذهب الشيعي، وأقول: لا خوف عندنا بالمرة من المذاهب السنية أو الشيعية، فكلها مذاهب إسلامية مقدرة ومحترمة، وما يخالف منها قواعد وضوابط الإسلام، فعلماء الإسلام قادرون على أن يوقفوه عند حده».

- صبحى صالح.. عضو مجلس الشورى بأن :

الشيعة مذهب إسلامى، وسب الصحابة ليس من العقيدة، لأن الصحابة تاريخ وليس من العقائد.

- عصام العريان، نائب رئيس حزب الحرية والعدالة :

خدعوك فقالوا إن إيران تنشر المذهب الشيعى الجعفرى الاثنى عشرى بين أهل السنة، وكذبوا، فإيران كأى دولة فى العالم توظف قوتها الناعمة، وتحاول أن ترعى الشيعة فقط فى العالم، وفشلت كل أموال المراجع التى يجمعونها من الأخماس أن تغير مذهب أهل السنة فى أى بلد فضلا على أن تغير عقيدة غير المسلمين، والأرقام شاهدة على ذلك بعد ٣٣ سنة ثورة، ولم تنجح فى تصدير شىء، لا ثورة ولا منتجات، نجحت فقط فى الاكتفاء الذاتى ومقاومة الحصار الاقتصادى، ووظفت ما تبقى من أموالها لمشروعها النووى.

- محمد مرسى وقت ترشحه لرئاسة الجمهورية

الشيعة أخطر على الإسلام من اليهود.

عبدالخالق الشريف، مسؤول نشر الدعوة بجماعة الإخوان

«يجب النظر إلى الشيعة من زاويتين، الأولى هى الأحكام الشرعية، وهم ليسوا فيها سواء، فمن الشيعة من هم قريبون جداً من أهل السنة كالزيدية، ومنهم من تؤدى أفكارهم إلى الفسق فقط، ومنها ما تؤدى إلى الكفر والضلال -والعياذ بالله- ونحن نرى أن الحكم الشرعى لعقائدهم لا يمنع التعامل السياسى، ونحن نرى سعى بعض العلماء للانفتاح على الشيعة، ففى القرون الماضية كانت بلادهم مغلقة، والحالة الاقتصادية سيئة، ولا توجد معرفة، وقد يؤدى ذلك إلى هدايتهم وتصحيح المفاهيم، لكن لا يجب أن نحول الأمر بيننا وبينهم إلى حرب».

الجزر الإماراتية المحتلة

لا يمكن ان تلغي الضرورات المرحلية الحقوق والوقائع التاريخية فمن هنا طرحت قضية الجزر الإماراتية المحتلة ، لأنها حق تاريخي ثابت مدعوم بالادلة والبراهين والتحرك الذي قامت به الدولة بدءا من الجولة التي قام بها الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الدولة، وصولا الى الكلمة التي القاها وزير الخارجية راشد عبدالله في الامم المتحدة كانت ومازال تؤكد حرص الدولة على حل القضية بالوسائل السلمية حفاظا على علاقات الجيرة التي تربط الدولة بالجمهورية الاسلامية في ايران، وإذا كانت سياسة الشاه المخلوع مسؤولة عن هذا الارباك الحاصل منذ عشرين عاما فهذا لا يعني ان يستمر هذا الارباك بعد زوال نظام الشاه وهذا ما كانت تتوقعه دولة الامارات العربية المتحدة من جارتها الاقرب الجمهورية الاسلامية في ايران وعلى هذا الاساس قامت الدولة بتقديم مذكرة حول الجزر المحتلة في العام ١٩٨٠ الى الامم المتحدة الا انها رأت في ذلك الوقت ضرورة التريث في اثارة هذا الموضوع نتيجة للظروف الاستثنائية التي كانت تشهدها المنطقة، هذا الانتظار جوبه بممارسات مرفوضة جملة وتفصيلا قامت بها السلطات الايرانية في جزيرة ابو موسى تبعها تصعيد مستمر ادى في النهاية لسيطرة ايران على كامل الجزيرة وهذا ما يتناقض مع مذكرة التفاهم الموقعة في العام ١٩٧١ بين الدولة وايران.

الوضع القانوني

فاحتلال الجزر الثلاث في نوفمبر ١٩٧١ هو بالاساس امر مرفوض ولا يتناسب مع حقائق الجغرافيا والتاريخ ومذكرة التفاهم الموقعة في العام ١٩٧١ هي ايضا معاهدة غير قانونية استنادا للتعريفات القانونية الدولية التي اجمع عليها عدد من فقهاء القانون الدولي وبهذا الصدد يقول العالم الحقوقي بودان »ان المعاهدات غير المتكافئة هي التي يملي الطرف الاعلى فيها الشروط على الطرف الاقل«، وبالنظر الى الظروف السياسية التي كانت سائدة لحظة توقيع هذه المذكرة يكتشف المراقب عدم التكافؤ المقصود هذا لاسيما ان البند الاول من المذكرة يعترف بأن القوات الايرانية التي ستصل الى جزيرة ابو موسى هي قوات احتلال والاعتراف الايراني آنذاك بأن القوات الايرانية قوات احتلال اسقط عن الاتفاقية كافة الصفات القانونية وجعلها غير متكافئة مفروضة من الجهة الاقوى عسكريا على الجهة الاضعف.

إذ ان هوتفيل يقول بأن »المعاهدات غير المتكافئة هي تلك المفروضة من احد الاطراف المتعاقدة على الآخر ـ ويتفق معه العالم الحقوقي ستون ايضا إذ انه يقول »ان المعاهدات غير المتكافئة مرتبطة بالمعاهدات المفروضة بالإكراه او لا تتم بناء على عدم مبدأ المساواة او لا تتلاءم مع الارادة الحقيقية للدولة فإنها تكون باطلة طبقا للقانون الدولي« فإيران في العام ١٩٧١ كانت تشكل

قوة عسكرية ذات وزن في المنطقة ومدعومة من احدى القوى العظمى آنذاك »امريكا«، وقيامها »باحتلال الجزر الثلاث، واعترافها بالمعاهدة التي وقعتها مع الشارقة حول جزيرة ابو موسى بأنها لن تتنازل عن مطالبتها بالجزيرة بالإضافة الى عدم تنازل الشارقة بالمطالبة بحقها ايضا ولعدم توازن القوى بين الاطراف الموقعة على المعاهدة جعل منها معاهدة فاسدة حسب تعريف فاوست إذ انها اعترفت بأحقية الطرف الاضعف بالمطالبة ببطلانها، وهذا فعلا ما تضمنته المعاهدة بطريقة غير مباشرة.

الحقيقة التاريخية

تجمع كافة المصادر والمراجع التاريخية والجغرافية على تبعية هذه الجزر لدولة الامارات العربية المتحدة، بل انها تذهب بعيدا من ذلك عندما تتحدث هذه المراجع عن عروبة بعض الجزر الاخرى مثل جزيرة قشم المعروفة بالمراجع التاريخية باسم جزيرة جسم، إذ يقول كتاب »ايضاح المعالم في تاريخ القواسم«، بأن »القواسم كانوا يسيطرون على جزيرة قشم بالإضافة الى وجود بعض المستعمرات العربية على الساحل الايراني في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر«، ويضيف الكتاب انه في العام ١٧٤٠ تجددت ثورة البحارة العرب على القائد الفارسي، وحملوا سفنهم الى المشيخات العربية في قشم ورأس الخيمة. وفي العام ١٧٤٧ كانت بندر عباس تحت سيطرة الضابط العربي ملا علي، وكان كل من الضباط العرب ناصر حاكما لبوشهر، عبدالشيخ رئيسا لقشم، وهم من شيوخ قبيلة بني معن، وهذه الحقائق تنفي بالواقع اية مطالبة ايرانية ان في العصور القديمة او الحديثة بأي من الجزر العربية المحتلة حاليا من ايران وهذا ما كانت تدلل عليه المحاولات الايرانية المتعاقبة في حقب زمنية مختلفة لاحتلال الجزر، إذ ان المحاولة التي جرت في العام ١٩٠٤ بين شهري مارس/آذار وابريل/نيسان لم تستطع ان تثبت وجودها على هذه الجزر آنذاك حيث انها عادت بعد فترة بسيطة وانسحبت القوات

الايرانية من على هذه الجزر، ففي هذا العام قامت هيئة العوائد الايرانية على السفينة الايرانية المسماة مظفري وعلى ظهرها مستر دامبرين المسؤول الاوروبي عن العوائد في بوشهر، بزيارة جزيرتي طنب وابو موسى، فأنزلوا علم الشارقة ووضعوا على كل جزيرة رجلا كمسؤول عن العوائد الايرانية ، وكان ذلك بناء على اوامر مشير الدولة الايرانية (وزير الخارجية) وقامت على الاثر بريطانيا وارسلت مندوبها الى طهران، وبقي فيها حتى صدر الامر بإنزال العلمين معا وانسحب من المكان المندوبان الايرانيان وبعد ذلك بأيام اعيد رفع علم الشارقة ورأس الخيمة على الجزيرتين ، هذه المحاولات التي تكررت في العام ١٩٧١ لا يمكن ان تشكل سابقة تاريخية تعطي الحق لإيران احتلال الجزر، بل هي تشكل مسوغا قانونيا وتاريخيا للامارات بالمطالبة بعودة الجزر اليها ، لاسيما ان الوجود السكاني العربي موجود في تلك المنطقة منذ اقدم العصور ولايزال لغاية اليوم.

التحرك السياسي

هذه المسائل مجتمعة شكلت الحافز الاساسي لدولة الامارات في تكثيف تحركها السياسي والدبلوماسي على كافة الصعد وعلى كافة المستويات ولهذه الاسباب الواضحة كان لابد من ان تتضامن كافة الدوائر الاقليمية والعربية والدولية مع موقف دولة الامارات العربية المتحدة، فالجولة التي قام بها رئيس الدولة على كل من الرباط والقاهرة ودمشق وجدة ، كانت تهدف بالدرجة الاولى الى توضيح الحقائق التاريخية والقانونية في الحق الاماراتي بالجزر، ونتيجة ذلك جاء قبول الجمهورية الاسلامية في ايران بالمفاوضات مع الدولة، إلا ان ارسال طهران وفدها الى ابوظبي جاء نتيجة التأييد الخليجي والعربي والدولي للامارات ، وهو بالحقيقة كان لتجنب طرح القضية امام المحافل الدولية وهذا ما لا ترغب فيه ايران.

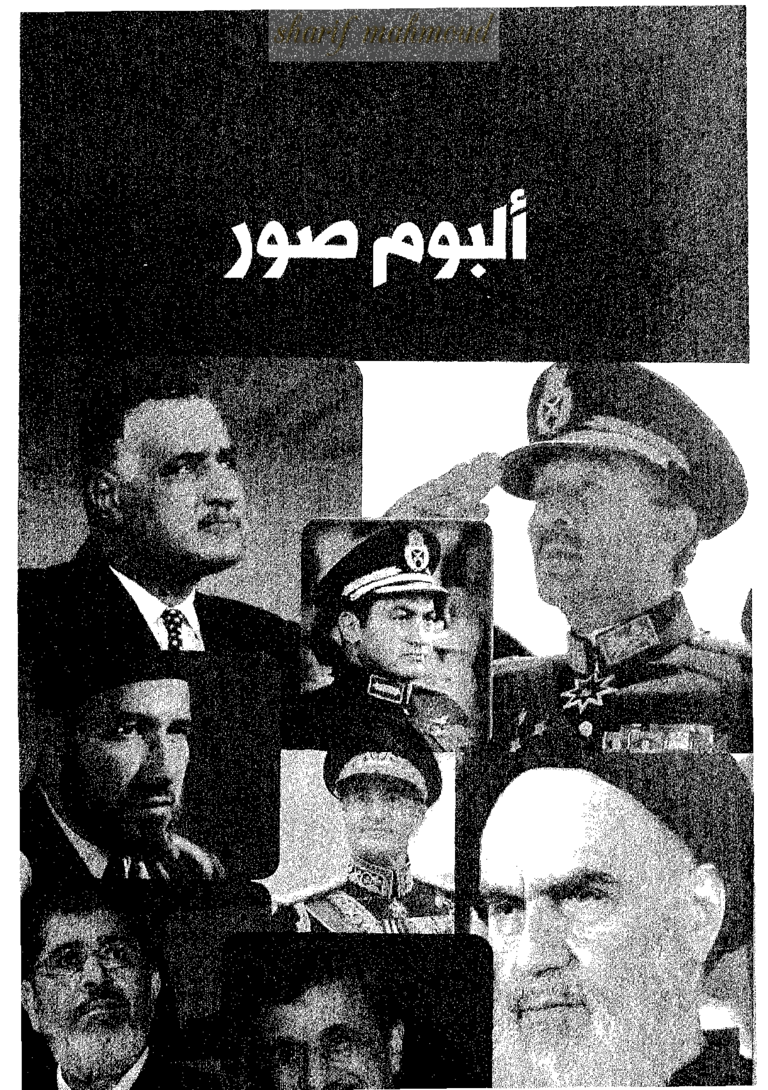
إذ ان هذا الامر سوف يفرض على ايران ترك الجزر، و»في حال الرفض فإنها ستواجه بانتقاد عالمي ومزيد من العزلة « حسب قول المصادر التي تضيف »ان الرهان الايراني على التوصل لتسوية تلبي شروط طهران وتغفل اغفالا تاما قضيتي جزيرتي طنب الصغرى وطنب الكبرى« التي اكد المسؤولون الايرانيون على عدم استعداد بلادهم للانسحاب من الجزيرتين او وضع حد لاحتلالها ، وتضيف المصادر الدبلوماسية المطلعة »ان موقف دولة الامارات

العربية المتحدة في هذا الشأن والذي اكدته بالمذكرة التي قدمها وفد الدولة للوفد الايراني اثناء المفاوضات التي جرت في مقر رئاسة الدولة في ابوظبي مبدئي ولا رجعة عنه « .

إلا ان المغالطات التي اوردتها الصحف الايرانية في هذا الاطار كشفت عن حقيقة التوجه في عدم انهاء احتلال الجزر الثلاث المحتلة لاسيما حديث هذه الصحف عن »ان مذكرة التفاهم الموقعة في العام ،١٩٧١ موقعة مع الشارقة وانه طوال عشرين عاما كان يتم بحث المسائل المتعلقة بهذا الشأن مع الشارقة ، لكن تلبية لطلب الشارقة رضيت ايران التفاوض مع ابوظبي.
ان هذه المغالطات لا تقف في دلالاتها عند قضية التفاهم على الجزر، بل انها تحاول ان تصل الى محاولة الايحاء بالفصل بين امارة واخرى عن امارات الدولة، وتعتبر تجاهلا واضحا لقرارات المجلس الاعلى لحكام الامارات، لاسيما القرار الذي اتخذ في ابريل الماضي والقاضي بأن كل معاهدة موقعة بين امارة من امارات الدولة ودولة ما هي معاهدة اتحادية، وبالتالي يعتبر تجاوز هذه النقطة امرا مرفوضا بتاتا لأنه يعتبر مساً بوحدة التراب الوطني لدولة الامارات العربية المتحدة.

وتقول المصادر المطلعة في قضية الجزر »ان رفض ايران احالة القضية الى محكمة العدل الدولية، واصرار الوفد الايراني على رفض مناقشة مسألة جزيرتي طنب الصغرى وطنب الكبرى كان السبب الاساسي في ايصال المفاوضات الى طريق مسدود مما حتم على الدولة رفع القضية الى هيئة الامم المتحدة«، هذا الامر عبر عنه صراحة رئيس الوفد الايراني المفاوض السفير مصطفى فوميني في تصريحه للصحف الايرانية عقب عودة الوفد الى طهران، بالقول، انه من غير المسموح لأي مسؤول ايراني البحث في اي شبر من الاراضي الايرانية، يعني عمليا عدم وجود نية ايرانية في انهاء القضية ، وبالتالي ابقاء الوضع على ما هو عليه ، مما يعني وجود ارباك دائم في المنطقة لا يستفيد منه احد.
ان ما انتهت اليه تطورات قضية الجزر المحتلة يؤكد على ان القضية سائرة

باتجاه محكمة العدل الدولية، خصوصا ان موقف دولة الامارات ما يزال لغاية الآن يدور في اطار ايجاد حل سلمي يضمن استمرار علاقات حسن الجوار بين الدولتين، إلا ان ذلك لا يعني ان الدولة على استعداد في ظرف من الظروف على التنازل عن حقها الثابت والمشروع في هذا الاطار، ومادام ان القضية ماتزال عالقة فإن الوضع مرهون بالمساعي الدبلوماسية المبذولة على اكثر من صعيد في هذا الاطار، ولهذا فإن المصادر الدبلوماسية العربية ترى ان هناك مزيدا من الدعم والتأييد العربي والدولي لدولة الامارات إذ ان القضية بتفاعلاتها المختلفة اوجدت موقفا عربيا حازما وموحدا قلما شهدته الساحة العربية وتصل المصادر الى درجة القول »ان قضية جزر الامارات شكلت نقطة مهمة في اعادة اللحمة والتضامن العربي، وهذا سوف يكون له انعكاساته الجيدة لجهة عودة الحق الى اصحابه الشرعيين«.


ألبوم صور



الخميني قبل الثورة في فرنسا

الخميني أثناء نفيه من إيران



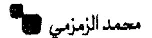
النقراشي باشا الذي اغتاله الإخوان



سعيد زينهم قاتل الخازندار وباقي المتهمين أثناء المحاكمة.

حسين الخضري أحد معارضي الخميني قبل اعدامه







أحمدي نجاد ملوحا بعلامة النصر في زيارته لمصر



الرئيس محمد مرسي مع مسئولين إيرانيين

أحمدي نجاد والرئيس محمد مرسي



أحمدي نجاد مع حاخام يهودي

المراجع

- كتاب إيران والإخوان المسلمين» للباحث الإيراني عباس خامه يار
- كتاب « رهينة بقبضة الخميني « الكاتب روبرت دريفوس
- كتاب (من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث) محمد الغزالي الطبعة الثانية ١٩٦٣ الناشر دار الكتب الحديثة
- كتاب سر المعبد لثروت الخرباوي
- جريدة الأهرام ، مايو ١٩٣٤ ،
- أعداد من مجلة روز اليوسف
- رسالة ماجستير بعنوان (الماسونية في مصر ونشاطها السياسي والاقتصادي والاجتماعي ١٧٩٨ – ١٩٦٤) للباحث وائل إبراهيم الدسوقي كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة ٢٠٠٥ .
- موسوعة المعرفة .
- موسوعة الويكبيديا
- خطب الشيخ الألباني
- موقع الجزيرة الإخباري
- حلقات برنامج شاهد على العصر .

قريبا كتاب

المرشد الشاطر في وصف بديع الأمثال

كتاب ساخر

محمد الزمزمي

sharif mahmoud

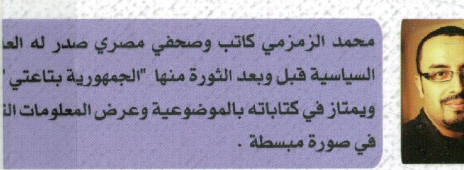
هذا الكتاب هو أقرب إلى الدراسة التي تقص عليك ، الدور العلقمي الذي بذلته إدارة كارتر في التواطؤ مع البريطانيين لتنصيب الخميني حاكما ، فالكتاب من الممكن أن تعتبره دليل إدانة لطابور خامس على أعلى مستوى داخل الولايات المتحدة، وهو طابور قدم العون والتأييد لآيات الله وكيانهم السري الإخوان المسلمون - وهو عون لم ينقطع حتى بعد الاستيلاء على السفارة الأمريكية في طهران .

فلن تأمن دول المسلمين على نفسها من داء الخميني إلا بعد تعقب تنظيم الإخوان المسلمين وتقويضه تقويضا تاما في أنحاء العالم .

ويشتمل الكتاب على توضيح العلاقة بين إيران والإخوان المسلمين من خلال طرح بعض القضايا الرئيسية التي تتناول الظروف التي ساهمت في إشعال الثورة الإيرانية في السبعينات و دور المخابرات الأمريكية و البريطانية والإخوان المسلمين في ذلك و ماكان يحدث وراء الكواليس بين شركة بريتيش بتروليوم و الشاه و دور الإذاعة البريطانية في تأجيج الثورة و نقل خطب الخوميني والمعارضة باللغة الفارسية و الدور الرئيسي الذي لعبته جماعة الإخوان المسلمين باعتبارها الوسيط بين الخوميني و الإدارة الأمريكية . فزيارة كارتر لمقر جماعة الإخوان المسلمين لتهنئة الرئيس هي أصدق دليل لاستمرارالدعم الأمريكي لصناعة الإسلام السياسي .

وكذلك نتطرق لسعي النظام الإيراني لفرض الهيمنة على المنطقة بكاملها والتي بدأت باحتلال الجزر الإماراتية والإستيلاء عليها دون وجه حق .








ISBN 977-8504606
9 789778 504606

المجموعة الدولية
للنشر والتوزيع